الشيخ فيصل الكاظمي

إعداد الخطباء



دار المحجة البيضاء

إعداد الخطباء



إعداد الخطباء

الشيخ فيصل الكاظمي

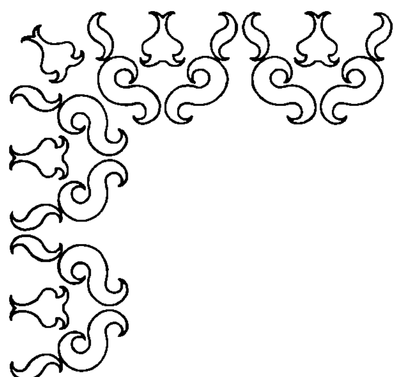
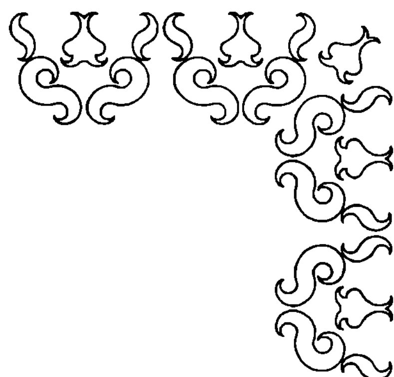


دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



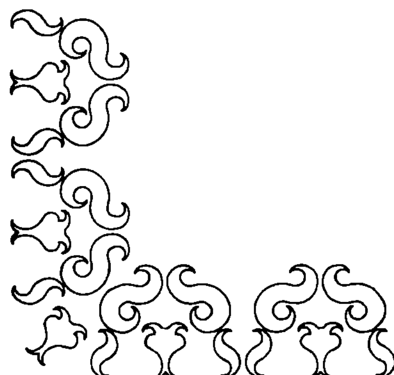
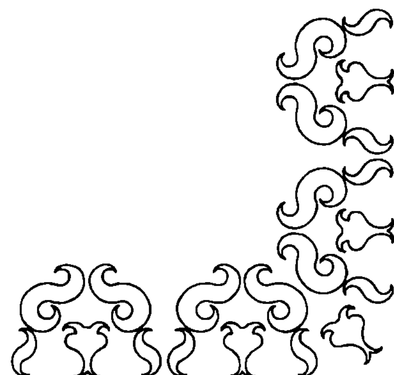
الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

اللَّهُمَّ اجعلني عندك

وجيهاً بالحسين

في الدنيا والآخرة

الإهداء

كان الحسين شهيداً مظلوماً

إباءُ شهادة... ودمعةُ مظلوميّة

فإلى مقامك سيدي..

وإلى مسيرة الشهداء المظلومين، وأنت سيدهُم

وإلى أختي شهيدة مظلومة

أرفع هذا القليل

فيصل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين المنتجبين.

يقوم المنبر الحسيني في عصرنا هذا بأدوار مهمة، ويتحمل أعباء كبيرة في تربية الأمة وإعدادها، وربطها بمفاهيم الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى دوره التاريخي، الهادف إلى إبقاء واقعة كربلاء حيّة متقدة في النفوس، تتجاوب معها الأرواح، وتنفعل بها المواقف (كل يوم عاشوراء، كل أرض كربلاء)، إنّ خطيب المنبر الحسيني ينهض بمهمَّات ومسؤوليات غاية في الأهمية والحساسية.

وقد تعاظمت مسؤولية خطيب المنبر الحسيني في ساحتنا الإسلامية المعاصرة، إذ لم يعد هذا الخطيب مجرد ناعٍ يردد أبيات الرثاء وقصائده بالأطوار الشجيّة في مهمة المنبر الحسيني. بل أن جماهير هذا المنبر تتوقع من الخطيب، أن يتناول موضوعات وأبحاثاً تغني الأمة، وتسهم في ربطها بدينها وشدّها إلى عظمائه، وتعين الإنسان المسلم على تلمّس طريق الخير والاستقامة، ومعالجة مشكلاته وحلّ معاناته مع معادلات حياته اليومية وهمومه الواقعية. .

إن لدماء سيد الشهداء عليه السلام والصفوة من أهل بيته وأصحابه معه، وقع واضح وتأثير بيّن على عواطف الأمة ومواقفها، وهذا ما يترجم في بعض

جوانبه في التجمّعات الجماهيرية الضخمة والحشود الحسينية اللافتة، التي تغص بها الساحات والشوارع والمساجد الواسعة والحسينيات الكبيرة، أيام عاشوراء في شرق الأرض وغربها.

إن الحسين عليه السلام وشهادته، قد جعلا الطريق ممهداً لخطيب المنبر الحسيني، أن يرتقي المنابر ويخاطب تلك الجموع، التي قد لا تتهيأ لأكابر المجتهدين وأعاظم العلماء. وهذه النقطة بالذات، تشكّل مسؤولية شرعية كبيرة، وموقفاً دينياً يُسأل عنه خطيب المنبر الحسيني، في دقة ما يطرح على المنبر وحساسية كلامه وأبحاثه، وحرصه على نقاء الهدف وطهارة النيّة، وطرح ما ينفع وما يُبريء ذمته أمام هذه المسؤولية الفريدة.

إن الأمة تنتظر من خطيب المنبر الحسيني، أن ينطلق من أيام عاشوراء ومواقف شهدائها. إلى معالجة الأمور التي تهم الإنسان المسلم، ويسعى لتهذيبه وتربيته وشده إلى قيم الشريعة التي ضحّى من أجلها سيد الشهداء عليه السلام.

وقد نشأت الخطابة مع تكوّن المجتمعات البشرية الأولى، حيث برزت الحاجة إلى التحدث مع المجتمع المتكون، وبأسلوب يشد الجميع ويوصل إليهم المعلومة المطلوبة.

ويعتبر الأنبياء عليهم السلام هم أقدم خطباء البشرية؛ بما كانوا يقومون به من أدوار التوجيه والإرشاد للمجتمعات البشرية، عبر العصور وبمختلف اللغات وتباين الثقافات.

وقد تميز النبي شعيب عليه السلام، بقوة حججه وأسلوبه المميز في الاحتجاج مع قومه، حتى لقّب بـ«خطيب الأنبياء».

ومع توسّع حاجات الإنسان، وتنوّع وجهات نظره، وبروز حقول جديدة لنشاطاته، فقد تطوّرت الخطابة وفقاً لهذا التطور والتخصّص، حيث

تقسّم الخطابة إلى أقسام عدة، منها: الخطابة الدينية والخطابة السياسية والخطابة العسكرية والخطابة الاجتماعية... الخ.

وذلك حسب نوعية الموضوع المطروح للبحث، وما يُراد الحديث عنه، وتوضيح معالمه.

وتعرَّف الخطابة عدة تعريفات، وقد تكون بوضوحها لدى الإنسان بما لا تحتاج معه إلى ذكر نصّ خاص في تعريفها، فقد تعرَّف الخطابة بأنها: «فن التحدّث إلى الجماهير». أو تعرّف في علم المنطق بأنها: «صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الإمكان»[1].

وقد نشأت فكرة تأليف هذا الكتاب، بعد أن وفقت لتدريس عدة دورات خطابية، فرأيت أن أجمع تلك الدروس والمحاضرات في مؤلف علّه يسهم في اغناء بعض جوانب مؤسسة المنبر الحسيني الرائدة. كما حاولت أن اوسّع من دائرة هذه الدروس، لتنقل الطالب إلى مسألة نشوء المنبر الحسيني ومراحل تطوره، لكي يكون مواكباً لهذه التطور من جهة، وليعرف موقعه ومرحلته وطبيعة مسؤوليته من جهة أخرى.

إن الحاجة باتت جدّ ضرورية، لقيام معاهد وكليات متخصصّة، تحتضن الشبان ذوي الرغبة في اعتلاء المنبر الحسيني، من أجل إيجاد جيل واعٍ لمسؤولية المنبر، يجمع بين أصالة الأعراف والتقاليد المنبرية من جهة، والطِرق العلمية في إيصال المعلومة من جهة أخرى.

وتبدو هذه المعاهد، هي البديل الأفضل، لخطباء المستقبل، بعد غياب الطريقة التقليدّية، حيث كان كل استاذ من اساتذة المنبر يصطحب

(١) راجع منطق المظفر: ص ٣٦٩.

معه مجموعة من شباب الخطباء، حتى يتخرجوا بين يديه، متمكنين من مهمتهم، واعين لتخصّصهم.

ومن أراد المزيد من البحث في مسائل المنبر الحسيني وأبحاثه فيما يتعلق بالنشأة أو مراحل التطور أو واقعه المعاصر، فإني احيله إلى كتابي (المنبر الحسيني نشوؤه حاضره وآفاق المستقبل) الذي كان بحثاً أكاديمياً، نال درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية بدرجة جيد جداً والحمد لله، ففيه مزيد بحث واستنطاق أراء، وممازجة أفكار.

وأخيراً فإني آمل أن يكون هذا الكتاب إسهاماً هادفاً في تسليط الضوء على عالم المنبر الحسيني وخطابته المتميزة، وارجو أن يكون خطوة في الاتجاه الصحيح، في توفير مادة تدرسية لأعداد خطباء المنبر الحسيني، على أمل بروز معاهد أو كليات تتخصص بهذا النمط من الخطابة المتميزة. وأكون سعيداً لكل ملاحظة تردني من أهل الاهتمام والمتابعة في عالم المنبر الحسيني المبارك، وعموم القّراء الكرام.

والحمد لله رب العالمين

فيصل الخالدي الكاظمي

بيروت في شوال ١٤٢٥
الموافق لتشرين الثاني ٢٠٠٤



مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله وله تعالى الحمدُ وكفى وصلّى على خير خلقه محمد المصطفى وأهل بيته الطيبين الشرفاء.

تأخر إصدار الطبعة الثانية لهذا الكتاب الذي ناله ما نال بقية مؤلفاتي الحسينيّة من آثار حرب عام ٢٠٠٦م على ضاحية بيروت الجنوبيّة ودور نشرها ومخازن كتبها. وكان وراء هذا التأخير أكثر من سبب، فلما قيّض الله تعالى من ينهض بمهمّات إعادة الطبع، أخذت باقتراح أحد العلماء بأن يكون العنوان (إعداد الخطباء) حيث وجدت الاقتراح راحجاً.

ثم أني أعدت النظر في هذا الكتاب، فوجدت أنه يحتاج إلى شيء من إعادة النظر وتنظيم الدروس وحذف المتكرر منها، مع ذكر بعض الأمثلة التي تغني الطرح وتوضّح المطلب. وقد شجعني على ذلك ما لقيته من اهتمام بعض المختصيّن ومنهم بعض رؤوساء الجامعات الإسلامية، وإقتراحهم بأن يدرج الكتاب ضمن المواد التدريسية في جامعاتهم، ولم أكن أظن أن كتابي هذا يصل إلى ما رآه الآخرون من مستوى، والله الموفّق ونعم المعين.

وأعود إلى تأكيد ما ذكر في مقدمة الطبعة الأولى من ضرورة تصدّي كبار العلماء وشيوخ الخطباء وأساتذة الجامعات الرساليون، لتوظيف طاقاتهم لتأسيس معاهد متخصصة تغنى بإعداد جيل مؤمن هادف من شبان خطباء المنبر الحسيني الروّاد، الذين عظمت مسؤولياتهم مع اتساح

المساحة التي يخاطبها المنبر الحسيني المبارك عبر الفضائيات الإسلامية التي يزداد عددها ويعظم مشاهدوها وتكثر شعبيّتها في مناسباتنا الإسلامية، وخاصّة أيام عاشوراء، وشهادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

ولعلّ هذا الكتاب يكون إسهاماً أوليّاً متواضعاً، في إعداد منهج علمي يوظّف في إعداد الجيل المبارك من شبان الخطباء الحسينيين، رعاهم المولى تبارك وتعالى.

على أمل أن يسهم أساتذة المنبر الحسيني وشيوخ خطبائه، بكتابة تجارتهم المباركة وتوثيق رؤاهم المنبريّة، فقد آن الأوان للعمل من أجل بناء جيل من الخطباء النافعين الذين يستفيدون من تجارب أساتذتهم، ولعلّ فيما تركه أستاذنا الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، في كتابه (تجاربي مع المنبر)، دعوة عمليّة لكل أساتذة المنبر للإسهام بهذه المهمة الجليلة.

«اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام».

والحمد لله رب العالمين

فيصل الخالدي الكاظمي

النجف الأشرف

٢٥ محرم الحرام ١٤٣١هـ

١١ كانون الثاني ٢٠١٠م



الدرس الأول

مراحل تطور المنبر الحسيني

القسم الأول

قبل الدخول في موضوع فقرات المنبر الحسيني، والتوقف عند كل واحدة منها وبيان خصائصها ومواصفاتها، ولأجل وضع الطالب وعموم القرّاء على التطور الذي رافق المنبر الحسيني تاريخياً، فستوقف في درسنا هذا عند مراحل هذا التطور. وحيث يمكن لنا أن نقول عموماً: أن هناك نوعين من المآتم التي أقيمت على الحسين عليه السلام.



○ النوع الأول: المآتم العفويّة:

وهي المآتم التي لم تكن قد أقيمت عن قصد مسبق، فهي المآتم التي صاحبت واقعة كربلاء وأيام السبي، أي: من اليوم الحادي عشر من المحرم إلى عودة ركب السبايا إلى المدينة المنورة. فقد أقيمت مآتم عدة في كربلاء والكوفة وفي الطريق من الكوفة إلى الشام، وفي الشام، وفي كربلاء يوم الأربعين، وحينما وصل ركب السبايا إلى المدينة.

هذه المآتم لم يُهيأ لها سابقاً، وإنما هيأتها وأعدتها طبيعة المأساة، طبيعة حرارة الجانب العاطفي الحزين في واقعة كربلاء، الذي كان يجذب الناس ويفجر فيهم هذه الطاقة العاطفية الوهّاجة، على شكل بكاء ونحيب يمثلان استجابة طبيعية للحدث المؤلم.

فقد ذكرت أمّهات المصادر التاريخية هذه المآتم، ويمكن مراجعة: تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، الأيام الطوال للدينوري، تاريخ ابن عساكر، مقتل الخوارزمي، وغيرها...

حينما كان الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّاته وأخواته، لاسيّما السيدة زينب بنت علي عليهما السلام يخاطبون تلك الجماهير المحتشدّة في طريق السبيّ، فيذكون عواطفهم ويهيجون بكاءهم، في نقد وتقريع للنهج الأموي الجاهلي، الذي أباح دماء آل محمد صلوات الله عليهم.



○ النوع الثاني: المآتم الهادفة:

وهي المآتم التي أقيمت بعد انتهاء واقعة كربلاء عن تخطيط وهدف مسبقين.

ونحن نريد أن نبحث عن جذور المنبر الحسيني الذي أقيم عن تخطيط، أي كانت له دعوة مسبقة وإعداد مُخطط له. إن هذا النوع من المآتم الذي نطلق عليه مصطلح (المآتم الهادفة) هو الذي سيكون مدار بحثنا، في دروسنا القادمة.

أي أننا سنواكب بالدرس تلك المجالس الحسينية، التي بدأت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والتي أهتم الأئمة عليهم السلام بإقامتها والدعوة إليها.

إذ يمكننا القول: أن الأئمة عليهم السلام أكدّوا على خطين متوازيين في عملهم مع الأمة.

أولاً: خط البناء الفكري والعقائدي والفقهي، في بيان أطروحة الإسلام الحقيقية، وموقف المسلمين منها.

ثانياً: خط الإذكاء العاطفي، عبر التأكيد على إحياء واقعة كربلاء.

هذان الخطان المتوازيان واضحان في أعمال ونشاطات كل الأئمة عليهم السلام، حيث عملوا على البناء والتربية والإعداد وتثقيف الأمة. كما عملوا عليهم السلام على تجذير الجانب العاطفي من واقعة كربلاء، لأن الفكرة إذا كانت مجرد فكرة بعيدة عن العاطفة فإن بإمكانها أن تُهزم، أو تتحول إلى مفهومٍ بلا حياة، قد ينم عن قسوة وجفوة لا يتفاعل القلب معه. إن وجود العاطفة الصادقة مع الفكرة الأصيلة، يعني إحاطتها بوقاية ورعاية وحضانة.

كما يمكن القول كذلك: أن العاطفة إذا تجردت عن الفكرة، فإنه يمكن لها أن تنحرف وتضيع، بل قد توجّه - أحياناً - ضدّ الفكرة التي انطلقت منها أساساً. إذاً فكما تقوم العاطفة برعاية الفكرة واحتضانها، فإن وجود الفكرة الهادفة يعني توجيه العاطفة نحو الاتجاه الصحيح.

إن للعاطفة ذات البعد الفكري والعقيدي، دور وأيّ دور في ظروف غياب الثقافة أو الاغتراب، والابتعاد عن عطاء العلم والفكر، قد يكون من بعض أبعادها إحداث أجواء من شأنها تذكير الأمّة بدينها وعقيدتها.. فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية؛ أنه قد مرت ببلاد الهند عقود وأجيال، لم يكن هناك حضور للحوزات العلمية أو العلماء، والشيء الوحيد الذي كان موجوداً هناك، يربط الناس بالتشيع وبخط أهل البيت عليهم السلام، مسيرة حسينيّة تنطلق يوم عاشوراء(١).

إذ كانت هذه المسيرة الحسينية السنوية، هي التي تربط الناس بهذه المدرسة المعطاء، وهكذا يبرز دور العاطفة التي تختزن مفهوماً فكرياً، في الحفاظ على هوية الأمة ومعالم شخصيتها، التي عادت إلى مرجعيّة الفكر

(١) من محاضرة للشيخ محمد مهدي الآصفي.

والعلم بعد زوال تلك الحقبة، وعودة العلماء وبروز الحوزات العلمية من جديد.

إن هناك أمثلة في تاريخنا، بل وفي عصرنا الحديث، عن محاولات قد هُيأت لها ظروف ومخطّطات مسبقة، من أجل القضاء على الفكرة وإبادتها، ولكن ومع مجيء أيام عاشوراء، وإذا بالفكرة تعود إلى عقيدة الأمة، فتسترجع هويتها وترتبط برموزها وتتجذر في انتمائها..

ولعلّ المثل الأبرز في هذا الصدد ما كانت تعانيه الأمة وجموع المؤمنين وخاصة الحسينييّن منهم طوال الحكم البعثي الجائر للعراق حتى سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

إن للانشداد العاطفي أثر كبير في ربط الإنسان بالفكرة، وكذلك فإن الفكرة مهمة جداً بالنسبة للعاطفة، لأن العاطفة بدون فكرة، قد تجعل لكل إنسان أسلوباً يترجم عاطفته من خلاله، وقد تكون بعض تلك الأساليب ما لا تتناسب مع أساس الفكرة وأبعاد العقيدة، وربما تكون غريبة عنها.

فهنا تتدخل الفكرة للحفاظ على كيفية إعطاء العاطفة لأبعادها وتوجيهها، بما ينسجم مع الاساس الفكري والجذر العقيدي. إنّ هذا الترابط بين الفكرة والعاطفة، قد يكون وراء كلّ حالات المحاربة والحساسيّة المفرطة من قِبل سلطات الجور - عبر التاريخ - للشعائر الحسينية.

وقد خطط الأئمة عليهم السلام وعملوا لكي تتم ترجمة عاطفة عاشوراء ضمن المشاريع التي أريد منها، إغناء الأمة وربطها برموزها وعقيدتها.

ولأجل هذا فقد بدأت بيوت الأئمة عليهم السلام باستقبال الشعراء ثم المنشدين، وأخذ الشيعة يفدون على تلك البيوت ويسهمون في هذه المجالس. وذلك استجابة لحثّ الأئمة عليهم السلام وتأكيدهم على إقامة هذه

المآتم، في تعليمات وتوجيهات حفلت بها كتب الحديث التي أجمع العلماء على تواترها وصحتّها[1]. وشهدت هذه المآتم - الهادفة - مراحل عدة في تطوّرها، حتى وصلت إلى المستوى الذي نعيشه في أيامنا هذه.

ويمكن أن نُجمل المراحل التي مر بها المنبر الحسيني في تطوّره بما يلي:

١ - مرحلة التأسيس:

حيث برزَ عَمَلُ الأئمة المعصومين عليهم السلام في التأسيس والحثّ والتأكيد على مجالس الحسين عليه السلام، واستمرت هذه المرحلة إلى نهاية الغيبة الصغرى، أي منذ سنة ٦١هـ إلى حدود سنة ٣٣٠هـ. (وسيأتي تفصيل ذلك في الدرس الثالث إن شاء الله).



٢ - مرحلة الدول الشيعية:

لقد اسهم ظهور الدول الشيعية؛ الحمدانيّة والفاطميّة والبويهيّة، بحلب والقاهرة وبغداد، إسهاماً كبيراً في توسيع مؤسسة المنبر الحسيني، وتزايد أعدادها وتجاوب الأمة معها.

فحينما جاء البويهيّون إلى بغداد، نزلت مظاهر العزاء إلى الشوارع، واعتبر يوم عاشوراء يوم تعطيل رسمي، وذلك في سنة ٣٥٢ هجرية أيام

(١) راجع الكامل في الزيارات لابن قولويه القميّ. وعيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام له كذلك، وأمالي الطوسي، من المصادر القديمة. وإقناع اللائم للسيد محسن الأمين، والمجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين، وسيرتنا وسنّتنا للشيخ عبد الحسين الأميني، صاحب الغدير، من الكتب المعاصرة.

معز الدولة البويهي. لقد كان المنبر الحسيني محصوراً في البيوت، وضمن الأحياء الشيعية المغلقة، ولكن مع مجيء البويهيين وسيطرتهم على بغداد، فقد برزت تلك المجالس ومواكب العزاء، وبشكل رسمي وواضح، في بغداد ومدن عراقية أُخرى.

وهذا ما ذكره جميع المؤرّخين الذين كتبوا في أحداث بغداد في تلك المرحلة. وقد اختلط الأمر على بعض الكتّاب والمؤلفين حينما صوّروا: أن هذه المجالس إنما أنشأها البويهيون.

إن المجالس الحسينية، كانت موجودة قبل وصول بني بويه إلى بغداد بزمن بعيد، ولكنها كانت مخفية وتقام بصورة خاصة وضيقة[1]، لأن الأمويين أولاً ثم العباسيين بعد ذلك، لم يكونوا ليسمحوا بانتشار وظهور هذه المجالس التي يخشونها، بما تتضمنه من إدانة لقتله الحسين عليه السلام، وظالمي أهل البيت عليهم السلام، ومن سار على نهجهم.

إذن فقد شهدت بعض المناطق الإسلامية اتجاهاً لافتاً لإقامة مجالس العزاء وبشكل رسمي وقوي ببروز الدول الشيعية، وقد برزت مجالس العزاء الحسينية بصورة علنيّة قبل بغداد، في مدينة حلب لما سيطر الحمدانيون عليها وعلى مناطق واسعة أخرى. وراحوا يحيون أيام عاشوراء بالشعر والرثاء وذلك في عام **٣٣٣** هجرية، وفي قصائد أبي فراس الحمداني إشارة إلى بعض تلك المآتم.

ومن جهة ثالثة؛ فقد برزت المآتم في مصر، حيث أقيمت وبشكل كبير عند دخول الفاطميين إلى القاهرة، التي أسسها جوهر الصقلي أحد قادة الفاطميين، وأسس بها الجامع الأزهر نسبة للسيدة الزهراء عليها السلام وذلك

---

(١) راجع كتاب (المنبر الحسيني) للمؤلف، حيث أورد الأدلة على ذلك من المصادر غير الشيعية.

عام ٣٦٢ هجرية، في خلافة المعز لدين الله الفاطمي، وكانت المآتم تقام في مصر قبل هذا التاريخ.

وتحولت أيام عاشوراء في القاهرة إلى أيام عزاء. وكانت المآتم في مصر مرتبة أكثر من مثيلاتها في بغداد، لأن القاهرة كانت عاصمة الحكم الفاطمي وهو حكم شيعي، أما بنو بويه فقد كانوا قادة وأمراء ضمن الحكم العباسي القائم آنذاك، لكنهم كانوا قادة أقوياء ففرضوا بعض الأمور، أما في مصر فقد كانت الدولة كلها شيعية. ففي يوم عاشوراء حيث كان يخرج الخليفة الفاطمي وأصحابه، حفاة إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام، ثم ينزل المنشدون عصر اليوم العاشر، على شكل مجموعات إلى الشوارع ضمن مراسم معينة، ويمكن مراجعة الخطط وإتحاف الحنفا للمقريزي، والنجوم الزاهرة للتغربردي، وغيرها من المصادر، لمزيد من الاطلاع على الكيفية التي كانت عليها المآتم الحسينية آنذاك.

إن المآتم التي بدأت تظهر بشكل بسيط في أيام الإمام زين العابدين عليه السلام، ومن ثَمّ توسعت شيئاً فشيئاً مع اتساع رقعة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، طوال فترة المعصومين عليهم السلام، ثم استمرت هذه المجالس ولكن ليس كظاهرة تحظى بتسجيل المصادر التاريخية وتوثيقها. ولكنها شهدت تطوراً كبيراً ونوعيّاً ببروز الدول الشيعية. وقبل أن تبرز هذه الدول الشيعية، كانت هناك تجمعات في بيوت الأئمة عليهم السلام أو بيوت الشخصيات الشيعية البارزة.

وكانت هذه المآتم قد برزت بشكل واضح عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام، والتي قد تطورت وتعاظمت حتى قام المتوكل العباسي بإخافة الزائرين والمقيمين في كربلاء، بل وصل به الأمر إلى هدم قبر

الحسين عليه السلام . إن تجاوب الأمة مع المجالس لم ينقطع، إلا أنها كانت مخفية ثم برزت أيام هذه الدول.

إذن، فالمرحلة الثانية هي مرحلة بروز الدول الشيعية؛ التي أعطت للمنبر الحسيني بعداً واسعاً وانتشاراً واضحاً. إن وجود السلطة الشيعية في بعض الأقاليم الأسلامية قد أعطى المنبر الحسيني عليه السلام إمتداداً كبيراً وسمع به من لم يسمعه، وعاشه من لم يعشه، ورآه من لم يره سابقاً.

وسوف يبقى التلازم مستمّراً، بين الأوضاع السياسية المشجعة على إقامة الشعائر الحسينية، أو الساكتة عنها على الأقلّ، وبين بقاء هذه الشعائر أو تطورّها، في الجانب الإيجابي من هذا التلازم، أو التضييّق عليها بل محاولة القضاء عليها، في الجانب السلبي منه.

والحمد لله رب العالمين



الدرس الثاني

مراحل تطور المنبر الحسيني

القسم الثاني

ذكرنا في درسنا السابق؛ مرحلتين من مراحل التطور التي شهدها المنبر الحسيني، ونكمل في هذا الدرس ما كنا قد بدأناه آنفاً، حيث وصلنا إلى:

○ المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة عمّها الركود العام الذي عاشه المجتمع الإسلامي بعد انهيار أوضاعهم العامة، حيث ضعفت همة المسلمين ووهنت كلمتهم. ويمكن أن يؤرخ لهذه المرحلة من سقوط بغداد أيام هولاكو[١]، أو بعدها بسنين.

فقد أُصيب المنبر الحسيني بما أصيب به بقية المجتمع المسلم ومؤسساته، حيث سيطرت فيه نوازع الزهد السلبي، وترك الحياة واتهامها أنها خانت أهل البيت عليهم السلام دون التعرض للغاصبين. في حين كان الشعراء الذين يفدون على أئمة أهل البيت عليهم السلام، يرثون الحسين عليه السلام وهم يحاسبون بني أمية ويشجبون مواقف الظالمين، وكذلك الأمر أيام الدول الشيعية نوعاً ما، لكن بعد ذلك أصبح هناك انحسار في عموم المجتمع الإسلامي، وحالة تنصّل وابتعاد عن المسؤوليات، ويمكن لبيت من الشعر توضيح ما آل إليه المنبر في هذه المرحلة:

(١) راجع (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) للشيخ محمد مهدي شمس الدين، رحمه الله.

أترجو الخير من دنيا أهانت حسين السبط واختارت يزيدا

حيث نجد التأكيد منصباً فقط على الجانب المأساوي السلبي في واقعة كربلاء، واتهام الدنيا دون نقد الظالمين وإدانتهم. ولعل أفضل وثيقة تحكي ما كانت عليه المآتم الحسينية في تلك المرحلة؛ كتاب المنتخب للشيخ فخر الدين الطريحي، والمتداول في الأسواق لحد الآن. وقد استمرت هذه المرحلة إلى بداية عصر النهضة الحديث. مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي قبل قرن تقريباً.

ولكن لا بد من الإشارة هنا، إلى تطور بالغ الأهمية في ضمن هذه المرحلة، أدى إلى تجذّر المنبر الحسيني، وتوسعه إلى مساحات جديدة، خاصة في إيران، إثر قيام الدولة الصفويّة التي امتد حكمها من الهند إلى العراق. حيث شهدت نموّاً وتوسّعاً مشهودين في المآتم الحسينية، والتي إعتبرها الصفويون، اسلوباً من أساليب الأعلام والتبليغ المتناسق مع فكر أهل البيت عليهم السلام.

وإشتهر حينها كتاب (روضة الشهداء) وهو كتاب في المراثي الحسينيّة، ألفّه الشيخ حسين الكاشفي، لطبقة الخطباء الحسينيّن الإيرانيين، التي ظهرت بسرعة أيام الصفوييّن، حيث كانت الحالة تدعو لوجود مثل هذا الكتاب، ومنذ ذلك التاريخ أطلق على خطيب المنبر الحسيني الإيراني: قارئ روضة (أي الروضة هذا) وترجنته بالفارسيّة روضه خون، حتى صار الإسم للخطيب الحسيني (روزه خون والمتداول لحدّ الآن. وهذه النقطة تحتاج إلى دراسة خاصة، لمن أراد المزيد عنها.

○ المرحلة الرابعة: المنبر مدرسة الأمة

ومع تعاظم الوعي والانفتاح على الجانب الثقافي، وظهور أجهزة الإعلام الحديثة والاتصالات، وسرعة طبع الكتب والنشريات والمجلات وانتشارها، حيث جاءت المطابع وكثرت الكتب والصحف. وعندما عمَّ الوعي عموم العالم الإسلامي، انعكس ذلك في مرحلة انتعش فيها المنبر الحسيني كذلك، وأمتداد الوعي إليه، لأن المنبر الحسيني هو مؤسسة من مؤسسات المجتمع، فإذا عمّ الوعي وازدادت الثقافة في المجتمع، نجد المنبر الحسيني مستجيباً لهذا التطوّر، وإذا تخلَّف المجتمع فإن المنبر الحسيني يتأثر بذلك إلى حدّ كبير، وهذا لا يعني استسلام خطيب المنبر الحسيني لحالات التخلّف، بل عليه، أداء رسالته بوعي وهادفية، ولكن هناك أموراً واقعية تفرض نفسها على عموم الأمة ومؤسساتها.

إن المرحلة الرابعة هي المرحلة المعاصرة، والتي برز فيها مجموعة من خطباء المنبر الحسيني من ذوي الكفاءات المميزة؛ من حيث الإحاطة بالأدب والفقه والسيرة والتفسير والتاريخ. فأغنوا المنبر الحسيني بالموضوعات والمحاضرات، التي شدّت المجتمع وراح الناس ينهلون من المنبر الحسيني مفردات الأفكار والعقائد، والأحكام الشرعية، والحس الأدبي، والانفتاح على التأريخ حتى قالوا، إن المجالس مدارس.

لقد شهدت بداية القرن العشرين، ونهاية القرن التاسع عشر الميلاديين، ومع التطور الهائل الذي عمّ الأوضاع في العالم، ومع تنبه المسلمين إلى خطورة هذا التطور وأهميته، شهدت بروز بعض الخطباء الحسينيين؛ الذين أحدثوا نقلة نوعية في المنبر الحسيني ورسالته.

فقد برز الشيخ كاظم السبتي، الذي كان أستاذاً كبيراً في الحوزة،

وخطيباً حسينياً لامعاً، وكان يحفظ نهج البلاغة عن ظهر قلب، ففي كل مجلس وبعد أن يقرأ القصيدة يبدأ بمقطوعة من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم يشرح ما فيها من مفاهيم وقيم ويؤيد قوله: بالآيات القرآنية الكريمة والروايات وبالشعر والقصص، فأصبح المنبر الحسيني الشريفة حديقة متنوعة ومائدة غنية. وقد أحدث هذا الرجل تأثيراً كبيراً في طرح المنبر الحسيني.

والشيخ كاظم سبتي هو الذي ابتكر أسلوب (التخلص)[١] الذي يسمى بالانتقال، ويُصطلح عليه باللهجة الشعبية العراقية والخليجية مصطلح (الگُريز)؛ أي الطريقة الفنيّة في الانتقال من الموضوع أو المحاضرة إلى أجواء كربلاء وبأسلوب إنسيابي. وقد توفي الشيخ كاظم سبتي رحمه الله عام ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م.

وبرز معه في السنين الأخيرة من عمره الخطيب السيد صالح الحلي، هذا الرجل الذي كان مجتهداً على بعض الأقوال، وكان شاعراً جريئاً ومجاهداً، وكان يمتلك إحاطة بالأمور الفقهية والأمور التأريخية وبشكل مذهل، إذ كان يغوص في أعماق الكتب، وهو يحاول أن يستخلص منها شواهد على الموضوع الذي يريد أن يطرحه، وكان يحدث شدّاً غريباً في مجلسه بحيث يستقطب طبقات المجتمع. وينقل الأستاذ جعفر الخليلي في مؤلفه «هكذا عرفتهم» أن السيد صالح الحلي كانت عنده سعة اطلاع ومتابعة مذهلتين للأدب والتاريخ. وسنأتي في درسنا القادم إن شاء الله، على مثال لما كان عليه هذا الخطيب المتميز، والذي توفي رحمه الله عام ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م..

ثم جاء بعده الشيخ محمد علي اليعقوبي الذي توفي سنة ١٣٨٥هـ -

(١) راجع (ماضي النجف وحاضرها) للشيخ باقر محبوبة.

١٩٦٥م هذا الرجل كان الحلقة الثالثة في هذه السلسلة الموفقة من الخطباء. ولا بدّ أنه تؤكّد هنا أنه كان مع كل خطيب من هؤلاء الخطباء الثلاثة مجموعة من الخطباء المبرزّين النافعين، ومَن ذكرناهم مجرد نماذج تؤرخ بها مرحلة التطّور هذه. إن هؤلاء الخطباء الذين برزوا، كانوا يعطون للمنبر الحسيني بعداً تربوياً ثقافياً كبيراً لم يأت به غيرهم، بحيث أن أهل بغداد لم يسمحوا بابتعاد الشيخ اليعقوبي عنهم عشر سنوات، إذ تعلق الناس بمحاضرات الشيخ اليعقوبي وأبحاثه، ولم يرجع إلى النجف الأشرف إلا بعد فتوى شرعية، ألزمته وألزمت أهل بغداد بالعودة وترك بغداد.

لقد قام خطباء المنبر الحسيني بأدوار كبيرة في تثبيت عقائد الناس، وتوسيع ثقافتهم، وإن هذه المجالس أعطت الأمة عطاءً فكرياً وتربوياً رائعين، وقد تحولت المجالس الحسينية إلى مجالس، تهتم برفع مستوى الناس دينياً وعقائدياً وثقافياً، لأن الخطيب كان يتعب نفسه في التحضير والدراسة والمتابعة، ولم يعد المنبر الحسيني مجرد قصيدة... أو بكاء على الإمام الحسين عليه السلام، - الذي يبقى عنصراً أساسياً في المنبر - بل امتدّ في توسع وتجذّر، انعكسا علىٰ تعاظم مساحته؛ ليحظى بأبعاد رائعة متعددة. كما كانت لأولئك الخطباء أدوار سياسيّة وإسهامات جهاديّة، في مرحلة الإستعمار الغربي، حيث وظف المنبر توظيفاً هادفاً.

ثم جاء الشيخ أحمد الوائلي، الخطيب الحسيني الذي يعتبر معلماً بارزاً مميزاً لخطباء المنبر الحسيني، وصاحب مدرسة خطابية مميزة. لقد برز الشيخ الوائلي أيام المواجهة الحادة، بين أفكار الإسلام مع الأفكار الشيوعية والأفكار الغربية الأخرى، التي كانت تأخذ من عقول الشباب وعموم المثقفين مأخذاً كبيراً. فجعل منابره منابر وعي ومنابر للدفاع عن الإسلام ومحاكمة الأفكار الواردة. وبرز في هذه المرحلة كوكبة من الخطباء الرساليين من أمثال

الشهيد السعيد السيد جواد شبر والسيد طاهر ملحم والشيخ عبد المجيد الصيمري والسيد عبد الرحيم الشوكي والشيخ جعفر الهلالي وغيرهم.

إن على خطيب المنبر الحسيني، أن يطرق الموضوع الذي يحتاجه المجتمع ويتفاعل معه، وكلما استطاع الخطيب أن يعيش مع الناس، ويطرح على المنبر هموماً تعيشها الأمّة، فإن منبره يكون موفقاً أكثر من غيره.

وقد قيل: إنّ الشيخ الوائلي قد أنسى من كان قبله وسيتعب من يأتي بعده، لأنه خطيبٌ ذو ثقافة موسوعية، وأديب وشاعر يختار الكلمة وينحتها نحتاً، مع فكر متألق أدّى إلى نجاح مستمر. وقد أصبح الدكتور الوائلي صاحب مدرسة في هذا المجال، وحتى يقال الآن عن الخطيب الناجح أنه على نموذج الشيخ الوائلي.

وقد أكمل الشيخ دراسته الجامعية في النجف، ونال الماجستير من جامعة بغداد، والدكتوراه من جامعة القاهرة.

ويعدّ الشيخ الوائلي أول خطيب حازَ شهادة الدكتوراه[١]، واستمر في قراءة مجالس عزاء الحسين عليه السلام. حيث أن بعض الخطباء استطاعوا نيل شهادة الدكتوراه، ولكنهم تركوا المنبر الحسيني ولم يواصلوا إعتلاءه.

كان الوائلي يجذب الناس وعموم المثقفين وطلاب الجامعات إليه. فأصبحت مجالسه تُعنى بالفكر الإسلامي وجوانبه، ولم يكن يؤكد على الأبعاد المأساوية إلا قليلاً، يبدأ بآية قرآنية، وفي آخر المجلس يعرّج علىٰ مصيبة مختصرة ثمّ على بيت أو بيتين من الشعر. وقد فجع المنبر الحسيني بوفاته رحمه الله في جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، الموافق لتموز ٢٠٠٣. وكانت

(١) المرجاني، حيدر: خطباء المنبر الحسيني.

مراسم التشييع الجماهيري المذهل، مؤشراً من مؤشرات تفاعل الامة في العراق مع شيخ خطباء المنبر.

هذه هي المرحلة المعاصرة التي وصل فيها المنبر الحسيني إلى ما وصل إليه الآن. بحيث أصبح الناس يأملون من خطيب المنبر الحسيني، أن يكون حديقة متنوعة من الثقافة والأدب، إضافة إلى إشباع الجانب العاطفي في واقعة الطف.

وإذا أردنا أن نؤرخ للعقد الأخير من مرحلتنا المعاصرة هذه، فلا بدّ أن نتوقف عند الإنعكاسات المتعددّة، التي أحدثها سقوط النظام العراقي السابق، الذي كان يكتم أنفاس الناس وأفكارهم وعقائدهم ومن ثَمَّ كفاءاتهم.

ومن تلك الإنعكاسات كانت الجوانب الثقافية والأعلامية، ومن أبرزها الفضاءيات التي إنطلقت من عقال الكبت والإضطهاد، ومنها فضاءيات أولت المنبر الحسيني، إهتماماً دائماً أو موسمياً، وعلى كلا الحالين، فقد أخذ المسلمون عموماً ينفتحون على لون جديد من ألوان التثقيف التبليغي عبر المنبر الحسيني المعطاء.

ولسنا هنا في صدد تقويم هذه الفضاءيات، إلاّ أننا نريد أن نؤكد على ظاهرة صارت واضحة، في كون المنبر الحسيني قد أخذ مساحة واسعة ما كانت لتخطر على بال أحد قبل أحداث عام ١٤٢٣/ ٢٠٠٣ بالعراق.

كما أنّ متابعة الجماهير للخطباء الحسينييّن المتميزين، أدّت إلى أهمية مراعاة الخطيب الحسيني لطبعة مستواه الثقافي والمعلوماتي وضرورة إتعاب نفسه ليكون بالمستوى ما يؤمل للمنبر الحسيني وخطباته الأفاضل من أدوار في مرحلتنا الحساسة والحرجة هذه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثالث

مجالس العزاء في عصر الأئمة عليهم السلام

تحدثنا في درس سابق عن المراحل التي مرَّ بها المنبر الحسيني في تطوره بشكل سريع. ولا يزال الموضوع بحاجة إلى إشباع، خاصة فيما يتعلق ببداية تأسيس المنبر وحث الأئمة عليهم السلام على إقامته، وهذا ما سنتناوله في هذا الدرس.

فإنَّ واقعة كربلاء التي حدثت سنة ٦١ للهجرة، كان يمكن أن تكون مجرد معركة بطوليّة وملحميّة، بين فئتين متفاوتتين في العدد والمبدئية. ولكنها - إضافة إلى ذلك - قد تميّزت بجوانب عاطفية وبشكل عميق ومؤثّر، ولعل هذا كان من النتائج المهمة التي برزت من إصرار الإمام الحسين عليه السلام، على أن يأخذ النساء معه. وكانت أبعاد الحركة واضحة عند الإمام عليه السلام، فقد كان عليه السلام عالماً بأنه ماضٍ للقتل، وكان إصرارهُ عليه السلام على أن يأخذ النساء معه، قد نتجت عنه فوائد عدة، وترتبت عليه نتائج مذهلة؛ منها إعطاء واقعة كربلاء هذا الزخم العاطفي؛ لأن مجي النساء يعني مجيء الأطفال حتماً.

وقد برزت الأدوار المهمة لهذا المجيء، خلال المرحلة الثانية من نهضة الإمام عليه السلام؛ وذلك طوال أيام السبي، من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام حتى العودة إلى المدينة. إن قطع هذا الطريق الطويل، لم يكن بالأمر اليسير أو الهيّن؛ إنه الطريق الذي اكتنف مآسٍ وآلاماً، جعلت لواقعة كربلاء بعداً عاطفياً غاية في التميز والحضور، جنباً إلى جنب مع قيام ركب السبي بتوضيح نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وفضح النهج الأموي

الظالم، وقد انتظمت مجموعة من التعازي والمآتم العفوية عبر هذه المسيرة.

فهناك عزاء أقيم في كربلاء ليلة الحادي عشر؛ حيث زينب عليها السلام المفجوعة ومن بقي من النساء والأطفال في تلك الليلة. ومجلس أقيم حينما خرج ركب السبايا من كربلاء، ومجلس آخر أقيم في الكوفة؛ وكان مأتماً عاماً، ضجت الكوفة بأهلها حتى يقول القائل: رأيت شيخاً إلى جنبي يبكي قد بلَّ لحيته بدموع عينيه وهو يقول بأبي أنتم وأميَّ... إلى آخر الرواية، إذن لقد أقيم مجلس عزاءٍ عامٍ في كربلاء وآخر في الكوفة، ومجالس عزاء متنقلة في الطريق إلى الشام.

إن مجلس العزاء العام الذي كان قد أقيمَ في الكوفة؛ ترجم ما كان فيها من قاعدة موالية ومحّبة لأهل البيت عليهم السلام. ولكن هذا الأمر لم يتكرر في الشام؛ لأن الشام كان فيها نمط آخر، حيث ساد العداء لأهل البيت عليهم السلام، نعم أقيم مجلس عزاء في قصر يزيد من قبل بعض النساء الأمويات، اللواتي أقمن المآتم ثلاثة أيام، وشاركن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بالعزاء. كما يُنقل ذلك في تاريخ الطبري والأخبار الطوال وتاريخ ابن الأثير وغيرها.

نعم كان هناك بكاء ونحيب عاميَّن في مسجد دمشق الأعظم، تجاوباً مع خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام، وتأثّراً بما انكشف لهم من حقائق كانوا جاهلين بها. ثم كان هناك مجلس آخر عام أيضاً أقيم في كربلاء، في يوم الأربعين، ومأتم كبير آخر أقيم أيضاً في المدينة المنورة، لما رجع ركب السبايا إلى المدينة، وخروج أهل المدينة لاستقبال المَسبيّات. حتى يقول الراوي: فكان يوماً شبيهاً بيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أطلقنا على هذه المآتم مصطلح (المآتم العفويّة) أو العرضيّة،

ومعنى ذلك أنه لم يكن هناك مسألة تخطيط مسبق لهذه المآتم، بل أن طبيعة المأساة وطبيعة الآلام، هي التي كانت تفجر موقف البكاء. نعم برزت المجالس الحسينية الهادفة، بعد ذلك حينما دعا الأئمة عليهم السلام شيعتهم، وشجّعوهم وحثّوهم على إقامة هذه المآتم؛ وهي موضع دراستنا هنا.

حيث سنجد الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي دمعة، حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غُرفاً يسكنها أحقاباً»(١).

لقد كان عليه السلام يدعو إلى البكاء وتذكّر واقعة كربلاء. ونجد بعده الإمام الباقر عليه السلام يقول: «ما اجتمع مؤمن مع آخر وتذاكروا في أمرنا إلا وكان ثالثهما ملك مقرّب يدعو لهما». ثم لينذب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه..»(٢).

ونستمع إلى الرواية حينما يدخل الفضيل بن يسار على الإمام الصادق عليه السلام ويسأله الإمام: يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قال الفضيل: نعم جعلت فداك قال: «يا فضيل، إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»(٣).

إذاً هناك دعوة واضحة إلى إقامة المآتم والحث على حضورها. وكذا الحال مع الإمام الرضا عليه السلام عندما يلتقي بالريان ابن شبيب في أول يوم من أيام محرم ويقول له: «يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين ابن علي بن أبي طالب..»(٤). وهذه دعوة أخرى إلى أن تقام المآتم الحسينية.

---

(١) ابن قولويه: الكامل، ص، ٢٠١.
(٢) ابن بابويه: ثواب الأعمال، ص ١١١.
(٣) المجلسي: البحار، ٤٤/ ٢٨٢.
(٤) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢/ ٢٦٧.

والأئمة عليهم السلام لم يكتفوا بمجرد الحثّ، وإنما نفذوا ذلك على الأرض، وبادروا إلى إقامتها، ودعوة شيعتهم إليها.

فكان الإمام الباقر عليه السلام يدعو الشعراء إلى بيته، فيدخل عليه الكميت ابن زيد الأسدي، ويدخل السيد الحميري، وشعراء آخرون، يرثُون الإمام الحسين عليه السلام بين يدي الإمام الصادق عليه السلام وهو يدعو أصحابه للاجتماع والبكاء. إذاً أصبح هناك مجلس حسيني هادف ومخّطط له، وهو يختلف عن المآتم التي كانت في أيام السبايا، ففي أيام السبايا كانت طبيعة المأساة هي التي تُبكي الناس، فيتفاعلون معها. وأما هنا فقد برزت مآتم يُدعى لها ويستجيب المؤمنون لدعوتها.

وقد يقال: إنّهُ كان من المتوقّع لواقعة كربلاء أن تنسى، فقد كانت مهددة بالنسيان فعلاً، ولكن الأئمة أرادوا أن يُبقوا جذوة كربلاء متّقدة في النفوس، لكي تبقى طاقةً تزّود الأمة بعطاء عاطفي ورشدٍ واعٍ، فيه حرارة وصدق مع مبادىء الإسلام والتضحية من أجله. نعم لقد أثمرت جهود الأئمة عليهم السلام في إبقاء واقعة كربلاء حيّة عبر شعائر عدّة، أهمّها المجالس والمآتم.

وقد نشأت في عهد الإمام الصادق عليه السلام، طبقة أو مجموعة من الناس، أطلق عليهم مصطلح: المنشدون، (المُنْشِد رجل يحفظ الشعر الرثائي في الحسين عليه السلام ويقرأه باسلوبٍ حزين). وهناك رواية أن الإمام الصادق عليه السلام تدَخّل حتى في كيفية انشاد القصيدة، ففي الرواية المشهورة حينما دخل أبو هارون المكفوف على الإمام الصادق عليه السلام، فالتفت إليه الإمام وهو يقول له: أنشدني في الحسين، ويبدو أنّ هيبة الإمام الصادق عليه السلام، قد جعلت هذا الرجل يقرأ القصيدة باسلوب قراءة شعرٍ عاديٍّ، قال: فأنشدته فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقّة - قال فانشدته:

أمرر على جدث الحسين وقـل لأعـظـمـه الـزكـيّـة

قال: فبكىٰ، ثم قال: زدني، قال: فانشدته القصيدة الأخرى. قال: فبكى، وسمعتُ البكاء من خلف الستر»(١).

وكأن لسان حاله عليه السلام يقول: نعم لا أكتفي منك أن تقرأها بالطرق العادية، إقرأها بالطور المُبكي إقرأها باللحن المشجي بالأسلوب الحزين.

ويعلق السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله على هذه الرواية بقوله:

«قوله عليه السلام: بالرّقة - بكسر الراء المشددّة - أي بالطريقة التي تستعملونها عند الإنشاد، التي فيها الرّقة والطلاوة، والتي توجب التأثير في القلب، لا مجرد التلاوة»(٢).

إذن لقد نشأت في عهد الإمام الصادق عليه السلام طبقة تسمى بالمنشدين، والمنشدون هم أناس اختصوا بإنشاد قصائد رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فبرز هناك إذن تخصص. ولقد خطى المنبر الحسيني أولى خطواته، حينما برز في المجتمع أناس متخصصون بقراءة القصائد الرثائية، ولم يكن في المجالس حينذاك موضوع ولا تخلّص ولا مصيبة، كانت هناك قصيدة فقط ولم يكن يقرأ غيرها، وفي موازاة هؤلاء المنشدين نشأت طبقة أخرى تسمى بالقصّاصين.

والقصاصون هم الذين كانوا يسردون على الناس قصة واقعة كربلاء، بما يعرف بالسيرة أو مصرع الحسين عليه السلام. فيقصوّن على الناس؛ كيف خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة بعدما رفض بيعة يزيد، كيف وصل إلى مكة؟ ماذا جرى في مكة؟ ما هي أحداث الطريق من مكة إلى كربلاء؟ ماذا حصل في كربلاء؟ أحداث عاشوراء يوم عاشوراء ثم أحداث ليلة

(١) الصدوق: ثواب الأعمال، ص ١١١.
(٢) السيد الأمين: اقناع اللائم، ص ١٨٦.

أحداث ليلة عاشوراء، ثم أحداث يوم عاشوراء ومصارع الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ثم الأحداث بعد المصرع، بعد ذلك السبايا، وماذا حصل في الكوفة؟ ماذا حصل في الشام؟ خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام، خطبة السيدة زينب عليها السلام، الرجوع من مكة إلى كربلاء، من كربلاء إلى المدينة. مع بيان كل ما جرى مع الإمام الحسين وأصحابه قبل المعركة وبعدها، وهذا يسمى كما ذكرنا بالسيرة أو المصرع.

إذن؛ القصّاصون كانوا يقرأون ويقصون على الناس، ما الذي حدث في كربلاء، ثم تطوّر الأمر ثم بعد ذلك حيث اندمج هذان العنصران في شخص واحد، فصار المُنشِدُ يقرأ شيئاً من هذه السيرة.

وبعدها لا بد أن يقرأ معها شيئاً من الشعر، فبدأت الخيوط الأولى تتجمع لقارىء العزاء، لبروز الخطيب الحسيني، حيث أصبح يقرأ القصيدة والسيرة معاً.

ثم حدث تطوّر مهم في المساحة التي يتناولها المنبر الحسيني، حينما أضيف إلى رثاء الإمام الحسين عليه السلام رثاء بقية أهل البيت عليهم السلام (١).

ولعل من أبرز النصوص في هذا التطوّر، هو قصيدة دعبل بن علي الخزاعي، التي أنشدها في حضرة الإمام الرضا عليه السلام، والتي لم يُركّز فيها فقط على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وإنما كان يعرّج على مصائب أهل البيت عموماً، وهو التطور الذي وسّع من دائرة المنبر ليشمل بقية مظلوميّات أهل البيت ثم ربطها بمصيبة الحسين عليه السلام.. ومن أبيات تلك القصيدة:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصاتِ

ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفناتِ

---

(١) راجع الأثر القيّم للشيخ محمد مهدي شمس الدين «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي».

قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخٍ نالها صلواتي
وقبرٌ بأرض الجوزجان محلّهُ وقبرٌ ببا خمرا لدى الغربات
وقبرٌ ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن بالغرفات

ويومها بكى الإمام الرضا عليه السلام ثم قال: أضف إلى قصيدتك هذا البيت:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالزفرات

قال: يا بن رسول الله ما عهدت لكم بطوس قبراً، قال الإمام الرضا عليه السلام: إنه قبري يا دعبل، وسيكون مثابة لشيعتي «من زارني في غربتي زرته في غربته يوم القيامة».

بعدها قال الإمام الرضا عليه السلام: يا دعبل عرّج بنا على كربلاء.

ولعلّ التفاتة الإمام الرضا عليه السلام هذه، تعتبر أول توجيه في الربط بين مصائب أهل البيت وأحداث كربلاء، والذي كان تطوّراً مهمّاً في المنبر الحسيني لما قلنا.

وبالمناسبة فإن بعض الخطباء يسمون فقرة التخلّص - التي سيأتي بيانها - بالتعريج، حيث يُعرِّج أي ينتقل الخطيب من موضوع إلى آخر.

وعرِّج بنا على كربلاء؛ تعني أوصلنا إلى كربلاء. وفي تلك الساعة، قال دعبل:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات

إلى آخر القصيدة[1]...

ثم أن هناك تطوراً مهمّاً آخر حدث للمجلس الحسيني، حينما دخل

(١) يمكن أن يكون هذا الدرس مادّة لمجلس حسيني متكامل ينتهي بقصيدة دعبل الخزاعي.

موضوع الوعظ في مجالس الحسين عليه السلام. فأصبح خطيب المنبر الحسيني، يقرأ قصيدة ثم يذكر شيئاً من حديث الوعظ والتذكير بالآخرة والزهد، ثم يعرّج على كربلاء.

وهكذا بدأ البحث يدخل في هيكلية خطب المنبر الحسيني، كفقرة من فقراته المتطوّرة.

لقد لاحظنا خطوات التطوّر هذه، فالمنشد كان ينشد قصائد الرثاء، ثمّ وسّع من دائرة عمله ليضيف إليه حفظ نصوصٍ من السيرة الحسينية، ثم سيرة أهل البيت عليهم السلام ورثائهم، وأخيراً شمل التطوّر ذكر المواعظ وأخبارها.

ثم حدثت بعد ذلك تطورات أخرى وتراكمت الخبرات إلى أن وصل الخطيب الحسيني إلى المستوى الذي فيه الآن. فعندما نستمع إلى مجلس حسيني لخطيب حسيني معاصر مُجيد، وإذا به محاضرة متكاملة نجد فيها جوانب من: الفقه والأخلاق والفلسفة ونماذج من العلوم المختلفة، وتفسير القرآن والثقافة العامة والتأريخ، بحيث يخرج منها المستمع متعلّماً ومستفيداً.

وحتى نعرف مقدار السعة التي بلغتها معلومات الخطباء، نذكر مثلاً لأحد الخطباء المبدعين، وهو السيد صالح الحلي رحمه الله، الذي سبق أن أشرنا إليه في درسنا السابق، والذي كان أحد الخطباء المعروفين. وكان قد دعي في النجف الأشرف، لإقامة مجالس لعشرة أيام، في النجف، يقيمه المكاريّون؛ وهم الذين يتولون مهمة نقل البضائع والمسافرين، على دوابهم قبل شيوع السيارات من النجف وإليها. فدعي السيد الحلي لكي يقيم لهم مجلساً لعشرة أيام. وتستمر مثل هذه المجالس، من أول محرم إلى الثلاثين من صفر؛ أي ستين يوماً متتالياً ليلاً ونهاراً، وجرت العادة أن يستمر

المجلس الواحد لعشرة أيام أو ليالٍ، فهناك مجلس للعشرة الأولى من المحرم ومجلس للعشرة الثانية منه، وآخر للثالثة وهكذا بالنسبة لشهر صفر وربّما شهور أخرى.

ولمّا ارتقى السيد صالح الحلي المنبر، لم يخرج في مجلسه هذا وطوال عشرة أيام، عن موضوعات وأخبار القوافل وما قيل في الجمال والخيول والبغال والحمير؛ من شعر ونوادر أدبية وأحاديث وقصص.. فتعاظمت هناك حشود كبيرة من الحضور، يستمعون إلى محاضراته ويستمتعون بها وبشكل مذهل[(١)].

إنَّ مجالس الإمام الحسين عليه السلام لم تعدُ مجالس عزاء فقط، وإنما تطوّرت لتكون إضافة إلى ذلك مجالس لتربية الأمة. إن المنبر الحسيني الذي بدأ بتجمع بسيط في منزل الإمام الباقر أو الصادق أو الرضا عليهم السلام، قد وصل إلى هذه المستويات المتطورة من الطرح، حتى صار مؤسسة تربويّة ثقافيّة كبرى، تعالج مشكلات الإنسان المسلم وشؤونه المختلفة. وإن على تلامذة المنبر الحسيني أن يستوعبوا هذه المسيرة، حتى يعوا دوره الذي ينبغي النهوض به، والإحاطة بالبرنامج والموضوع الذي يسعون لطرحه. وإنها مسؤوليتنا جميعاً، نسأله تعالى أن يعيننا على أدائها.

والحمد لله رب العالمين



(١) الأستاذ جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم.

الدرس الرابع

خطابة المنبر الحسيني

تختلف الساحات في مستوى وعي دور المنبر الحسيني، حيث نجد أن خطيب المنبر الحسيني في مجالس العراق، وبلدان الخليج والمناطق العربية في إيران، وكثير من المهاجر، هو المتحدث الأول والأخير ولا يشاركه غيره، ولهذا فالمسؤولية التي تناط بخطيب المنبر الحسيني، هي أعظم من مسؤوليته في مجالس بُلدان أخرى، حينما يشاركه متحدث أو خطيب آخر. ومع ذلك فإن ما يطلب من خطيب المنبر الحسيني اليوم، هو غير ما كان يطلب منه بالأمس - إذ كان دوره محصوراً في الجانب المأساوي من واقعة كربلاء - وما قد يُطلب منه غداً، مع اتساع مساحة الوعي، وتعاظم التحدّيات على أنواعها، وتنوع المعالجات التي يتناولها، مما يعني دوراً أعظم، ومسؤولية أدق.

وإنّ مما يزيد في مسؤولية المنبر الحسيني من جهة، وحسّاسيته من جهة أخرى، إتساع الدائرة التي يخاطبها خطيب المنبر الحسيني. فبعدما كانت المجالس الحسينية، محصورة في الحسينيات، والقرى أو المناطق والأحياء الضيقة، راحت اليوم تنطلق لتغطي مساحات هائلة؛ عبر الإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية.

إنّ على خطيب المنبر الحسيني، أن يراعي جانبين يسعى لكي يشبع كلاً منهما، في محاضراته ومجالسه.

الجانب الأول: جانب العاطفة الحسينية وإذكائها بأسلوب فنيٍّ مهذب، يراعي فيه كرامة أهل البيت عليهم السلام، في حسن اختيار المفردة الشعرية

المناسبة، وسرد المصيبة الملائمة. وبالأطوار والأساليب الحزينة، التي تسهم في البكاء والتباكي على الحسين عليه السلام، والذي ورد في ثوابهما العديد من روايات وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام. ويُعتبر هذا البكاء وهذا الحزن عند ذكرنا لواقعة الطف، سرّاً من أسرار هذه النهضة الخالدة، وأسباب خلودها على حدّ سواء.

الجانب الثاني: جانب الفكرة والموعظة والطرح، الذي ينبغي أن يوليه خطيب المنبر الحسيني اهتمامه وبحثه، وهذا منطلق من الفكرة الرائعة التي تقول: أن الحسين عليه السلام عَبرة وعِبرة، دمعة وفكرة...

إن دروسنا في الحلقات القادمة ستتناول، إن شاء الله تعالى، فقرات المنبر الحسيني، من حيث «المقدمة» التي يتميز بها عن بقية المنابر، ثم «القصيدة» التي يبدأ بها الخطيب مجلسه الحسيني عادة، وبعدها ندخل إلى فقرة «المحاضرة والبحث»، الذي ينبغي على خطيب المنبر الحسيني أن يوليها مزيد اهتمامه في مجالسه، ولا يبقى مجرد حافظ لأشعار الرثاء، ومردّدٍ لما يسمعه من ألسنة أو تسجيلات مشاهير الخطباء، بل عليه أن يتعب نفسه في المطالعة والقراءة والمتابعة، لكل جوانب الثقافة وموسوعيّة المعلومات؛ التي يمكن توظيفها في إعداد خطبة المنبر الحسيني ومحاضرته. فيما سنتوقف بعد ذلك عند فقرتي «التخلّص» و «المصيبة» في دروس أخرى.

إن على خطيب المنبر الحسيني، أن يولي كلا الجانبين اهتمامه ورعايته، فهو من جانب يهيىء محاضرته ويكتب بحثه، ويتعب نفسه في طرح الموضوعات واختيار الأبحاث، شأنه شأن أيّ محاضر وكاتب ومؤلف... ويزيد عليه في اهتمامه بالجانب الفني في خطبة المنبر الحسيني، من اقتناص للشواهد وتوظيف للأرقام والمعلومات، من جهة،

واختيار القصائد المناسبة من الشعر العربي الفصيح «القريض» والأشعار الشعبية ذات المضامين الجيّدة، من جهة أخرى. إضافة إلى انتقائه الطور المناسب، والطريقة الملائمة في إنشاد هذه الأشعار وقراءتها، بالأساليب والأطوار التي يألفها المنبر الحسيني. والتي تسهم وإلى حد كبير في إذكاء العواطف، وتهييج النفوس، وتأجيج المشاعر، باتجاه الحسين عليه السلام وشهادته وأحزانه، كي يبقى ذلك التناغم الرائع، بين الفكرة الرسالية والعاطفة الهادفة.

ولهذا فإن بين خطيب المنبر الحسيني، وعموم الخطباء والمتحدثين، ما يمكن أن نطلق عليه نسبة العموم والخصوص مطلقاً في عرف المناطقة، حيث أن على خطيب المنبر الحسيني أن يسعى لإعداد محاضرة بكل شرائط نجاحها، وجعلها ذات فائدة وعطاء ككلّ خطيب أو متحدث. ويزيد عليه اهتمامه بالجانب الفني والعاطفي في المنبر الحسيني، إذن فكل خطيب منبر حسيني هو محاضر، ولكن ليس كل محاضر هو خطيب منبر حسيني.

وستتضح في الدروس القادمة الخطوات الأساسية، التي نأمل أن تسهم في تسليط الضوء، على الكيفية التي تمكّن خطيب المنبر الحسيني المبتدىء، وكل من يرغب بأن يكون من خدمة هذا المنبر وخطبائه، من إعداد وكتابة محاضرة مناسبة للمنبر ورسالته.

إن هناك فروقاً، أكثرها فنيّة وعرفيّة - حيث أن للمنبر الحسينيّ تقاليدَ وأعرافاً خاصة به - تميّز خطبته، عن أي محاضرة أو خطبةٍ أخرى، وسنسعى لبيان هذه الفروقات في دروسنا.

وبعدما مررنا بموضوع مراحل تطور المنبر الحسيني، نريد التوقف في درسنا هذا عند المنبر الحسيني وأقسامه، وما تتميز به خطابة هذا المنبر المبارك.

إن خطابة المنبر الحسيني تعتبر من أقسام الخطبة الدينية، شأنها شأن خطبة الجمعة وخطبة العيدين.

إلا أننا سوف نجد أن خطيب المنبر الحسيني، يحتاج إلى كلّ ما يحتاج إليه الخطيب الديني وزيادة.

فخطبة المنبر الحسيني قسم من أقسام الخطبة الدينية، حسب المفهوم، إلا أن مساحة ما تتناوله خطبة المنبر الحسيني من أبحاث، قد تكون أوسع مما تتناوله الخطبة الدينية المألوفة (كما مرّ). إضافة إلى سعة دائرة المتلقّين للمنبر الحسيني، حيث يحصر منبر الجمعة بالمساجد، فيما ينطلق المنبر الحسيني إلى آفاق أوسع، تشمل المساجد والحسينّيات والشوارع والساحات العامّة وغيرها.

وعلى هذا فيمكن أن نعّرف خطبة المنبر الحسيني؛ بأنها قسم خاص من أقسام الخطبة الدينيّة، ولها مقدمة خاصّة تميزّها عن بقية الأقسام، وتتلى بإنشادٍ خاص، ثم تختتم بأبيات رثاء بأطوار خاصة، ويقع بينهما موضوع البحث الذي قد تشترك فيه مع بقيّة أقسام الخطبة الدينية الأخرى.

وستتضح الصورة وبشكل جلّي في الدروس القادمة إن شاء الله تعالى.

ولقد مرّ المنبر الحسيني وخطابته، بتطورات نوعيّة عبر تاريخه الطويل، الذي بدأ بُعيد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وحتى وصوله المرحلة التي بلغها في عصرنا الحالي، والتي تعتبر أرقى ما وصل إليه المنبر الحسيني في تطورّه كما مرّ بيانه، وتتألف فقراته التي تشكل هيكليته حالياً مما يلي:

١ - المقدمة.
٢ - القصيدة.
٣ - المحاضرة: «البحث» أو «الموضوع».
٤ - التخلّص.

٥ - المصيبة.

٦ - الدعاء.

وسنحاول في دروسنا هذه بيان هذه الفقرات، بما يجعل الصورة واضحة للمهتمين بشؤون المنبر الحسيني والباحثين عامة، وللطلبة الراغبين باعتلاء أعواده ليكونوا خطباءً له، بشكل خاص.

إنّ خطبة المنبر الحسيني، تتميّز عن بقية أقسام الخطبة الدينية ببعض المميزات، حيث ذكرنا: أن بين خطبة المنبر الحسيني وعموم الخطبة الدينية ما يعرف في علم المنطق بـ«نسبة العموم والخصوص مطلقاً»، كما مرّ بنا - إذ أن خطبة المنبر الحسيني تتوافر على كل شرائط الخطبة الدينيّة مع إضافات وميّزات لا يحظى بها سوى خطيب المنبر الحسيني. وسيتضح ذلك في توقفنا عند الفقرات، التي تتألف منها خطبة المنبر الحسيني، وهي:

١ - المقدمة...

مما يميّز خطبة المنبر الحسيني نحوٌ خاص من المقدمّات، التي يبدأ بها خطيب المجلس. حيث لا بدّ من أن يخصّ الإمام الحسين عليه السلام بصلاة خاصة، ثم لا بد أن ينهي المقدمة بالجملة التي حفظتها جماهير المنابر الحسينية، وهي: (يا ليتنا كنا معكم سادتي - أو سيدي - فنفوز فوزاً عظيماً).

إن هاتين الجملتين أساسيتان في المقدمة: (صلى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله) و(يا ليتنا كنا معكم...) وقد تسبق ذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام. وهذه المقدمة، وبمجرد أن يسمعها من يعي هذه الأجواء ويألفها، فإنه يتبادر له فوراً أنه في مجلس حسيني،

وليس في محاضرة ما. والمقطع الأخير منها مستلّ من وصية الإمام الرضا عليه السلام، للريّان ابن شبيب: «يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب، ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً»[1] كما أن من المعلوم أن القرآن الكريم سبق أن ذكر هذه الصيغة في الآية المباركة: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2].

كما قد تبدأ هذه المقدمّة بالبسملة أو الحمد لله تعالى، ثم تأتي بعدها الصلاة... ولكن كلّ ذلك لا يعتبر أساسياً، أو مميزاً لمقدمة المنبر الحسيني، إنّ الذي يمّيزها هو إفراد صلاة خاصة بالإمام الحسين عليه السلام، التي قد يضاف إليها ألفاظ ونعوت، يميل إليها بعض الخطباء فيما يميل غيرهم إلى غيرها، مثل أن يقال بعد الصلاة على الإمام الحسين عليه السلام: السلام عليك أو صلى الله عليك، يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة، أو يا صريع الدمعة الساكبة وصاحب المصيبة الراتبة، أو يا مظلوم كربلاء... أو قد تضاف فقرة... صلى الله عليك وعلى المستشهدين بين يديك، وخاصة في مجالس أيام عاشوراء. ثم لا بد أن يختتم كل ذلك بـ (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)، كفصل لا بدّ منه كما مرّ بيانه.

ثم أن بعض الخطباء لهم مقدمة ثابتة، لا يغيّرونها مع اختلاف المناسبات أو المواسم الخطابية. وبعضهم يخصّ مجالس عاشوراء بفقرات يضيفها للمقدمة.

بينما نجد بعض الخطباء يكتفي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، ثم يختم

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ٢/ ٢٦٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٣.

مقدمته بـ(يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً). وذلك في مجالس وفيّات النبي ﷺ وبقية المعصومين عليهم السلام، دون أن يخصّ الإمام الحسين بمقدمة خاصة، كما هو المألوف في كل المجالس الحسينية، وهم قلّة نادرة في الخطباء.

إن اختصاص خطبة المنبر الحسيني بفقرات خاصة، يعتبر أول ما يميزّها عن بقية أنواع الخطبة الدينية، وهناك مميّز آخر لها، وهو أنه لا بد من تلاوة فقرات هذه المقدمة بطور معين وأسلوب خاص، ولا يكتفي بقراءتها بصورة عاديّة، كما يبدأ بقية خطباء الخطب الدينية الأخرى.

إذن، فإن مقدمة خطبة المنبر الحسيني تتميز بأمرين هما:

١ - تشمل فقرات خاصة بها، تخرجها من أي مقدمة خطبة دينية أخرى.

٢ - لا بد من تلاوتها بطور خاص وأسلوب معيّن.

إن فقرة المقدمة، من التطورّات الجديدة التي طرأت على المنبر الحسيني، حيث خلت الكتب الخطابية القديمة منها، ولعل آخر ما وصل إلينا من تلك الكتب هو كتاب «المُنتخب» لفخر الدين الطريحي والذي يعرف «بالفخري» أيضاً.

وبعد فقرة المقدمة، تأتي الفقرة الثانية، وهي فقرة القصيدة.



○ ٢ - فقرة القصيدة:

لقد كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، من جهة، وأخذ أهله وعياله سبايا من جهة أخرى، سبباً بالغ الأثر

في هذا الاندفاع الأسطوري لرثاء شهداء كربلاء، حيث ما فتىء الشعراء ومنذ صدمتهم الأولى، بما جرى أيام عاشوراء سنة ٦١هـ وحتى الآن، بل وإلى قيام الساعة، يبادرون إلى ترجمة عواطفهم، وعميق تأثرهم، وشدّة انفعالهم، بقصائد أخذت مأخذها في تهييج المشاعر، وإرهاف الحس، وشدّة الإندفاع، في إقامة المآتم الحسينية. ومنذ أن راح الأئمة عليهم السلام، يحثّون الناس على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، نراهم في الوقت نفسه يحثون على قول الشعر وإنشاده.

ولا أحسب أن شخصية غير الحسين عليه السلام أو حادثة غير واقعة كربلاء، قد حظيت بهذا الاهتمام الكبير، من قبل أعاظم الشعراء والمبرزين منهم وعلى طول التاريخ!.

وقد امتدّ الرثاء من اللغة العربية إلى بقية اللغات؛ كالفارسية والتركية والأوردّية، حيث توقف الشعراء عند كلّ مقاطع أحداث كربلاء، وأشبعوها عاطفة ولوعة وشجًى. . . ولقد بلغ من سعة ما كتب من شعر باللغة الأورديّة - كمثال - إن هناك مادة دراسيّة، تدرَّس في كليات الآداب بالجامعات الهندية، تحت عنوان «مرثية» ويعنون بها قصائد الرثاء الحسيني[1].

إن تنوع المواقف والأحداث والأخلاقيات، وأطراف أحداث كربلاء، جعلت منها مادةً خصبةً غنيّةً متنوعة الأبعاد، تغري الشعراء بالانفعال بها، وترجمة ذلك شعراً رقيقاً حزيناً عميق التأثير، وفي أدق أحداث الطف.

وكل هذا أسهم - من جهة أخرى - في توفير مادة غنيّة وواسعة لخطباء المنبر الحسيني، مكّنتهم من معالجة مختلف المناسبات والمواسم، التي

(١) في مقابلة شخصيّة مع سماحة السيّد محمد الموسوي رئيس علماء الهند.

يغطيها المنبر الحسيني بالشعر الرثائي المناسب، حتى ألّفت مجموعات شعرية ضخمة جمعت أبرز القصائد الرثائية، ولأشهر الشعراء المجيدين في هذا الحقل المميّز. وعلى سبيل المثال: موسوعة شعراء الطف للخطيب الحسيني الشهيد السيد جواد شبّر، ورياض المدح والرثاء للشيخ حسين البحراني، والدرّ النضيد للعلامة السيد محسن الأمين العاملي، وشعراء الحسين للخطيب الرسالي الشيخ جعفر الهلالي، وغيرهم.

ثمّ إن هناك بعض القصائد قد حازت بقصب السبق؛ حيث راح خطباء المنبر الحسيني، يولونها عناية خاصة؛ لما تضمنته من أبعاد فنيّة وعاطفية، مكّنتها أن تفوز باختيار الخطباء الحُسينيين، وبمستوى لم تحظ به قصائد أخرى.

ونقصد بالأبعاد الفنيّة: أن تبدأ القصيدة بما ألفته القصائد العربية العريقة؛ من وقوف على الديار، وتذكرّ الأحبة، والبكاء للفراق، ثم يعرّج بعد ذلك، على كربلاء وأحداثها.

وأما الأبعاد العاطفية فنعني بها، نجاح القصيدة في إذكاء حرارة الحزن وتهييج الشجى، عبر اختيارها ألفاظاً مميزة في سباكة ملفتة، تناغم الروح العاطفية الحزينة، في تعبير وجداني صادق عن ولاء النبي ﷺ المظلومين عليهم السلام.

وتبرز أهميّة جمالية الصوت وشجائه، عند انشاد القصائد الحسينيّة، كما يبرز - كذلك - مدى تمكّن الخطيب من الأطوار وطرائق الانشاد الحسيني الحزينة.

إن اجتماع الشروط الفنيّة والشروط العاطفية، جعل المنبر الحسيني يُركّز على بعض القصائد الرثائية، التي تعود إلى مجموعة من الشعراء، ومن

أبرز هؤلاء الشعراء من قدامى ومعاصرين. . قصائد الشريف الرضي، وتائية دعبل الخزاعي، وقصائد السيد حيدر الحليّ، والسيد جعفر الحليّ، والحاج هاشم الكعبي، والسيد رضا الهندي، وآخرين، رحمهم الله جميعاً.

والحمد لله رب العالمين



الدرس الخامس

فقرات المنبر الحسيني

لقد مرّ بنا أن المنبر الحسيني، أول ما بدأ، إنما كان بقصيدة تتلى أو تنشد أمام أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث تأخذ العواطف مأخذها والدموع مجاريها... وهذا واضح في المصادر المهتمة بهذا الأمر، ككتاب (الكامل في الزيارات) لابن قولويه، وفيما ذكرته المصادر الأدبية في تراجم الشعراء الراثين للإمام الحسين عليه السلام (راجع معجم الأدباء للحموي، والأغاني للاصفهاني وغيرهما).

ولم تنقل لنا تلك المصادر؛ الكيفيّة أو الأطوار التي كانت تلك القصائد تتلى بها، ولكنها ما كانت - وحسب المتوقع - لتتجاوز طرائق العرب في الحداء والنوح، وفي تحسين مطلوب للصوت وتجويد للأنشاد. كما في رواية دخول أبي هارون المكفوف على الإمام الصادق عليه السلام. حيث أنشده قصيدة للسيد الحميري:

أمرر على جدث الحسين	وقل لأعظمهِ الزكية
يا أعظماً ما زلت من	وطفاءَ ساكبةٍ رويّة
وإذا مررت بقبرهِ	فأطل بهِ وقفَ المطيّة
وابكِ المطهّر للمطهّر	والمطهّرةِ النقيّة
كبكاء معولةٍ أتت	يوماً لواحدها المنيّة

حيث التفت إليه الإمام عليه السلام، ليطلب منه أن يقرأها بالرقّة والأسلوب العاطفي الحزين وكأنه عند قبر الحسين عليه السلام [1].

(١) راجع الكامل في الزيارات. (مرّ بنا النصّ في الدرس الثالث، فراجع).

إن تحسين الصوت أمر مطلوب، جاء التأكيد عليه، في تلاوة القرآن الكريم، والأدعية المأثورة. وقد نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام، أنه كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم، وكان إذا قرأ القرآن انقطع الطريق وتجمّع السقّائون على داره يستمعون لقراءته...

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام الحثّ على أن يقرأ القرآن بألحان العرب وطرائقها... وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إقرأوا القرآن بحزن».

وهذا ما يرجّح أن الأطوار التي كانت تستخدم في الرثاء الحسيني، لم تكن تتجاوز تلك الطرائق ولو في بداياتها...

ولسنا هنا معنيين بمتابعة هذه الطرائق والأطوار، التي كانت أسلوباً لإنشاد قصائد الرثاء، ولكنها مجرد إشارة تاريخية لموضوع درسنا.

واليوم، فإنّ هناك أطواراً عدّة يزخر بها المنبر الحسيني المعاصر، ترجع إلى المقامات المعروفة، حيث تشترك مع بعض أساليب وطرائق تلاوة القرآن الكريم، أو الأدعية المأثورة..

ولست أجد من المناسب أن نثقل كاهل الطالب وذاكرته، بأنواع الأطوار ومختلف طرق النعي والإنشاد الحزين... فلسنا هنا بصدد إعداد دراسة مفصّلة عن جميع أساليب الإنشاد، التي يألفها المنبر الحسيني، بل هدفنا أولاً؛ أن نمكّن الطالب من إنشاد القصيدة، بالطريقة التقليدية الصحيحة، التي عليها المنبر الحسيني، ونبدأ معه ببعض أطوار من أكثرها شهرة واستعمالاً... كبداية، ثم له - بعد ذلك - من أن يطوّر نفسه، شيئاً فشيئاً مع ازدياد تجربته في الخدمة الحسينية، حيث يقوى على تنويع طرائق الإنشاد الرثائي، وبما يتناسب مع أوتاره الصوتية، وطول نَفَسِه وأمور أخرى، مثل شيوع أطوار خاصّة ببعض المناطق التي تعيش أعرافاً تاريخية للمنبر الحسيني.

إن أول الخطوات الفنيّة في المنبر الحسيني، هي أن يتكوّن لدى الطالب ذوقٌ إنشادي خاص، وتمكّن وتناغم بعد ذلك، مع الطرائق التقليديّة والأساليب المتّبعة، والتي يألفها خطباء المنبر الحسيني وجمهوره على حدّ سواء. ولهذا فإن هذه الخطوة، تكون سهلةً ومتيسّرة، في البيئة التي تكثر فيها المآتم الحسينية، حيث تألف الأذن وينسجم الذوق، مع أساليب إنشاد القصائد الرثائية، في الإمام الحسين عليه السلام. وحيث ينشأ الأطفال وهم يترددون على المجالس. الحسينية مع آبائهم.

بينما تكتنف هذه الخطوة بعض الصعوبات، بالنسبة للطالب الناشيء في بيئةٍ قليلةِ المآتم، شحيحة المجالس إن لبعض أطوار إنشاد القصائد الرثائية، حضوراً خاصاً في بعض المناطق، دون أخرى، ومناسبات دون ثانية. كما أنّ تمكّن بعض الخطباء من حُسن إنشاد القصيدة الرثائية وباوتار صوتية نديّة، يفتح أمامه الباب واسعاً في اعتلاء الأعواد، حتى مع فرضية تواضع معلوماته، ونجد ذلك واضحاً في المجالس البيتيّة ومجالس القرى.

وعموماً فإنه يمكن لنا، أن نجزِّئ طريقة إنشاد قصيدة الرثاء الحسيني، إلى مقطعين على الأقل، ويمكن أن تكون ثلاثة مقاطع، وفي حالات نادرة إلى أربع مقاطع، عند الخطيب المتمرِّس الذي يحظى بجمهور حسيني، يحسن معه الترديد والأنين، ممّا يدفع الخطيب إلى مزيد إبداع فني.



○ المقطع الأول:

إن خطيب المنبر الحسيني، وبعد أن ينهي فقرة المقدمة - السابقة الذكر - يشرع بقراءة القصيدة وإنشادها، وهنا لا بد أن يبدأ الإنشاد بصوت هاديء وبأسلوب وطريقة لا تفاجيء روّاد المجلس. . . وهذا الأمر تقتضيه

طبيعة الأشياء والحكمة كما يقال. . . إذ ليس من المستساغ، أن يبدأ أي خطيب أو متحدث، حديثه بنبرات قوية وصوت مرتفع، هذا في حالة الحديث فكيف بإنشاد قصيدة. ويقوم طور إنشاد القصيدة وأسلوبه فيها، بدور كبير في جلب اهتمام الجمهور لها، وانفعالهم بها وإصغائهم إليها. ويمكن أخذ أسلوب قرّاء القرآن الكريم، وهم يجوّدون آياته المباركات، مثالاً واضحاً في هذا السياق.

وهذا الطور الذي يبدأ به خطيب المنبر الحسيني قصيدته، هو ما يعرف بطور «الدَرْج» بتسكين الراء، وربما يلفظ ببعض اللهجات الشعبية بـ«الدَرِج» بكسر الراء، وأصله مأخوذ من دَرَجَ الصبيُّ، إذا أخذ بالمشي ببطء وهدوء. . . وهو المطلوب من الخطيب، إذ عليه أن يبدأ قصيدته بأسلوب إنشاد هادىء ومريح للجمهور؛ فكأنه يرتقي «دَرَجاً»، يبدأ من المرقاة القريبة، ثم يعلو شيئاً فشيئاً.

وتتنوع طرق قراءة طور الدرج هذا، فإذا استمعنا لأساتذة المنبر الحسيني اليوم، أو حضرنا مجالس شيوخ الخطباء، اكتشفنا تنوع أساليبهم، ليس في طور الدرج فقط بل وفي بقية الأطوار، حيث يترك كل خطيب متمرس بصمات إنشاده الخاص على الطور، بما يتحول تدريجياً، إلى تميز أسلوب الخطيب، عن أسلوب خطيب آخر. فيقال مثلاً: هذا أسلوب الشيخ الوائلي، أو أسلوب الشيخ النُويني، أو أسلوب الشيخ هادي الكربلائي وهكذا. . وذلك حينما يُسمع الخطيب وهو ينحو منحىٰ أحد هؤلاء الخطباء الأساتذة.

ويستمر الخطيب بالتزام طور الدرج، لعدة أبيات في مقدمة القصيدة، لا تقل - كحدٍّ أدنى - عن ثلاثة، وهي تبدو قليلة مع ذلك. .

كما يمكن أن تمتد إلىٰ عشرة أبيات وربّما أكثر، وذلك حسب طول القصيدة التي يزمع الخطيب قراءتها.

بل قد يستولي طور الدرج على تمام القصيدة، إذا كان محتواها فضائلياً (أي تتحدث عن فضائل النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام). أو حماسياً أو مناقبياً؛ أي تكون خالية من التعريج على مصائب كربلاء وأحزانها، وهي قصائد قليلة جداً. ضمن ملف القصائد الحسينية التي يتبناها المنبر الحسيني. ولعلّ من أبرز هذه القصائد، ما يعود إلى بعض الشعراء المعاصرين؛ ومنها على سبيل المثال عينيّة الجواهري.

والنقطة الفنية المعتمدة في إنهاء دور الدرج، الذي تبدأ به القصيدة، ومن ثم الانتقال إلى الطور الثاني، وهو طور (المُثكل)، هو انتقال القصيدة نفسها، من موضوعها الذي كان يتناول الذكريات والأطلال، وتذكُّر الأحبة وما إليها من موارد، إلى كربلاء وأحداثها ورموزها.

وكمثال توضيحي لما بيّناه، نذكر قصيدة للمرحوم السيد مهدي الأعرجي:

رحلو وما رحلو أهيلُ ودادي — إلاّ بحسنِ تصبّري وفؤادي
ساروا ولكن خلّفوني بعدهم — حزناً أصوبُ الدمع صوب عهادِ
وخلت منازلهم فها هي بعدهم — قفرا وما فيها سوى الأوتادِ
يا دار أين مضى ذووكِ أمالهمْ — بعد الترحّل عنك يوم معادِ
يا دار قد ذكرتّني بعراصك الـ — قفرا عراصَ بني النبي الهادي
لمّا نأى عنها ابن بنتِ محمد — بالأهل والأصحاب والأولادِ

حيث تحظى الابيات الأربعة الأولى بطور الدرج، وهي أبيات تحكي الفراق وفقد الأحبة، وهو مما يسهم في إعداد التفاعل الوجداني المطلوب بعد ذلك مع آلام كربلاء. ثم يبدأ الخطيب بإستخدام طور المثكل إبتداءاً من البيت الخامس حيث جاءت أول إشارة إلى بيوت أهل البيت الخالية،

كما يمكن تأخير المثكل إلى البيت السادس، على أن يكون إنشاد البيت الخامس أشد حماساً بالدرج من الأربعة الأولى، ثم يستمر طور المثكل لعدة الأبيات.

إذن؛ إن طور الدرج تكون بدايته هي بداية القصيدة، ونهايته بداية ذكر أحداث كربلاء، حيث يتناغم تعريج القصيدة على كربلاء، مع ارتقاء الخطيب الحسيني وانتقاله، من طور «الدرج» الهادىء. إلى طور «المُثكِل» الشجيّ الحزين، ذي الإيقاع العاطفي الواضح، والذي يتطلب تجاوباً من الجمهور مع الخطيب، بالأنين والحنين. .



○ المقطع الثاني:

ونؤكّد مرة أخرى؛ أن «طور المُثكِل»، يكون بعد أن ينهي الخطيب إنشاد مقدمة القصيدة الرثائية، بطور (الدَرْج) الهاديء المسترسل الإنسيابي، وعندما تصل القصيدة إلى ذكر كربلاء أو مقدماتها وأحداثها، فلا بد للخطيب هنا أن يتوافق مع هذا الارتقاء، حيث يرفع من وتيرة صوته، ويوّدع طور الدَرج الذي بدأ به القصيدة، والذي أوصله إلى مستوًى يمكِّنه من رفع صوته، وتغيير نبراته، وترجيع الكلمات وترديدها بأسلوب شجيٍّ من جهة، وقويّ حماسي من جهة أخرى. . . حيث يبرز الطور الثاني وهو طور «المُثْكِل»، وهو كما يدل معناه على الثُكل «وهو الفقد» والحزن والفراق واللوعة. . . وكل مرادفات الحزن والوجد، الذي تختزنه لفظة «المُثكِل». وهنا يحدث تغيّر فني، في قراءة نفس البيت الشعري، إذ كان البيت بطور الدرج يُقرأ بأسلوب واحد في صدر البيت وعجزه معاً. أما في طور المُثكل فإن صدر البيت يقرأ بأسلوب، فيما يقرأ عجزه بأسلوب

آخر. . . حيث يقوم صدر البيت بعملية تهيئة وإعداد، لأذن المستمع وأحاسيسه، على حدّ سواء، للتصعيد القوي والحزين، الذي سيتولاه الشطر الثاني، من البيت «العجز».

والشطر الثاني بدوره، ينتهي بتوقّف بعد مدّ للصوت من قِبَل الخطيب، في آخر كلمة في البيت، ويفضّل أن يكون المدّ مع حرف من حروف المدّ «الألف، الواو، الياء»، فيجيبه الجمهور بصوت أنين يتناغم مع الأنة، التي يطلقها الخطيب في هذه النقطة. وحينما يرفع الجمهور صوته بالأنين فإن الخطيب يسكت ليسمح لصوت الجمهور بالارتفاع والبروز، وليتّم التجاوب العاطفي المنشود من جهة، ولكي يلتقط الخطيب أنفاسه، ويملأ رئتيه بالهواء، وبما يمكنّه من إكمال شطر الكلمة، التي توقف عندها، وبأسلوب المدّ أيضاً، ثم ليجيبه الجمهور مرة أخرى في نهاية البيت تماماً. . .

وهو أيضاً ما يُمكّن الخطيب كذلك، من التقاط أنفاسه ثانية، واستعداده لإنشاد البيت الثاني من طور المُثكِل، وهكذا. . .

وأقل ما يقرأ به طور «المثكل» هذا عادةً هو ثلاثة أبيات، وإلا فيمكن أن يقرأ بضعف هذا العدد أو أكثر، خاصة مع وجود خطيب متمرس يجيد هذا الطور، الذي قد يأتي بدوره، بأنحاء وأساليب متغيّرة، كاجتهادات صوتية - إذا صحّ التعبير - ضمن الأسلوب العام، الذي يحكم طور المثكل. . .فيقرأ أولاً بدرجة من القوة، ثمَّ يقرأ بدرجة أعلى منها.

وبعض الخطباء قد يكتفون بهذا الطور، حيث يُنهون قصيدتهم به، ثم يوردون ما يرونه مناسباً من أبيات الشعر الرثائي الشعبي؛ باللهجة العراقية أو اللهجة الخليجية، المعروفة بالطور البحراني أو الطور الفائزي، نسبة للملاّ ابن فايز الشاعر والخطيب المعروف. نعم قد يكتفي بعض الخطباء

بطورَي الدرج ثم المثكل فقط، خاصة مع المجالس التي لا تحسن التفاعل مع طور آخر بعد المثكل، أو أنها لا تعين الخطيب بترديد الأنين معه، حينها يستحسن للخطيب أن لا يُجهد صوته، لا سيما في مجالس العشرة الأولى من المحرم، بانشادهِ طوراً ثالثاً، فيكتفى بالدرج والمثكل فقط.

ولكن بعض الخطباء، وبما تمليه وتعتاده مجالس عريقة، تحتّم على الخطيب أن ينتقل إلى طورٍ ثالث، قد يكون هو الأكثر تهييجاً للعواطف واذكاءً للأحزان، وتحفيزاً وشدّاً للجمهور الحسيني. وهنا ينتهي درسنا هذا بعد إيراد عدة أمثلة عملية على هذا الانشاد، من قِبَل الاستاذ المدرّس. ولعلّ من المفيد الطلب من بعض الطلاب، إنشاد هاذين الطورين، بمحضر من الأستاذ وطلابّه.

والحمد لله رب العالمين...



الدرس السادس

فقرة القصيدة ومقاطع انشادها

نواصل في هذا الدرس ما سبق لنا بحثه في درسنا الماضي، حيث وصلنا إلى المقطع الثالث من طرق انشاد القصيدة. فقد التزمنا في بداية القصيدة، بالقراءة والإنشاد بالطور الهادىء، وهو طور «الدَرج». ثم كنا في المقطع الثاني، ملتزمين بالطور الذي يجعل الجمهور متجاوباً، مع الخطيب في إنشاده وأنينه وهو طور «المُثكِل».

أما في المقطع الثالث، من مقاطع إنشاد قصيدة الرثاء الحسيني، والتي قد يحتاجها الخطيب الحسيني، لمزيد من الإذكاء العاطفي والتفاعل الجماهيري، فإن الخطيب قد يختار فيها طريقة دون أخرى، أي أنه لا يعدّ ملزماً - بحسب أعراف المنبر الحسيني السائدة - بأن يقرأ المقطع الثالث من القصيدة بطور معيّن، بل له الخيار، بأن يختار الطور الذي يراه مناسباً، وقد يغيّره من قصيدة لأخرى، أو من مجلس لآخر، أو من بلد أو منطقة لأخرى.



○ فقد يُقرأ المقطع الثالث بأحد هذه الأطوار:

أ - **طور الحدي**... والذي قد يكون من أقدم الأطوار وأعرقها؛ لأنه يناسب ألحان العرب القديمة، وطرق حدائها للقوافل والأبل. ولهذا الطور جمهوره المتعلق به، وخاصة في مجالس منطقة الخليج، حيث يصل التجاوب فيه مع الخطيب إلى أقصاه. وهو طور حزين يعين كثيراً على استدرار الدمعة وإذكاء العاطفة.

ب - طور التخميس. . . ولعله من أكثر الأطوار - إن لم يكن أكثرها على الإطلاق - شهرةً، إذ يتناسب مع قراءة أبيات النعي بالفصحى «القريض» أثناء المصيبة في نهاية المجلس الحسيني، وبه تقرأ كذلك الأبيات المخمَّسة (أصلها بيت شعر تصاغ ثلاثة أشطر على وزن وقافية الشطر الأول منه، فيكون المجموع خمسة أشطر فيسمى بالتخميس). كمثال: نأخذ أحد الأبيات الرثائية المشهورة مثل:

إنسان عيني يا حسين أخّي يا　　　أملي وعقد جماني المنضودا

للشاعر الحاج هاشم الكعبي رَحِمَهُ اللهُ:

فيكون التخميس كالتالي:

هذي عيالُك بالطفوفِ بواكيا
ناعٍ يجاوب بالأنين نواعيا
وإليك أشكو يا حسين بلائيا
إنسان عيني يا حسين أخيّ يا
أملي وعقد جُماني المنضودا

إنّ الطور الذي تُقرأ بهذه المقاطع الخمسة أطلق عليه طور التخميس.

وقد ينتقل الخطيب. من طور المثكل السابق، إلى طور التخميس اللاحق، في بعض الحالات، وهذا الانتقال قد يكون مناسباً في تلك المجالس التي لم يألف روّادها التجاوب مع الخطيب بالأنين والحنين، حيث يُجهد الخطيب صوته في قراءته لطور المثكل المتقدم، مع عدم وجود استجابة جماهيرية معه، يستعيد بها أنفاسه كما ذكرنا آنفاً، فيجد الخطيب أن الأفضل له - مع عدم وجود تجاوب جماهيري بأصواتهم وحنينهم

وأنينهم - أن ينتقل إلى طور التخميس الذي يثير البكاء أكثر مما يثير الأنين، والتجاوب الجماهيري.

وربما يُستفاد من هذا الطور أحياناً، في إنشاد بعض التخاميس غير المرتبطة بالقصيدة ذاتها، لكنها (التخاميس) تؤدي نفس مؤدّىٰ الموضوع المطروق، حيث يأتي بها لإكمال القصيدة. وخاصة إذا كانت أبيات القصيدة الأساسية قليلة لا تفي بالمطلوب، فيجد الخطيب نفسه مضطراً هنا، إلى إعطاء فقرة القصيدة حقها بإنشاد تخميس أو أكثر، وبما يناسب نفس مضمون القصيدة، وإن كان هذا التخميس من قصائد أخرى، لكنّ المهم ان تناسب نفس المصيبة حتماً (كما سيأتي في مثال آتٍ).

ج - **طور القزويني**، وهو من الأطوار الحزينة والمشجية، ولكنه طور قليل الإستخدام من قبل خطباء المنبر الحسيني[1] حالياً، ولهذا فهو طور لا يحظى بشهرة واسعة في عالم المنبر الحسيني، كما أنه يحتاج إلى حنجرة ذات أوتار صوتية ملائمة له، وحسن إجادة إنشاده من جهة أخرى. كما أنه طور لا يحضىٰ - بطبيعته - على تجاوب الجمهور بالأنين والحنين، كما كان الأمر مع المثكل والحديّ.

نعم، قد يجد خطيب المنبر الحسيني، أن من المناسب له، أو أنه قد اعتاد هذا الطور بالخصوص، فينتقل إليه في إنشاد بقية قصيدته بعد طور المثكل. إذن فالخطيب بعد إكماله الطور الأول «الدَرج»، ثم الطور الثاني «المثكل»، سيكون مخيّراً بين أربعة خيارات:

١ - أن ينهي قصيدته بطور المثكل نفسه فقط.

٢ - أو ينهي قصيدته بعد المثكل بطور الحدي.

(١) لقد تميّز الخطيب الشيخ جعفر الهلالي، وهو أحد أساتذة المنبر، برعايته طور القزويني في مجالسه.

٣ - أو ينهي قصيدته بعد المشكل بطور التخميس.

٤ - أو ينهي قصيدته بعد المشكل بطور القزويني.

وفي ختام هذا الدرس، لا بد من التأكيد، أنه يُستحسن عدم القفز من طور «الدَرج» إلى أحد الأطوار الثلاثة المذكورة أعلاه، دون المرور بطور «المُشكِل»، لأن طور المشكل يعتبر جسراً ينتقل الخطيب به، من طور الدرج إلى أطوار المرحلة الثالثة.

(وهنا أيضاً لا بد من إيراد أمثلة حيّة من القصائد، ينشدها الأستاذ أمام تلامذته، وبالاطوار المختلفة، ويطلب منهم ترديد ذلك بصورة جماعية، أو كلّ على حدة).

وقد ذكرنا في أول موضوع فقرة القصيدة، أننا لا نشجع على إرباك الطالب، بطلبنا منه أن يحفظ عدة أطوار ويجيدها، ولهذا فإن طور الدرج، وطور المشكل، هما طوران لا بدّ منهما لكل خطيب؛ وأما طور «التخميس» فيحتاج الخطيب إليه، في إنشاد القصيدة، والنعي أثناء المجلس في فقرة المصيبة. فلم يبق عندنا إلا طورا «الحدي» و«القزويني»، والأهم هنا هو الأول. مع التنبيه أنه يمكن الاستفادة كذلك؛ من طوري الحدي والقزويني في فقرة المصيبة، أسوة بطور التخميس، ولكن الأخير أكثر شهرة.

ومع استمرار الخطيب في مسيرته الخطابية، سيتعرف على أطوار أخرى، قد ينسجم مع بعضها دون الآخر، فنراه بعد مدة قد اختص ببعض الأطوار. ولكن لا بد من التركيز هنا، أنه لا بد من إجادة المقطعين الأول والثاني؛ أي طوري (الدرج والمشكل) على كل حال.

كما أنه، قد يكتفي المجلس بإنشاد القصيدة الرثائية الفصحى فقط، خاصة إذا كانت أبياتها تفي بالمطلب وتشبع الحاجة. . . ولكن الأمور تختلف من بيئة حسينية لأخرى ومن عرف منبري لثانٍ.

حيث تجد بعض الأعراف المنبرية، في بعض مناطق العزاء الحسيني، إنه لا بد من أن يأتي الخطيب، بعد قراءة القصيدة وبالأطوار المذكورة آنفاً، أن يأتي بأبيات نعي، باللهجة العامية العراقية أو الخليجية، كما مرّت الإشارة إلى ذلك..

فنجد بعض الخطباء يختار أبياتاً من النعي من النصّاريات، أو يختار بيت «أبوذية» أو أكثر، وقد يكون هذا الخيار أكثر ملائمة مع القصيدة، التي كان الناس يتجاوبون فيها مع الخطيب، في طور المثكل أو الحدي، فإذا جاء بعدهما ببيت «أبوذية»، فلا بدّ أن يقرأه بطريقة الأنين والحنين أيضاً، ليكون منسجماً مع قراءة القصيدة الرثائية.

إلا أن واقع الخطابة الحسينية الحالي، قد برّز قصائد الطريقة البحرانية أو الفائزية، كأفضل خيار لقصائد اللهجة العاميّة، الذي يتلى بعد القصيدة الفصحى، ببداهة أن الطريقة التي يتم بها إنشاد القصيدة الخليجية، تنتهي بطبيعتها في كل مقطع بتجاوب من الجمهور بأنين وحنين، حيث يأتي الانسجام واضحاً والتناسق جلياً، بين الأنين في القصيدة الفصحى، مع الأنين في النعي باللهجة الشعبية العاميّة. ونظراً لنجاح القصائد الفائزية (البحرانيّة) بهذه المهّمة، نجد بعض الخطباء يلوي عنق قصيدة النعي العراقي (النصّاريّات) ويمّد بها صوته، لتبدو قريبة من القصيدة الفائزية.

وقد لا يكتفي بعض الخطباء، بقراءة القصيدة ثم النعي بالطريقة الخليجية، بل يتبعهما بأبيات من الأبوذية العراقية، فتكتمل الصورة... وتجد هذه الطريقة نجاحاً لافتاً في مجالس الخليج وبشكل واضح.

أما في المجالس، التي تقل فيها ظاهرة تجاوب الجمهور مع القصيدة بالأنين، مثل بعض مجالس العراق ومجالس لبنان ومجالس الجاليات الإسلامية في المهاجر، فالأفضل للخطيب، أن يختار ما يجده منسجماً مع

قدرة أوتاره الصوتية، بحيث لا تسبب له طريقة القراءة شدّاً لها أو أضراراً بها، خاصة في مواسم عاشوراء وصفر، حيث كثرة المجالس واستمراريتها.

مثال لنموذج قصيدةٍ تتلى في أول المجلس الحسيني:

أرى العمر في صرف الزمان يبيدُ ويذهبُ لكن ما نراهُ يعودُ
فكن رجلاً أن تُنض أثوابُ عيشه رثاثاً فثوب الفخر منك جديدُ
واياك أن تشري الحياة بذلة هي الموت والموت المريحُ وجودُ
وغيرُ فقيدٍ من يموتُ بعزّةٍ وكل فتىً في الذّل عاش فقيدُ

حيث تقرأ الأبيات أعلاه بطور «الدرج» الهادىء المسترسل، أمّا في البيت الخامس أدناه، فيبدأ الخطيب باستخدام طور «المثكل»، لأن القصيدة تنتقل من بيان هذه الوصايا والأفكار العامة، إلى نصوص واقعة كربلاء والإمام الحسين عليه السلام، فيجد الخطيب أن ذاك مناسب، للانتقال إلى الطور الثاني أي طور المُثكِل، حيث يتمّ المدّ في الإنشاد بالأنين، في الحرف قبل الأخير من حروف الكلمة الأخيرة، في البيت «وهي الياء هنا»:

لذاك نضى ثوبَ الحياة ابنُ فاطمٍ وخاض غمِار الموت وهو وحيد
ولاقى خميساً يملأ الأرض زحفهُ بعزم له السبع الشداد تميدُ
وليس له من ناصرٍ غيرُ نيّفٍ وسبعين ليثاً ما هناك مزيدُ
ترى لهمُ عند القراع تباشراً كأن لهم يوم الكريهة عيدُ
وما برحوا عن نصرة الدين والهدى إلى أن تفانى جمعهم وابيدوا

وهنا إذا وجد الخطيب، أن القصيدة قد وفت بالمطلوب، واكتفى بها الجمهور، فأما أن ينهيها، إذا كان ذلك ملائماً، للأعراف المنبرية في ذلك المجلس، وإلا أردفها بابيات النعي البحرانيّة (الفائزيّة) فتكتمل الصورة، وربما أضاف بيت أبو ذيّة أو أثنين. وإذا لم يرق له القراءة بالطور الفائزي

بعد القصيدة الفصحى، فيمكن للخطيب أن يضيف لها بعض أبيات التخميس، إذا غلب على ظنّه إنها كانت قليلة لا تفي بالمطلب وخاصّة أيام عاشوراء، فله أن يقرأ بعد الأبيات السابقة التخميس أدناه:

ما بالهم لا يجيبوني أما سمعوا   ولو رأوني وحيداً ما الذي صنعوا
بل همّ سُكارى لكاسات الردى جرعوا
نذرٌ عليَّ لئن عادوا وإن رجعوا   لأزرعن طريق الطفّ ريحاناً

وهنا نلاحظ أن التخميس، جاء منسجماً مع نهاية القصيدة، وموضوعها الأساسي، وهم أنصار الحسين عليه السلام وحرقته على فراقهم، وإن كانت بقافية تختلف عن أصل القصيدة، وهو أمر شرحناه سابقاً.

وبعد هذا التخميس، قد يجد الخطيب أن القصيدة صارت تامة، وقد أدتّ المفروض منها، وقد يجد أن المجلس ما يزال يحتاج إلى مزيد إشباع، فأما أن يأتي بتخميس آخر يملأ به الحاجة، أو يزيد عليه بأبيات من النعي، وفي نفس الموضوع وهو الأنصار.. كأن يقول مثلاً:

وكَفـ ما بينهم والدمع سجّاب   يگلهم هاي تاليكم يالأحباب
يصير اعتب وأنا أدري ما مش إعتاب   وعند الموت كل شي موش ميسور

أو يضيف عليها أبياتاً أُخرى من النعي، أو أبيات أبوذية، وبما يراه ويقدّره من أبيات مناسبة للمجلس، ونوعية الجمهور وطبيعة المناسبة.

ويمكن أن نوضح ذلك كما في أدناه:

١ - القصيدة + أبيات فائزيّة (بحرانيّة) + أبو ذيّة.

٢ - القصيدة + تخميس أو تخمسين.

٣ - القصيدة + تخميس نعي عراقي أو أبو ذيّة.

○ ملاحظة هامة:

على الطالب، أن يديم الاستماع لأشرطة تسجيل، مجالس كبار الخطباء ومشاهيرهم، خاصة فيما يتعلّق بأساليب إنشاد القصيدة الرثائية، إضافة إلى استماعه لأستاذه الخاص في الدرس، وإذا وجد طالب مميز، فعليه الاستماع لزميله كذلك، حتى تأنس أذنه إلى طريقة معينة، وينسجم ذوقه مع طور خاص، فيلتزمه ويعيده ويصقله، حتى يأنس به، ثم يبرع في إجادته أخيراً إن شاء الله. ثم عليه أن يردد ذلك مع نفسه حيث تسنى له ذلك.

وإكمالاً للموضوع، نذكر بعض عناوين أهم الكتب، التي اعتنت بجمع قصائد الرثاء الحسيني، بنوعيه القريض الفصيح، والشعبي العاميّ. فمن مصنفات القصائد الفصحى.

١ - الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، للسيد محسن الأمين العاملي.

٢ - رياض المدح والرثاء للشيخ حسين البحراني.

ويمكن للطالب الاكتفاء بهذين الكتابين، وله أن يتوسع، إلى غيرهما، والكتاب الثاني أوسع من الأول، وتقتنى الطبعة الجديدة المفهرسة المبوبّة.

أما كتب النعي الشعبية فهي أكثر من أن تحصى وتعد. . . ولكن أشهرها:

١ - النصاريات الكبرى - للشيخ محمد نصّار.

٢ - الروضة الدكسنيّة، للشيخ محمد حسن دكسن.

٣ - منهل الشرع - للسيد عبد الحسين الشرع.

وفي خصوص الشعر الرثائي الخليجي «البحراني أو الفائزي».

١ - ديوان «الفائزيات الكبرى»، أو ديوان «فوز الفائز». للملا ابن فائز البحراني.

٢ - الجمرات الوديّة - للملا عطية الجمري.

وهنا نكون قد انهينا فقرة القصيدة، والتي قد رسمناها بشكل خط متقطع، إشارة أنه قد يستغني عنها كلياً في بعض الأقاليم، أو بعض المجالس، كمجالس شهر رمضان. إلاّ أنّ أهميتها تعظم في مجالس عاشوراء بشكل واضح، وربما كلّ مجالس شهري المحرمّ وصفر. وكذلك الأمر مع المجالس في وفيّات المعصومين عليهم السلام. أو المجالس البيتيّة) العادات الأسبوعيّة، ولا سيما بيوت العلماء. إنّ الإهتمام بقصيدة الرثاء الحسيني، يعني الإهتمام بتراث أدبي ثرٍّ ومتميّز، كان من عطاءات واقعة الطف الخالدة، على مدى قرون تفاعلت معه الأجيال، وتجاوبت معه النفوس والأرواح.

والحمد لله رب العالمين



الدرس السابع

فقرةُ المحاضرة

سبق لنا أن توقفنا عند الفقرتين الأولى والثانية، من فقرات خطبة المنبر الحسيني؛ وهما فقرتا (المقدمة والقصيدة). وبقي علينا أن نكمل بقية الفقرات، فنبدأ درسنا هذا بالفقرة الثالثة وهي:

٣ - المحاضرة (الموضوع أو البحث):

فبعد تلاوة القصيدة يأتي دور الموضوع، الذي يبدأ إما بآية قرآنية كريمة أو بحديث للنبيّ الأعظم ﷺ أو رواية لأحد المعصومين عليهم السلام، وربما يبدأ ببيت شعر كعنوان لطرح الموضوع، الذي يكون محاضرة معدّة ومهيأة، تتضمن الموضوع الذي يمكن أن يتطرق إليه الخطيب الحسيني. وفقرة المحاضرة؛ هي التي ستكون مدار دراستنا وبحثنا في الدروس المقبلة إن شاء الله، وبهذه الفقرة يتمايز الخطباء، وتبرز قدراتهم الخطابيّة واستعداداتهم الثقافية العلمية، وإلا فالقصيدة واحدة، ومصادرها موجودة، والمقدمة كذلك، ولا يبقى مجال للتمايز، إلا فقرة الموضوع هذه، وفقرة المصيبة في آخر المجالس وإن كان على مستوى آخر. (إذا اعتبرنا أن فقرة التخلّص تعتبرُ تمهيداً للمصيبة).

إن الأساس في قوة الخطيب كمحاضرٍ، هو هذا الموضوع، وهذه المحاضرة، التي يطرحها، قوة الموضوع الذي يتناوله وأهميته في الساحة. هل أن الناس تحتاج إليه؟ هل أن الأمة تشعر بأنها تسترفد من هذا الموضوع، بحيث ينعكس على أخلاقها، وينعكس على واقعها، وينعكس على سلوكها أم لا؟

إن على كل خطيب، أن يبذل أقصى جهوده، حتى تكون له ثقافة جيدة من جانب، وله قابلية لإذكاء عاطفة كربلاء من جانب آخر، عنده دراية، ولديه قدرة في صياغة المحاضرة، كما له قابلية في إستدرار الدمعة، وتأجيج العاطفة.

صحيح، أن الشيء كلما ازدادت شروطه عزّ وجوده، كما يقول المناطقة، لكن بهذا يتميز الخطيب ويبرّز ويفضّل.

وكما سبق أن بيّنا؛ فإن القصيدة موجودة ومتوفرة عند الخطباء وقرّاء العزاء، في دواوين وكتب معروفةٍ متداولة، ويمكن لكل واحد أن يقرأها، ولكن لا يمكن للخطيب الحسيني، أن يكرر الموضوع بحذافيره، أو ينقله من الآخرين، نعم يمكن أن يستفيد من طرح بقية الخطباء؛ أفكاراً، وأسلوباً، وشواهد.

ونؤكد دائماً؛ إنما يتمايز الخطباء فيما بينهم بالمحاضرة، وبما يكون مجالاً للإبداع والعطاء. وفي بعض المجالس المهمة، قد يُستغنى عن القصيدة بعد المقدمة، وتعظم أهمية الموضوع، إذا عالج مسألة من الواقع، أو عقد مقارنةً بين الحاضر ومصيبة من مصائب أهل البيت عليهم السلام. فإذا طرح الخطيب موضوع الدين مثلاً، وأهميته في المجتمع ودوره في التربية وخير الإنسان، ويتم التركيز على الدين بأنه أساسي وضروري للإنسان فرداً ومجتمعاً، ويورد أدلة وشواهد وإحصاءات، ثم يقول بعد ذلك: قد ضحى من أجل هذا الدين الأنبياء والأئمة عليهم السلام. الدين الذي هو أساس العزة والكرامة، ولهذا نجد أن العباس يوم عاشوراء، لما قطعت يمينه قال:

والله إن قطعتموا يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

... وهكذا يتم مجلسه وينُهي محاضرته...

وإن خطيب المنبر الحسيني، يحتاج إلى مدة ليست بالقليلة، يتعلم فيها ويتدرب، على كيفية إعداد المحاضرة النافعة لمنبره، كما أن عليه المزيد من الاستفادة من تجارب شيوخ الخطباء، والمزيد المزيد من التجربة والقراءة المستمرة. وأن لا يتلكأ عن الاستجابة، لأي مجلس، حتى تتكون عنده تراكمات إيجابية، تسهم في بروزه كمحاضر، وبنفس الوقت ليعرّج على كربلاء، ويذكّر الناس بأيام الحسين عليه السلام.

إذاً ما هي العناصر التي إذا توافرت في الموضوع، فإن هذا الموضوع يكون جذّاباً ونافعاً؟

وكيف يمكن أن يكتب الخطيب محاضرة، من محاضرات المنبر الحسيني؟

وما هي الأسباب والمواد، التي يجب أن يهيأها الخطيب، حتى تكون محاضرته وموضوعه جيداً؟

وكيف يمكن، أن يكون الخطيب الحسيني، خطيباً متكاملاً؟

هذا ما يجب الحديث عنه.

لقد ذكرنا؛ كيف وصل المنبر الحسيني، في هذه الأيام أو في هذه المرحلة، إلى منبر تربوي تثقيفي، أثقل كاهل الذين يريدون أن يخوضوا غماره، حيث يجب أن توجد فيهم أوصاف عدّة، ينبغي لهم أن يُجهدوا أنفسهم في توافرها، وكلما استطاع هذا الخطيب، أن يتعب نفسه في تهيئة الشروط، التي ينبغي أن تتوافر، فإن نصيبه من النجاح يكون أوفر أو أكثر.

ولمزيد من التوضيح من جهة، ولكي تكون محاضرتنا، علمية ونافعة من جهة أخرى، فإنه يمكن لنا أن نقول:

إن فقرة المحاضرة يمكن أن تُقسّم بدورها إلى عدة خطوات:

أ - فقبل الدخول في صلب الموضوع هناك عنوان للمحاضرة.

ب - يأتي بعد ذلك التمهيد.

ج - صلب البحث.

د - ثم الإعداد لفقرة التخلص بالأنتقال إلى المصيبة.



○ أ - العنوان

حينما يبدأ الخطيب بالموضوع، فعليهِ أن يبدأ بعنوان، من آية قرآنية، أو حديث عن النبي ﷺ، أو عن أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو قد يكون بيت شعر، أو حكمة معينة. فلا بد أن يبدأ الموضوع بعنوان للمحاضرة. فإذا أراد طرح محاضرة حول موضوع الصبر، فعليه أن يبدأ بآية تتحدث عن الصبر أو حديث شريف، وإذا كانت المحاضرة عن موضوع الأسرة، فتختار آية أو حديث أو حكمة، تتحدث عن موضوع الأسرة. وهكذا؛ ففي المثال الأول وحينما تطرح الآية القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(١) أو ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾(٢) حيث يفهم المستمع أن المحاضرة ستدور حول الصبر.

في حين يُختار، لعنوان المحاضرة الثانية، آية قرآنية مثل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾(٣)، أو حديثاً شريفاً مثل قوله ﷺ: «خيركم خيركم لعياله، وأنا خيركم لعيالي» وهكذا.

إن من الأسس المهمة لنجاح كل عمل، أن يُبنىٰ هذا العمل وفق خطّة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

علمية صحيحة. وكلما كان هذا العمل مستوعباً شرائط هذه الخطّة، فإنه يكون أكثر حظّاً في النجاح والتوفيق. ولهذا نجد أن من فوائد الدراسة الأكاديمية، وخاصة الدراسات العليا، أنها تجعل ذهنية الطالب والباحث، تسير وفق أسلوب علمي منهجي، وخطوات مدروسة، تعتبر كل خطوة تمهيداً للخطوة التالية. وقد ألّفت كتب خاصة مهمتها كيفية كتابة بحث علمي، من رسالة أو أطروحة.

وخطيب المنبر الحسيني؛ له في كلّ مجلس من مجالسه بحث مطروح، فهو - في الواقع - باحث علمي، يختار عنوان بحثه، ثم يشمّر عن ساعد الجهد والبحث، حتى يعطي كل عناصر القوة والعلم لموضوع بحثه، الذي يتناول حقولاً شتى.

فإذا كان طالب الدراسات العليا في الجامعات، يحتاج إلى أسلوب البحث العلمي، عندما يقدم رسالته «الماجستير» أو أطروحته «الدكتوراه» فقط، فإن خطيب المنبر الحسيني، يحتاج هذا الأسلوب، في كل مجلس من مجالسه، وحسب الإمكانيات والظروف المتوافرة. مع الأخذ بالاعتبار، مميزات وخصائص البحث، الذي يتناوله خطيب المنبر الحسيني.

إن النقاط الأربع المذكورة أعلاه، يمكن أن تشكّل النقاط الأساسية، التي تمثّل الطريق الأفضل، لإعداد محاضرة نافعة ومفيدة، لمنابر المجالس الحسينية المباركة، وبما تعين الخطيب على تلمّس الخطوات الأكثر علمية، في عمله الرسالي المبارك.

وأفضل عنوان يختار، في محاضرة المنبر الحسيني، هو آية من القرآن الكريم، وهو ما تميزت به مجالس الشيخ أحمد الوائلي. وهو ما سنواصله في درسنا القادم، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثامن

محاضرة المنبر الحسيني

○ أ ــ العنوان

جرى الكلام في الدرس السابق، عن فقرة محاضرة المنبر الحسيني، وأهميتها في تميّز الخطباء، ثم ذكرنا الخطوات التي نجدها الطريقة الأفضل، لإعداد هذه المحاضرة. وبدأنا بعنوان المحاضرة، وقلنا أن الأفضل أن تكون آية قرآنية كريمة.

وكانت مجالس الشيخ أحمد الوائلي، بهذه الميزة، قد فرضت جوّاً يؤيدها في أعراف المنبر. إلا في مجالس العشرة الأولى من المحرّم، أو وفيات المعصومين عليهم السلام، فلها وضعها الخاص، في عناوينها التي تتناسب ومناسباتها تلك.

والواقع، أن الشيخ أحمد الوائلي، قد أحدث نقلة نوعية في عناوين موضوعات المنبر الحسيني، حينما بدأ محاضراته بآية قرآنية، وكان قد مرّ بنا، في دروس سابقة، أن الشيخ كاظم سبتي، هو أول من بدأ محاضراته بقطعة من نهج البلاغة. ولم يكن هذا الشيء مألوفاً سابقاً، إذ كان خطيب المنبر الحسيني يقرأ القصيدة، ويأتي بخبر او حدث تأريخي أو بقصة بسيطة، أو بموعظة، ثم يُعرِّج على كربلاء. وكان الشيخ كاظم سبتي يحفظ نهج البلاغة عن ظهر قلب، فكان يأخذ قطعة من نهج البلاغة، ويشرحها مع إيراد الشواهد المطلوبة، من الكتاب والسنة والتاريخ والأدب. وهذه الخطب هي مادة غنية يستطيع الخطيب من خلالها أن يتحدث عن الكثير

من المفاهيم والأفكار والأحداث[١].

كما كان لشيوخ المنبر البارزين، إبداعاتهم في هذا المجال، وللأمانة التاريخية، فإن الشيخ الوائلي، لم يكن هو أول خطيب يفتتح محاضرات بآية من القرآن الكريم، فقد سمعت العلامة المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (ت: ١٤١٤ - ١٩٩٤) يقول: كان الشيخ محمد علي اليعقوبي، تارة يبدأ مجالسه بآية، وتارة بحديث، وأخرى بقطعة من نهج البلاغة. أما الشيخ الوائلي، فقد ألتزم الآية القرآنية عنواناً لمجالسه، وبصورة مستمرة، حتى صارت سمةً له.

يقول الشيخ الوائلي: في كتابه «تجاربي مع المنبر الحسيني» أنّ أحد أصحاب المكتبات ببغداد قال له: أن عنده أجزاءً من التفسير الكبير للفخر الرازي، لكنه ليس كاملاً، ولما قرأ الشيخ الوائلي الكتاب، وجد فيه أبعاداً لافتة ورائعة، في تفسير كل آية؛ حيث تفسر إلى عدة آراء وأبعاد، مما جعل الكتاب يجذبه بشدة، يقول الشيخ: لم أترك هذا الكتاب إلا عندما أنهيته[٢]. ومنذ ذلك الوقت تغير أسلوب الشيخ الوائلي كثيراً، وصار عنده توجّه آخر، حيث أخذ يعتمد على هذا التفسير وبشكل بارز في طرح محاضراته، وتبويب بحثه، وتقسيم مجلسه. مع مراعاة الجوانب الخلافية بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبقية المدارس الفقهيّة الأخرى.

وعندما يشرع الخطيب، بعد ذكر العنوان، بشرح مضمون ذلك العنوان، من آية قرآنية أو غيرها، فإن عليه أن يسعى، لأن يجعل بحثه ضمن نقاط، وأبعاد، يمكن استفادتها من هذا العنوان أو ذاك.

كما أن مما يميز محاضرة وموضوع المنبر الحسيني، أن على

---

(١) «راجع كتاب ماضي النجف وحاضرها، للشيخ باقر محبوبة، وهو يترجم للشيخ كاظم سبتي».
(٢) الشيخ أحمد الوائلي: تجاربي مع المنبر.

الخطيب، أن يأتي بشواهد من الروايات والأدب أو التاريخ، أو العلم الحديث، على كل نقطة أو بُعد من تلك الأبعاد. فهناك شاهد يؤيّد القول الأول، وشواهد أخرى على القول الثاني، وشواهد ثالثة على القول الثالث، وهكذا. وذلك حينما يذكر الآراء المختلفة في تفسير آية ما. حتى يكتمل المجلس ويشبع الموضوع. ويمكن توضيح ذلك بالشكل أدناه:

فمثلاً، عندما يتحدّث الخطيب عن العلم، فإن عليه أن يأتي بأحاديث حول العلم، وبقصص وأشعار حول العلم، وقد يأتي بها من عدّة مصادر، لكي لا يكون هناك ملل أو سأم، يبعد المستمعين عن الخطيب ومحاضرته من جهة، ولكي يتماسك الموضوع من جهة ثانية، وليخرج المستمع بوضوح في الرؤية من جهة ثالثة. بل ولكي يبقى، روّاد المجالس الحسينية، مستذكرين للمطالب الأساسية في الموضوع، عبر تذكّرهم القصص والشواهد التاريخية والأدبية من جهة رابعة. ولهذا كان لا بد من الاهتمام بالمصادر، التي توفّر هذه الشواهد، وسيأتي الحديث عنها.

ونؤكّد ثانية ونقول: إن أفضل ما يمكن للخطيب أن ينطلق منه؛ القرآن الكريم؛ الذي عالج كل ما يحتاجه الإنسان، حيث عالج الأخلاق والآداب، وذكر قصص الأنبياء ومختلف شؤون الحياة، في وفرة الآيات الكريمة تناولت شؤون الإنسان هذا في المجالس العامة بعد العشرة من المحرم إلى نهاية صفر، أو مجالس شهر رمضان، أو المجال العامّة طوال السنة. أما بالنسبة لمجالس المناسبات أي التي تعقد في ذكريات المعصومين عليهم السلام. فإن على الخطيب أن يختار العنوان الملائم للمناسبة، ففي وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أو في استشهاد الإمام علي عليه السلام فإن على الخطيب أن يختار آية قرآنية نزلت في حقهما (صلوات الله عليهما وآلهما) أو حديثاً أو كلمة من كلماتهم (صلى الله عليهما وآلهما). وفي وفاة السيدة

الزهراء عليها السلام يجب أن يختار الخطيب قولاً للسيدة الزهراء عليها السلام أو مقطعاً من خطبتها، أو قولاً لرسول الله صلى الله عليه وآله أو قولاً لأمير المؤمنين في حقها عليها السلام. وتختار آية مناسبة أو قول لرسول صلى الله عليه وآله في الحسن عليه السلام، وذلك في وفاة الإمام الحسن عليه السلام وهكذا.

إن مجالس استشهاد المعصومين عليهم السلام، يمكن أن تبدأ بحديث أو بآية قرآنية، تتعلق بأهل البيت عليهم السلام، مثلاً الآية التي تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] أو آية المباهلة أو الإطعام، وذلك حسب المناسبة. أما في المجالس العامة، فإن أفضل ما يبدأ الخطيب به هو القرآن الكريم، كما ذكرنا ذلك، لأن القرآن له جاذبية خاصة، وقوة وتأثير خاص في النفوس.

إذن فالخطيب حُرٌّ؛ بأن يختار العنوان الذي يراه مناسباً، لكن أفضل العناوين القرآن الكريم، ومع اتساع مجالسنا وحضور مسلمين لها من كل المذاهب، فإن القرآن هو أفضل ما يمكن أن يوحِّد المسلمين. ويشدّهم إلى المجالس الحسينية. وتتعاظم أهميّة هذه النقطة، مع بث المجالس على الفضائيات التي تغطي مناطق العالم المختلفة.

أمّا فيما يتعلق بعناوين مجالس العشرة الأولى من المحرّم، فأنّ لها خصوصية ذاتية، منطلقة من قوتها، وحساسيتها، وكثافة جماهيرها، ورهافة ذكراها. وعلى الخطيب الحسيني، إختيار عناوين مستّلة من أقوال الإمام الحسين عليه السلام وخطبه، فيما يتعلق بمجالس السيرة. أما إذا أراد الخطيب، طرح بحث يتعلق بموضوعات خارج السيرة، فإنّه يعود إلى اختيار الآية القرآنية، أو الحديث والرواية المناسبة كما أسلفنا. وسيأتي تفصيل ذلك في درس قادم إن شاء الله.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

○ ب - التمهيد:

ما سبق كان يتعلق بالعنوان، وبعد ذلك على الخطيب أن يبدأ بالتمهيد، فإذا كان موضوعه حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأفضل أن ينطلق بآية تعالج هذا العنوان، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(١) وبـــــذا يهيىء الخطيب ذهن المستمع للموضوع، الذي يريد أن يتحدث عنه. ثم لا بد بعد ذكر العنوان، من تمهيد مناسب يشدّ المستمعين إلى المحاضرة، كأن يقول مثلاً كتمهيد لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن الإسلام جاء عطاءً ونعمة من الله تعالى لكي يسعد هذا الإنسان، إذا اتبع قيم الدين ومفاهيمه ومبادءه، فإنه يعيش في سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة. ولهذا نجد الإمام علي عليه السلام يقول في كتابه إلى مالك الأشتر، لمّا ولاّه على مصر، في حق الشريعة: «واعلم أنه لا يُسعد أحد إلا بإتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها ونكرانها». والشريعة الإسلامية جاءت لخير الإنسان، ولهذا فإنها قد وضعت برامج عدة، لكي تحافظ على هذا المجتمع المسلم، ولكي تؤسس السعادة له، ومن هذه البرامج التي وضعتها يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه الأسطر الآنفة نموذج عن تمهيد مقترح، لموضوع حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكمثل لتمهيد آخر لنفس العنوان، يمكن تقول مثلاً: أن الإسلام سعى إلى أن يربّى الإنسان المسلم، على أن يكون ذا حسّ بالمسؤولية، وعلى أن يكون شاعراً بتكليفه المُلقى عليه، لأن الإنسان أساساً هو خليفة الله في أرضه، والإنسان مخلوق مسؤول، وهو

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

يختلف عن بقية الحيوانات، ففيه جانب العقل وجانب الشهوة. والإسلام جاء ليركز مفهوم المسؤولية، في ذهن الإنسان المسلم، ويربيه على أن يكون له حسٌّ اجتماعي مسؤول، ومنه مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا أسلوب آخر لتمهيد ثانٍ حول نفس الموضوع، إذن فعلى الخطيب جهد الإمكان، أن يبدأ بتمهيد، قبل أن يدخل في صلب الموضوع. وأما مصادر هذا التمهيد، فإنها تأتي من كثرة المطالعة، وسعة القراءة، ومزيد الاهتمام بجوانب الفكر الإسلامي، ومتابعة الثقافة الإسلامية، التي تؤدي إلى نضوج عقلي وذهني، ومستوى من الفهم الواعي في الثقافة الإسلامية العامة، ومن خلالها يستطيع الخطيب أن يهيىء لكل موضوع تمهيداً. والتمهيد يجب أن يكون قصيراً وفيه جاذبية، تهيىء المستمع للمحاضرة، بحيث لا يستوعب المحاضرة، التي ينبغي أن تكون - كذلك - ، فيها جاذبية، بحيث تستقطب أذهان المستمعين، وتجذب استماعهم، كما ألمحنا إلى ذلك.

إن التمهيد، هو أول إطلالة على المستمع، وقد يكون التمهيد، عبارة عن خبر أو عن قصة أو إحصائية علميّة، مأخوذة عن مجلة أو جريدة، أو فكرة مستلّة من كتاب حديث، أو مصدر قديم من التفاسير وغيرها بحيث يشدّ الناس إلى المحاضرة وبما يناسب وموضوعها. وهنا تبرز أهمية الثقافة الموسوعية، وتنوّع مطالعات خطيب المنبر الحسيني، وكثرة ملاحظاته.

ونورد مثالاً آخر عن التمهيد. فإذا أردنا أن نتطرق إلى موضوع الإنفاق مثلاً فيمكن أن نقول كتمهيد، من فكرة وردت في بعض الكتب الإسلامية الحديثة، تقول: إن مكافحة الفقر في الإسلام يُسهم فيها الفرد المسلم كما تسهم الدولة.

ولا يقتصر محاربته على الدولة فقط كما في الأنظمة الغربية، وهذا يمكن أن يكون تمهيداً لموضوع الإنفاق في الإسلام، وخلال التمهيد يكون المجال واسعاً أمام الخطيب لجذب الجمهور.

ولو أردنا طرق موضوع، يتحدث عن الجوار، وحقوق الجيران مثلاً، فإنه يمكن أن يقال كتمهيد: أن المجتمعات الغربية فقدت الكثير من العلاقات الإنسانية، حيث ذكرت بعض الصحف والمجلات، أن هناك جاراً في النرويج، لم يتعرف على جارهِ طوال مدة اثنتين وعشرين سنة، وهما يركبان نفس الحافلة، ويرجعان فيها بعد نهاية الدوام! طوال هذه المدة الطويلة، وهو جار له في منطقته كذلك. إن هذا الخبر، يشد المستمع إلى المحاضرة، وننطلق منه، لنؤكد كيف أن الإسلام، أكد على مسألة حسن الجوار، بالرجوع إلى العنوان المختار من آية أو رواية متعّلقة بالجوار. وبعد هذا التمهيد، تكون المحاضرة قد توافرت لديها، أولى عوامل النجاح عبر إهتمام المتلقيّن وشدهم إليها.

وبعد أن يتم اختيار التمهيد، نسأل عن كيفية كتابة المحاضرة، وكيفية تهيأة الموضوع؟

وما هي الشرائط التي يجب أن تتوافر في المحاضرة، حتى يصل الخطيب بها إلى مستوى يجذب الآخرين وينفعهم ثم يربيّهم.

هذا ما سنتوقف عنده في درسنا القادم إن شاء الله.

وختاماً لا بد أن نؤكد هنا، أن الخطيب يكون في حاجة ماسة جداً، إلى حسن الأهتام وإلى الاحساس بأهمية مسؤولية الخطابيّة، لأن الخطابة لا تكتمل بأخذ دروس في علم الخطابة فحسب، حيث تعطى قواعد عامة، بل هي توجه ذاتيّ عند الإنسان إلى حدّ كبير، حينما يكون عنده رغبة خاصة، واستعداد، فعليه أن يسعى لتنميتهما وتقويتهما، وتأتي دورات

الخطابة الحسينية، كأسلوب في توجيه القدرات الذاتية، ولذلك يقال: إذا أردت أن تنجح في عملك، فعليك أن تكون محبّاً لهذا العمل عاشقاً له، فكيف إذا كان هذا العمل ذا أبعاد رسالية وشرعية، حيث يمس عقائد الإنسان المسلم، وفكر أهل البيت عليهم السلام، ويتناول تفسير القرآن. إنها مسؤولية كبيرة، فعلى الخطيب أن يتعب نفسه ويجهد تفكيره وعقله، تعباً كثيراً ويحضّر تحضيراً مستمّراً، حتى يمكن أن يعطي العطاء النافع والعطاء المفيد، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1].

إنّ من المهمّ أن يكون الخطيب ناجحاً، لكن الأكثر أهمية أن يكون خطيباً نافعاً ومربيّاً.

والحمد لله رب العالمين



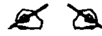
(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤

الدرس التاسع

الجزء الأول

○ جـ - صلب البحث

تحدثنا في دروسنا السابقة عن نشوء المنبر الحسيني، وكيفية وصوله إلى هذا المستوى الذي عليه الآن. ثم فقرات هذا المنبر، وبعد توقفنا عند فقرتي المقدمة والقصيدة، نستأنف الحديث عن فقرة الموضوع، أهم الفقرات، وأكثرها حساسية في المنبر ومحاضراته.



كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني

إن الموضوع ولكي يؤتي أُكله، ويكون بمستوى جيّد، فالأفضل أن يقسّم إلى أقسام كما مرّ بنا.

وقلنا أن العنوان الأفضل هو الآية القرآنية الكريمة، حيث ستكون مضامينها وأبعادها هي مادة المحاضرة وإنّ إختيار آية قرآنية كريمة له ابعادها مهمة منها:

١ - بركة القرآن الكريم وهيبته في نفوس المؤمنين.

٢ - إحاطة القرآن الكريم بكل حقول المعرفة والمعالجات المختلفة.

٣ - والأهم هنا، وخاصة للخطباء أن لكلّ آية تفاسير كثيرة مع تعدد كتب التفسير، وهي بذلك تضع بين يدي الخطيب مادة غنيّة متعددّة ومتنوعّة، تجعل خيارته أوسع ومجالات إبداعه ونجاحه أوفر.

فلو أن الخطيب إختار حديثاً شريفاً أو رواية مباركة، فأين سيجد تفسيرها، ومعرفة أبعادها، ومعاني ألفاظها؟ وإذا ما وجد شيئاً من ذلك فلا يمكن ان يقاس بما هو متوفر لا لكّل آية قرآنية كريمة، بل لكل لفظة قرآنية وكلمة وردت في كتاب الله تبارك وتعالى.

ويبدو الأمر أكثر صعوبة، لو اختار الخطيب بيت شعر أو حكمة.

ولهذا فعلى الخطيب أن يطّلع على ما يمكنه من التفاسير، التي تشكّل المادة الأساسية لمحاضرته، التي تتناول آية قرآنية كريمة، وهنا يمكن أن نسأل:

ما هي التفاسير التي يمكن أن يستفيد منها الخطيب في هذا الباب؟

إن هناك تفاسير عدة للقرآن الكريم، منها تفاسير قديمة، وأخرى تفاسير حديثة. ولا يمكن لنا أن نحدّد دائرة أهتمام الخطيب بتفسير دون آخر

ومن التفاسير القديمة؛ مجمع البيان للطبرسي «للشيعة» ومن تفاسير السنة التفسير الكبير «للفخر الرازي»، الذي كان له أثر كبير على منهج الشيخ الوائلي كما مرّ بنا في درس سابق[١].. فعندما يتناول الخطيب آية، عبر عدة تفاسير وأبعاد، فإنها تفتح أمامه آفاق عدة في كتابة المحاضرة، وتجعل من فرص نجاحه وإبداعه أوفر حظّاً.

أما التفاسير الحديثة:

ومن كتب التفسير الشيعية الحديثة تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي، ومن وحي القرآن للسيد فضل الله، وقد يكون الأنسب

---

(١) من الملاحظات المهمة جداً لخطباء المنبر الحسيني رعاهم الله، أن ينتبهوا إلى المسائل الخلافية من عقائد وأحكام، غيرها، بما قد لا ينسجم مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فلا يطرحوا على المنبر ما يُحدث إرباكاً وتشكيكاً، وهذه الملاحظةلا تنحصر في آراء المفسرين فقط، بل تمتّد إلى كل ما يمكن توظيفه في المحاضرات.

لمحاضرات المنبر الحسيني، لا سيّما شباب الخطباء، هو تفسير الأمثل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إن تفسير الأمثل، هو مجموعة تفاسير مختارة، ويعطي آراء عدة للآية الكريمة في نقاط متنوعّة، يمكن أن تشكل كلّ منها نقطة من نقاط البحث، مع إضافة الشواهد المطلوبة. وبالنسبة لخطيب المنبر الحسيني، فإن هذا التفسير يمكن أن يعتمد عليه ولو في بداية حياته الخطابية، ثم يتوسع إلى تفاسير أخرى مع توسعه في الخطابة الحسينية.

وأما بالنسبة إلى تفاسير السنة الحديثة، فقد يوصى بتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ففيه صياغة أدبية، في تفسير كل آية، وهي مما تغني وتنمي الجانب الأدبي، وهو جانب مهم في عموم الخطابة ولا سيما الخطابة الحسينية. فكلما كان الخطيب متألقاً في أسلوبه الأدبي، ويستخدم الألفاظ والمفردات الأدبية المناسبة، فإن تأثّر المستمع يكون أمراً واضحاً مؤكَّداً. (وللتمكن من المفردات العربية البليغة، أثر وأي أثر في بيان فقرة المصيبة أو التخلص وشد المستمع له، كما سيأتي).

إن هذه التفاسير وغيرها، ترفع من مستوى الخطيب، وتحسّن من أدائه، ويبدأ إبداع الخطيب وجهده الذاتي، حينما يبدأ بعرض الموضوع وعرض الفكرة، وفيها يتضح إذا كان مميزاً أم لا، وإذا كان مطّلعاً أم لا. وللتذكير، فقد قلنا في درسنا السابق أن «التمهيد» يأتي بعد عنوان المحاضرة، وهذا التمهيد قد يحصل كذلك من تفاسير القرآن نفسها. ولكنه يأتي في الأساس من خلال الثقافة الإسلامية والموسوعية العامة...

ثم نعود لمسألة الموضوع ومادته التي يمكن أن تؤخذ من كتب التفسير إذا كان العنوان آية، وهذه المادة، يجب أن تكون على شكل نقاط، جهد الإمكان، لكي يتم تفاعل الجمهور مع المحاضرة أولاً، وتعين الخطيب

على التذكّر وعدم النسيان من جهة أخرى، إضافة إلى بروز المحاضرة بأسلوب علمي منهجي من جهة ثالثة.

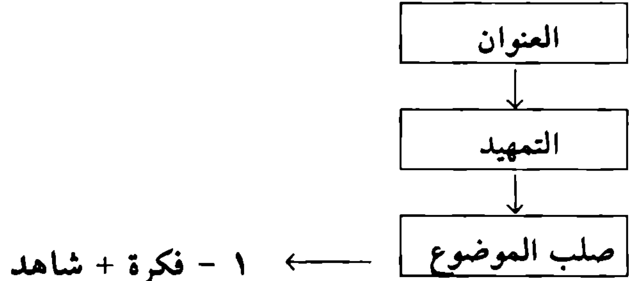
وكما قلنا: يجب على خطيب المنبر الحسيني، أن يحسن فن المتابعة الجماهيرية لمحاضراته، عليه أن يحمل دائماً همّ محاضرته، حتى يوفّق للنجاح والتأثير، وهو يتابع مدى الاستجابة لمجالسه.

أما إذا كان طرح الموضوع، يتم بصيغة سرديّة، ودون طرحه ضمن نقاط، فإنه قد يحصل تنافر وشرود ونسيان وملل، فعلى الخطيب أولاً أن يركّز الموضوع في ذهنه بالذات، وعلى شكل نقاط. نقطة أولى ونقطة ثانية ونقطة ثالثة، وهي النقاط التي نستفيدها من التفاسير والكتب الإسلامية والثقافية العامة، التي ينبغي على الخطيب أن يقرأها في متابعة لكل شيء يمكن أن يفيده.

إذن، فقد بدأنا الموضوع أو المحاضرة بعنوان، وبعد العنوان اخترنا تمهيداً مناسباً للمحاضرة، استفدناه من عموم ثقافتنا ومطالعاتنا، ثم يأتي دور صلب المحاضرة، التي ذكرنا أنه يفضَّل كونها ضمن نقاط، وهي التي يمكن أن نستفيدها من التفاسير، التي تعطينا عدة معانٍ للآية، وتطرح أمامنا أكثر من بُعدٍ للآية القرآنية المباركة.

لو كان عنوان المحاضرة حول الإنفاق، فيمكن أن تكون المحاضرة حول أنواع الإنفاق، إذ يمكن أن ينظر إلى الإنفاق بعدة أنواع: منه الإنفاق المالي، ومنه الإنفاق العلمي أو الإجتماعي، ثم انفاق النفس والروح، من أجل الله عزّ وجلّ، ثم يأتي إلى بيان كل نقطة، فإذا ذكر الإنفاق المالي، فإن على الخطيب أن يهيىء حول هذه النقطة، ما يبينّها ويشرحها، مسندة بالنصوص المناسبة المطلوبة، ويرصّع كل نقطة، بما يمتلك من شواهد؛ مثل بيت شعر مناسب، أو قصة ملائمة لنقطة البحث هذه.

فيكون موضوع المحاضرة على الشكل التالي:



٢ - فكرة + شاهد

٣ - فكرة + شاهد

(حسب أبعاد الموضوع وآفاقه)

ونؤكد؛ أنه يجب أن تكون المقطوعة الشعرية، أو القصة، متناسبة مع كل بعد أو معنى، من أبعاد ومعاني الآية، فالمهم أن يشبع البحث بتنوع أدواته، بحيث يكون المجلس مائدة متنوعة؛ فيجد المتلقّي أن نفسه تُقبل على هذه المائدة، كما يُقبل المدعو على الطعام المتنوع الجميل.

فهو حينما يرى المائدة متنوعة، فإن نفسه تقبل عليها، فكذلك المستمع، عندما يستمع إلى الخطيب، وهو مرة يأتي بقصة، ومرة بحديث، ومرة بشعر، ومرة يقوم بإجراء مقارنة، وتارة بإحصائية أو دراسة حديثة، فحينها يشعر المستمع، أن عند الخطيب عطاءً متنوعاً، وفائدة متعددة، فينجذب إليه، وتتم الاستفادة منه ومن ثمّ تتم مهمّة التربية والإعداد، وهكذا يؤدي المنبر الحسيني رسالته التربوية المطلوبة.

يجب أن لا نُغفل النصوص، وخاصة الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام، حيث تقوم بدور كبير في تركيز المفهوم، وتقوية النقاط وشد المستمع.

ومن الكتب المميزة والميسرة، في تهيئة الأحاديث المناسبة لمختلف

الموضوعات في هذا الباب؛ كتاب ميزان الحكمة، وهو كتاب رائع ومبّوب، لعناوين وموضوعات كثيرة، التي يمكن أن يستفيد منها الخطيب، والموضوعات الواردة هي حسب الحروف الأبجدية، وقد تكون الأحاديث بذاتها، هي التي تفتح للخطيب أبواباً جديدة في المحاضرة. أحاديث معينة، في موضوع معين، تفتح آفاقاً جديدة، لم تكن قد اكتشفها الخطيب من قبل، أحاديث وروايات تغني الآية الكريمة بحثاً، وأبعاداً ومعانٍ.

فكما أن كتب التفسير؛ تضع بين يدي الخطيب عدة آراء وأبعاد، لكل آية، بما تفتح أمامه مجالات الإبداع والتألّق، فإن وفرة الأحاديث، في أي موضوع من الموضوعات، تفتح بدورها آفاقاً أخرى، ومجالات جديدة، تضاف إلى ما يستفاد من آراء المفسرين. إضافة إلى أن هذه الأحاديث والروايات، يمكن أن تشكّل شواهد مهمة لكلِ رأي أو بعد تفسيري نأخذ به. وهذا الكتاب من تأليف الشيخ محمدي ري شهري... وهو كتاب نافع جداً ولا يستغني عنه خطيب أو محاضر أو مؤلف كذلك.

أن من المهم جداً أن نؤكد دائماً بانّ كلّ معلومة يمكن أن تنفع الخطيب في مجلس من مجالسه؛ وقد تكون المعلومة مأخوذة من المجلات أو الكتب أو القصص، أو أي مصدر يوفر المعلومة النافعة التي يمكن للخطيب أن يوظّفها في المحاضرة، ومن خلالها يستطيع الخطيب أن يوصل رسالته. وأذكر هنا كلمة لأحد أساتذة المنبر الحسيني، وهو المرحوم العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني، حينما قال له أحد الخطباء: لقد نضبت محاضراتي ولا أجد ما أتحدث عنه!! فقال له السيد الحسيني رحمه الله: يمكن لك أن تتحدث في موضوعات من آدم عليه السلام إلى عبد الكريم قاسم.. الذي كان رئيساً للعراق آنذاك.. نعم فمساحة الخطابة الحسينية واسعة ومتعددة.

وعلى الخطيب أن يتعب ليله ونهاره باستمرار فهو في همٍّ وتوثّب لا يهدأ، يقتنص كل شاردة وواردة، يمكن أن تعينه ذات يوم، على محاضرة من محاضراته، أو جلاء فكرة من الأفكار، التي يريد طرحها.

والحمد لله رب العالمين



الدرس العاشر

كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني

(الجزء الثاني)

في الدرس السابق أكّدنا، على ضرورة أن يكون الموضوع مؤلفاً من عدة نقاط، ونعود ونذكّر بأن إيراد هذه النقاط فيها فوائد عدة:

١ - تجعل الجمهور يتابع المحاضرة مع الخطيب.

٢ - النقاط نفسها تعين الخطيب على التذكر.

٣ - ترفع حالة السأم وتشد الجمهور تجاه الخطيب.

ثمّ يتبارى الخطباء، في كثرة ما عندهم من معلومات، وسعة ما عندهم من ثقافة.

إنّ خطيب المنبر الحسيني، لا يمكن أن تحدَّد ثقافته بمصدر معين، فإنّ كل شيء نافع هو مما يعني الخطيب، بما يزوده من معلومات. فحتى إذا لم يستفد منها في وقته، فقد يأتي الوقت المناسب لذلك.

ولهذا على كل خطيب، أن يكون لديه دفتر خاص يجعله معه، ويرافقه أينما يذهب، ويدوّن فيه كل شيء، فقد تقرأ بيتاً من الشعر وأنت في الشارع، أو تقفز إلى ذهنك فكرة، فعليك تسجيلها في دفترك هذا، فهذا الدفتر يكون للخطيب نِعمَ المُعين وهو مفيد جداً له. هذا (الدفتر الجيبي) مما يلازم الخطيب الناجح، بل إن المطلوب من كل إنسان يسعى لأن يفيد الآخرين، فإن عليه أن يدوّن ويسجّل كل شيء يمكن الإستفادة منه ولو

مستقبلاً[١]. كما يجب عليه الإحتفاظ والاستفادة من الكتب الأدبية، لاقتناص النصوص والأشعار والشواهد الأدبية. وكذا يقال عن المؤلفات التاريخية والثقافية العامة.

ولا نحتاج إلى تأكيد أهمية تلك المراجع والمصادر، التي تشكل القاعدة الأساسية لثقافة كل خطيب حسيني، وهي كتب المقاتل؛ الجديدة منها والقديمة. والتي تعتبر ذات أثر كبير في الأهمية والخصوصية، في ثقافة ومعلومات خطيب المنبر الحسيني. لأن مادة المقاتل تعتبر الركن الأساس، الذي اعتمد عليه المنبر الحسيني في نشوئه، وعِبر كل مراحل تطوره، كما أن لكتب المقاتل من جهة، والبحوث والدراسات والمؤلفات في ثورة الحسين عليه السلام من جهة أخرى، أهمية كبيرة لا تنحصر فقط في تهيئة «التخلص» أو «المصيبة»، بل تمتدّ إلى صلب أبحاث المحاضرات التي تتلى في مجالس عاشوراء.

أما بالنسبة للمجالس العامة، فقد قلنا أن أهم المصادر، التي يمكن أن يعتمد عليها خطيب المنبر الحسيني، في تهيئة الموضوع؛ هي كتب التفاسير، وكتب الأحاديث الشريفة، للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، وما كتبه العلماء والمفكرون والمؤلفون الإسلاميون؛ من مؤلفات ودراسات تناولت الأبعاد المتنوعة للفكر الإسلامي، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام. إضافة إلى بعض المصادر التي تهيىء ما يسمى بالشواهد الأدبية والتأريخية، من قصص وشعر وروايات، وبما يتلائم وفقرات الموضوع.

ولقد ذكرنا أن الآية القرآنية الكريمة، هي أفضل عنوان للمحاضرة في هذا المجال. ويمكن أن نستفيد من كتاب«المعجم المفهرس لآيات القرآن

---

(١) ثم ينقل الخطيب هذه الشواهد والشوارد في دفتر (أو دفاتر) مبوبّة، يرجع لها عند الحاجة في كتابة محاضرات المجالس، وتعرف بـ(المجموعة). وسيأتي بيانها لاحقاً.

الكريم» للكاتب محمد فؤاد عبد الباقي، وهو كتاب مهم بالنسبة للخطيب، حيث يتم من خلاله استخراج الآية وموقعها، في القرآن الكريم بيسر ودقة. أو من التطور العلمي من خلال الحاسوب أو الأنترنيت.

أما بالنسبة للمحاضرة، فيمكن الاستفادة من كتب التفسير كما ذكرنا.

آية قرآنية تفتح أمام الخطيب، مجالات للإبداع والتألّق. وهناك كتب تفسير كثيرة ولعل من أنسبها للخطيب (تفسير الأمثل) كما ذكرنا، لمؤلفه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، حيث أن هذا الكتاب يذكر لكل آية كريمة، عدة آراء تعين الخطيب، على وضع هيكلية نافعة لمحاضراته.

إن لكل كتاب تفسير ميزة، فبعضها لها اتجاه أدبي، وبعضها لها اتجاه فلسفي، وبعضها فيها اتجاه لغوي، حسب اتجاه المفسرين واختصاصهم. ولهذا فإن من الأفضل لموضوع المحاضرة، أن يكون مشتملاً على آراء لمفسرين من كافة الاختصاصات، حيث ينظر كل مفسِّر إلى الآية من بُعد ما، حتى تعطي الآية أبعاداً مختلفة، بتعدد طرق الإستفادة منها. وعلى الخطيب مراعاة البيئة، والمستوى الثقافي والتعليمي، لدى الغالبية العظمى لروّاد مجالسه.

ثم يأتي دور أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام التي تعد أفضل الشواهد بعد آيات القرآن الكريم، ولعل أفضل كتاب هو كتاب «ميزان الحكمة» وهو كتاب رائع جداً ومبوّب حسب الموضوعات كما سبق بيانه.

إذ فيه الأحاديث والروايات، التي يحتاجها الخطيب، ويُركّز على كل فقرة تُستفاد من الآية الكريمة، وكل هذا إلى الآن ليس كافياً، وإنما يحتاج الخطيب إلى شواهد وقصص وأبيات شعر، ويحتاج إلى فكرة مناسبة، لطيفة رائعة، حكمة مطلوبة، وهذه تُقتنص من كتب تُعنى بالموضوعات الأدبية والتأريخية، والتراجم والسير.

إنّ هذه الشواهد غير محدّدة بمصدر، وليس لها كتاب خاص، إذ يمكن الاستفادة من كل مصدر نافع ومفيد. حيث يمكن أن يستفيد الخطيب، من برنامج إذاعة، أو يستفيد من برنامج تلفزيون، أو يستفيد من جريدة، من مجلّة، من بيت شعر مكتوب في الشارع فيسجله، حكمة يسمعها فيدوّنها. لكن هناك كتباً تعتبر منجماً لهذه الشواهد، حيث تكون حاوية للعديد من هذه الشواهد، ولعل أبرزها ما يعرف بكتب الكشاكيل ومن هذه الكتب (المستطرف في كل فن مستظرف)، والمبوّب حسب الموضوعات في طبعته الجديدة.

كما يمكن الاستفادة كذلك من بقيّة كتب الكشاكيل، مثل كشكول البهائي أو كشكول البحراني، وبقية المصنفات، التي صيغت بإسلوب كتب الكشول من مجاميع العلماء والخطباء. حيث يمكن أن نستفيد منها كمصادر للشواهد.

ولمزيد من الاطلاع، نذكر بعض المصادر الأساسية المهمة حتّى لكتب الكشاكيل مثل كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربّه الأندلسي، وكتاب (محاضرات الأدباء) للراغب الأصفهاني و(البيان والتبيين) للجاحظ ونظائرها. وكما نعلم إن على عاتق الخطيب الحسيني، تقع مهمة توضيح وبيان الأفكار والمفاهيم المطروحة[1] لذلك نجد الخطيب في همٍّ دائم ونشاط مستمر. وربما إستفاد من التطوّر العلمي في البحث عن الشاهد المطلوب ضمن برامج يجدها بالأنترنيت.

إن الخطابة مهمة شاقة ومتعبة، ويجب أن يكون لدى الخطيب الناجح،

---

(١) ذكر لي استاذنا الراحل العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني رَحِمَهُ الله، نقلاً عن أحد كبار الخطباء السابقين المبرّزين في كربلاء، وهو المرحوم السيد جواد الهندي، الذي كان يتناول مجالسه بثلاث لغات.. نُقل عنه أن سرّ نجاحه في الخطابة كلمتان هما: إفْهم وأفهِمْ (إفهمْ أنت ثم أفهمْ الآخرين).

دفتر خاص (مجموعة)، يحتوي على عدة حقول، يرتب فيها الشواهد، التي اقتنصها واستخرجها، من مختلف المصادر والمراجع ولكي تسهل مراجعته لهذه الشواهد، فإن من الأفضل له، أن يجعلها ضمن حقول وأقسام. فالحقل الأول، مثلاً يكتب فيه كل ما يتعلق بالقرآن الكريم وشؤونه، والحقل الثاني يخصص للسيرة، والثالث للأخلاق، والرابع للحِكَم، والحقل الخامس للمواعظ، وهكذا. إن هذا الكتاب يسمى «المجموعة» وهو على شكل كشكول مبوّب. وينبغي أن يكون لدى كل خطيب من خطباء المنبر الحسيني، وربما غيرهم كذلك، مجموعة أو عدة مجموعات خاصة به، يدّخر فيها نفائس ما يحصل عليه من شواهد أدبية وتاريخية وغيرها. ويذكر هنا - بالمناسبة - صندوق الشيخ اليعقوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكيف كان يقتنص الشواهد من أعماق المصادر والمراجع، ويودعها في صندوقه هذا، ثم يوظّفها في مجالسه.

كما يمكن إدخال تلك الشواهد ضمن برنامج للحاسوب الشخصي للخطيب.

وعندما يريد الخطيب أن يعالج موضوعاً ما، فإنه يرجع فيه إلى دفتره الخاص هذا، ولهذا لا يمكن أن يعتمد الخطيب على مصدر واحد في الشواهد، بل عليه جمع الشواهد من كل مصدر متوفر ثم يدوّنه في دفتره الخاص به.

وبالعودة إلى المصادر فإن من مصادر الشواهد، فيما يخص المحاضرات، التي تعنى بالسيرة وفضائل أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ: «كتاب الغدير» وهو أحد عشر مجلداً (للعلامة الأميني) يحتوي على أحاديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الغدير، وكل ما قيل في الغدير شعراً وترجمة الشاعر، وفيه موضوعات، يستفيد منها الخطيب في مجالات مختلفة، تراجم، عقائد، أدب، تاريخ وغيرها.

ولا يستغني الخطيب، عن كتاب (شرح نهج البلاغة)، لابن أبي الحديد ويحتوي الكتاب مجموعات من نقاط أدبية تاريخية رائعة.

كما يُعتبر كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري من مصادر الشواهد الرائعة، فيه قصص وشعر وبشكل لافت وغريب، وهو مخزن للأشعار والقصص والطرائف. فهو يأخذ حيواناً ما: مثل الخفاش، ثم يأتي بحديث يذكر فيه الخفّاش كأن يقول أنه من طيور الليل، فيذكر أنواع طيور الليل، وما قيل فيها من قصص وشعر وأدب، وعن قصص وشعر حول الخفّاش، يذكرها ويذكر كذلك تأويل رؤية الخفاش في النوم. وسمعت أستاذنا الشيخ الوائلي يقول: أنه قد قرأ كتاب حياة الحيوان الكبرى، خمس مرات، وهو متلهف أن يقرأه أكثر من ذلك.

ونذكّر، مرّة أخرى، أن أكثر ما يستفيد منه الخطيب، كتب التفسير، والتفسير هو المتكفل بصياغة هيكلية المحاضرة، ثم تأتي مرحلة استخراج الأحاديث المناسبة للآية، وما فسرت به، ويأتي بعد ذلك دور البحث عن الشواهد، من قصص وأشعار التي يمكن أن توضِّح كل فكرة وكل نقطة.

لو أخذنا الآية الكريمة التي تقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، وفيها أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى المستوى الرائع، إلا إذا أنفق مما أحب، هي فكرة جيدة يجب البحث بعد الإطلاع على تفسيرها في كتب التفاسير وإستخراج الروايات التي تهمّ الفكرة من قصة أو حادثة معينة، في هذا الحقل، لكي تكون توضيحاً للموضوع ودعماً له، حتى يتفاعل الجمهور مع الفكرة. فيجد في كتب التفاسير أو السيرة،شاهداً مهماً، وهو مجيء الصحابي أبي أيوب الأنصاري وتصدّقهِ ببستان كان

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

احبّ ممتلكاته إليه، وقول رسول الله ﷺ: هذه تجارة رابحة. . . وغيرها من الشواهد المناسبة.

إنّ من الحكمة بمكان، أن يعرف الخطيب، كيف يرتب معلوماته وشواهده وينسّقها، حتى يكون هناك عمل مرتّب وجميل، ومعلومات منسقّة حسب مطالب البحث ومؤيدّه لنقاطه وشارحة لأبعاده، مما يؤدي إلى موضوع رائق يبهر الأنظار يستفيد الناس منه، وهم منشدوّن إليه. وهذه الخطوة أساسية، في مسألة كتابة موضوع البحث والمحاضرة.

إنّ التفاسير موجودة، والأحاديث متوافرة، والشواهد والقصص متناثرة في مصادرها، والأفكار مبثوثة في الكتب، وغيرها، والخطيب الحسيني الناجح؛ هو من يسعى بجهد وخبرة في جمع هذه المعلومات، ثم صياغتها وطرحها فنيّاً بأفضل أسلوب وأروعه.

ولعلّ من المفيد ونحن في هذا الصدد أن نشير إلى أن من سلبيات بعض الخطباء، أنهم لا يستطيعون أن يميزوا، ما بين ما هو نافع للناس وما هو غير نافع ولا مناسب، فليس كل ما يُقرأ في الكتب يُتكلم به على المنبر؛ هذا خطأ كبير، قد يقع فيه بعض الخطباء، لا سيما المبتدئين منهم، لأن عالم الكتب شيء وعالم المنبر والخطابة شيء آخر. ولهذا فعلى الخطباء الشبان - نفع الله تعالى بهم - أن يدمنوا حضور مجالس كبار الخطباء والإستماع إليهم، واللقاء المستمر مع بقية الخطباء ومناقشة القضايا معهم قبل طرحها على المنبر.

ولعل من أبرز الأمثلة في هذه المسألة، ما يذكر من أمور تتعلق بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وأبرز رموز واقعة الطف، وما جاء فيها من أخبار وآثار وروايات وسِير. فقد يقرأ الخطيب رواية قد تكون غير محققّة، أو مما يثير استغراباً، أو ممّا يحتاج للتفسير والتوضيح، فإذا ذكرها على المنبر،

ببراءة واسترسال، وإذا بالانتقادات توجّه إليه، وقد يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك. ولهذا فإن الخطيب يُبتلى بأمور قد لا يُبتلى بها غيره.

خاصة إذا كان يقرأ في مجتمع لا يعرف عاداته وتقاليده، فقد يدخل نفسه في إشكال هو لم يقصده أساساً، ويزيد في الاشكال أن الخطيب لم يطرح شيئاً غير مدوّن، بل لأن تلك المعلومة قد تحدث حسّاسيّة ما في مجتمع خاص. فقد ذكر أحد الخطباء ما ورد في بعض خطب يوم عاشوراء و«هذا ماء الفرات تشربهُ اليهود والنصارى والمجوس وتلغ فيه خنازير السواد وكلابه». قال ذلك في بلد للنصارى فيه وجودهم، فإذا بأصواتهم تعلو واحتجاجاتهم تصخب، كيف يجعلون منّا ردفاء للكلاب والخنازير، ممّا سبّب إحراجاً لذلك الخطيب. أو يذكر النصّ عن لسان جون مولى أبي ذر رضي الله عنه لما أراد إستأذان الإمام الحسين عليه السلام: «إن حسبي للئيم وريحي لنتن ولوني لأسود...» حيث يشكل ذلك مبرراً لإحتجاج البعض على الخطيب من أن ذلك يشكّل طرحاً عنصريّاً وما إلى ذلك من أمثله[1]. إن مهمة الخطيب الحسيني، مهمة خطيرة، عليه أن يستعين بالله عزّ وجلّ، وبركات الإمام الحسين عليه السلام، على نجاح مهمته وأداء مسؤوليته.

وما ذكرنا آنفاً، يعتبر خطوطاً عامّة عن كيفية كتابة محاضرة، في منبر الإمام الحسين عليه السلام. ومن المهم التأكيد ثانية في توظيف الشواهد المطلوبة، أن يعد كل خطيب دفترا (مجموعة) خاصاً به. ويفضل الدفتر الذي يكون أساساً ذو عدّة أقسام، وكل قسم بلون معين وذلك، لوضع

(١) إن مما يجعل من مهمّة المنبر الحسيني مهمّة شاقّة؛ أنّ المنبر يخاطب شرائح واسعة من المجتمع، متعددة الفهم متنوعة الثقافة مختلفة المستويات، مما يجعل المنتقدين كثيرين، في ملاحظات قد يكون بعضها صحيحاً وبعضها الآخر ليس كذلك. فعلى الخطيب الاستماع لتلك الملاحظات والاستفادة مما يمكن الاستفادة منه، والله المسدّد سبحانه.

عناوين تثبت فيها الشواهد الأدبية والتاريخية، وهي متوافرة في مكتبات القرطاسية، وبأحجام منوعة. ويمكن أن يقسم هذا الدفتر أو المجموعة، كما سبق أن بيّنا إلى عدة أبواب:

١ - **القرآن**: حيث يذكر فيه كل ما يتعلق بالقرآن من أقوال وقصص وأشعار وأبحاث وإحصاءات. فإذا كانت عندك محاضرة حول القرآن الكريم، مثل موضوع الإعجاز، أو تلاوة القرآن أو التدبر فيه، أو أي علم من علوم القرآن، فيمكنك اللجوء إلى هذا الباب لتوظيف الشاهد المناسب.

٢ - **السيرة**: ويذكر في هذا الباب كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام من قصص وأخبار منتقاة، وأحداث ومواقف وأشعار. حيث تأخذ من هذا الباب، ما يغني محاضرتك، إذا كانت حول أحد المعصومين عليهم السلام. كما تأخذ من هذا الباب ما يقوي محاضرتك، ويدعمها من معلومات السيرة في موضوعات أخلاقية أو تربوية أو فكرية أخرى. كشواهد على الموضوع الذي تتناوله.

٣ - **الأخلاق**: حيث تثبت القيم الأخلاقية، وقصصها وأشعارها، وما قيل فيها من دروس وفوائد وإحصاءات، وكل حالة لها علاقة بالأخلاق. وتلجأ إلى هذا الباب، عند كتابة محاضرة في موضوع، من موضوعات علم الأخلاق. فإذا أردت الكتابة عن حق الجار فرضاً، فإنك تبحث في هذا الباب، عن أي قصة، أو بيت شعر، أو حديث أو فكرة، عن الجوار، فتكون بذلك محاضرتك نافعة، وذات جاذبية توظّف لفائدة الجمهور. وهكذا في الموضوعات الأمور الأخلاقية، إيجابيّها أو سلبيّها.

٤ - **الحِكَم**: حيث تذكر الكلمات، ذات البعد الحكمي، والقصص

والأحاديث، وأشعار الحكمة، والكلمات الجميلة الهادفة ذات الدقة العلمية، وهي مما تُرصِّع به محاضراتك، وتعمّقها في النفوس، حينما تذكر حكمة مناسبة جداً مع نوعية محاضرتك. فقد تضيف مع الشاهد الأدبي من قصة أو أشعار، حكمة موافقة، فيزداد مجلسك تألقاً.

٥ - **المواعظ**: حيث تسجل في هذا الباب، كل ما يتعلق بالآخرة، والموت والقبر، والزهد، من أشعار وقصص.. وتستفيد من هذا الباب كثيراً في كتابة المحاضرات الوعظية، ومجالس تأبين الموتى، فيما يُعرف بمجالس الفاتحة أو الأسابيع والأربعين وحسب العادة المتبعة في مجتمعاتنا. وعلى ذكر مجالس تأبين الموتى، فإنها تحظى بأهمية كبيرة، بالنسبة لخطيب المنبر الحسيني، إذ توفر له هذه المجالس فرصاً مميزة، للوعظ والإرشاد، وأحياناً مع أناس قد لا يعرفون مسجداً، ولا التزاماً ولا دينياً، من بعض روّاد هذه المجالس الذين قد يكونون من أقرباء أو أصدقاء المتوفى.

إن تسجيل الأشعار القوية المؤثرة، والقصص المنتقاة، والأحاديث الدقيقة المناسبة، ثم طرحها بعد ذلك بشكل علمي دقيق، وإلقاء أدبي مميّز، يوظّفان لكلمة هادفة وموعظة حسنة هي من أهم مسؤوليات خطيب المنبر الحسيني. ممّا يجعل للمحاضرة أثراً بالغاً في المستمعين. وقد يهتدي بفضل محاضرتك أناس، من غير الملتزمين فيالها من منزلة عند الله وكرامة عند لقائه تعالى. فالعجب كل العجب، من خطيب يترك هذا المجال الخصب، للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى. ويحاول تبرير ذلك بانه محاضر مثقف، ناسياً أنه قبل ذلك وبعده داعية إلى الله ومبلغاً لدينه وشريعته.

٦ - **اللطائف**: من أشعار ونكات خفيفة وقصص ونوادر، قد يحتاجها

الخطيب ليطعّم بها محاضراته. إذ «أن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان»، كما ورد في الحديث، ولهذا يختار لها لطائف الحكمة من غير فحش. وأبرز ما يستفاد من هذه النكات، في مجالس شهر رمضان وبقية الأشهر، في حين يجب تجنب ذلك في مجالس الفواتح ووفيّات المعصومين، وفي شهري محرم وصفر عامّه، ومجالس عاشوراء بشكل مطلق.

ثمّ يرجع الخطيب إلى هذا الكشكول (المجموعة)، في ترصيع محاضراته بالشواهد المطلوبة، من أجل طرح موضوع متكامل، يترك أثره في المستمعين، فيؤدي إلى ربطهم بإسلامهم، ومفاهيمه وقيمه. ويشدّهم إلى النبي الأعظم ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام.

كما يمكن أن تضاف أبواب أخرى - حسب اختيار الخطيب - مثل الإحصائيات الجديدة، أو العلوم والمكتشفات العلمية الحديثة، وأخبار وشواهد عن المجتمع والحضارة الغربية، وغير ذلك. أكتب في مجموعتك ودفترك الخاص، كل ما تتوقع أن تستفيد منه ذات يوم. أكتب ووثّق كل معلومة تصل إليكَ، إذ قد تأتي الفرصة التي تستفيد منها من معلومة، كنت تتصور ذات يوم أنها ليست بذات فائدة[1]. وعادة ما تزداد المعلومات عند الخطباء، فيحتاجون إلى أكثر من دفتر ودفتر، ومجموعة ومجموعة. وكما يمكن وضع كل هذه المعلومات في برنامج خاصّ، بالخطيب ضمن حاسوبه الخاص (اللابتوب).

---

(١) نزلت في المكتبات أخيراً مصنّفات ومؤلّفات تجمع الشواهد، وهي مما يمكن الاستفادة منه، خاصة للخطيب المبتديء، ولكن لا ينبغي الركون إليها فقط، لأنها ستحجبه عن أمّهات مصادر الأدب والتاريخ، والتي تسهم في نضوجه وسعة معلوماته. ثم أن هناك فرقاً كبيراً بين شاهد تجده حاضراً، وشاهد تتعب نفسك في اقتناصه واستخراجه من بطون الكتب. ثم أن الخطيب يبحث أحياناً عن شاهد لمحاضرته لا يصل إليه إلاّ عبر جهوده الخاصّة ونظرته المتميّزة وحسن تجربته.

بعد كل هذه الدروس النظرية، لا بد أن ننزل إلى المكتبة، كي نجرّب عملياً تطبيق ما درسنا في صياغة بعض المجالس. ونطالع هذه المصادر من المراجع التي ذكرناها في دروسنا ونكتشفها عن قرب.

(يخصّص درس أو أكثر عند النزول للمكتبة).

والحمد لله رب العالمين



الدرس الحادي عشر

كيف يرتب الخطيب مجالسهُ في عاشوراء؟

الجزء الأوّل

ما ذكرناه سابقاً في مسألة كتابة موضوع محاضرة المنبر الحسيني، كان متعلّقاً بالموضوعات العامة طوال السنة. أما مجالس عاشوراء فإن لها ميّزات، ولموضوعاتها خصوصية في المنبر الحسيني. فإنما أسسّ المنبر الحسيني تاريخياً لهذه الأيام الحزينة ثم توسعت دائرته طوال أشهر السنة. فلا بد لخطيب المنبر الحسيني عامة والمبتدىء خاصّة، أن يُعد نفسه لمجالس الأيام العشر الأوائل، من شهر المحرم. خاصّة إذا كانت تجربته الأولى في هذا العالم.

وعادة ما تقسّم الأيام العشرة الأوائل، بهذا التقسيم، الذي جرت عليه تقاليد المجالس الحسينية وأعرافها بين المؤمنين الحسينيّن:

○ - الليلة الأولى من المحرم:

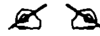
تكون الموضوعات فيها حول أهمية المآتم والمجالس الحسينية.

حيث تُذكر أحزان رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة عليهما السلام على الحسين عليه السلام، كما نذكر جهود الأئمة عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام وكيف خططوا، وكيف سعوا، وكيف حثوا شيعتهم، على إقامة المآتم، وفوائد هذه المآتم، والمسؤولية في ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، وكيف يمكن أن تحيى هذه المجالس؟

فالليلة الأولى عادة، تكون موضوعاتها في أهمية مجالس العزاء،

وكيف تأسست وانتشرت، ويمكن الاستفادة في هذا المجال، من عدة مؤلفات، لعل من أبرزها كتاب «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي» للشيخ محمد مهدي شمس الدين وهو كتاب نافع جداً. ويمكن الرجوع كذلك إلى الأثرين المهمين؛ اقناع اللائم للسيد محسن الأمين والمجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين رحمهم الله.

ويمكن لمجالس هذه الليلة ان تختم بمصائب، مثل دخول الشاعر دعبل الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام وقصيدته التائيّة، أو بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام على أبيه، أو بكاء زينب عليها السلام على أخيها الحسين عليه السلام في داره الموحشة، وندبة أم البنين لأبنائها، وهكذا.



○ - **الليلة الثانية من المُحرم:**

في خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، إذ لا بد أن تكون المصيبة في نهاية المجلس في كيفية خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة. وما رافق ذلك من أحزان وآلام.

ويمكن أن يذكر الخطيب في هذه الليلة موضوعات عدّة، تتفق مع توجّه هذه الليلة، مثل موضوع الهجرة؛ حيث يبحث موضوع هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولماذا هاجر؟ وما تعرض له المسلمون الأوائل من التعذيب؟ هجرة المسلمين إلى الحبشة، هجرة المسلمين إلى المدينة.. ثم نصل إلى خروج الإمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وينهي مجلسه بالمقارنة بين الهجرتين أو ما يناسب ذلك...

كما يمكن أن يذكر في هذه الليلة، ما يناسب من السيرة، فيبحث الخطيب، كيف وصل خبر موت معاوية إلى المدينة وماذا عمل والي

المدينة الوليد بن عتبة ابن أبي معيط، وكيف استدعى الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه البيعة، ورفضه لها، وكلمته المشهورة: «أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق فاجر، معلن بالفسق، وشارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، ومثلي لا يبايع مثله». ويمكن أن يختم هذا المجلس، بذكر وقوف الإمام الحسين عليه السلام، على قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله، أو على قبر أمه الزهراء عليها السلام أو على قبر أخيه الحسن عليه السلام مع تهيأة ما يناسب ذلك من نعي ومصيبة لهذه الموارد، في كتب الشعر من قريضٍ وشعبي، وهذا أمرٌ يعود اختياره إلى الخطيب، فهو الذي يختار ما يراه مناسباً لمجلسه.

كما يمكن أن يذكر في مصيبة هذه الليلة، خروج الإمام الحسين عليه السلام، وبقاء طفلته العليلة «فاطمة العليلة». إذن في هذه الليلة الثانية ينصبّ الموضوع على خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، والمصيبة تكون مناسبة لحادثة خروج الحسين من المدينة.

وبالمناسبة، فإن على الخطيب الحسيني، أن يولي مسألة تحليل واقعة كربلاء، والأبحاث المطروحة؛ عن أسبابها ونتائجها، وعوامل خلودها وظروفها، وما اهتمّت به الدراسات والأبحاث، التي تناولت ثورة الحسين عليه السلام [1] ونهضته.

كما وينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن يولي مسألة حفظ النصوص أهمية كبرى، وخاصة نصوص خطب ومقالات الإمام

(١) على خطيب المنبر الحسيني، أن يتابع حركة الكتاب المتعلّق بنهضة الحسين N فعليه اقتناء نسخة من كل كتاب في هذا الشأن، وهي مسألة غاية في الأهمية، إذ تثري معلوماته من جهة، وتفتح أمامه أبواباً وأفكاراً جديدة لمحاضراته، من جهة ثانية، وتنميّ حسّه المعرفي، وتجعله قريباً من المكتبات واصداراتها، من جهة أُخرى ثالثة.

الحسين ﷺ، وأبرز شخصيات واقعة كربلاء، وهذه المسألة تشكّل جانباً مهمّاً يميّز خطيب المنبر الحسيني، عن أي متحدث أو محاضر آخر، الذي قد يكتفي بذكر المعنى، بينما لا يغتفر لخطيب المنبر الحسيني أن يذكر المعنى، دون أن يحفظ النّص بالدقة، وكلما حفظ نصوصاً أكثر ارتفع شأن خطابته أكثر.



○ - الليلة الثالثة من المحرم:

وموضوعها لا بدّ أن ينتهي بخروج الإمام الحسين ﷺ من مكّة، مع التعريج قبله على بعض الأحداث التي جرت في مكة. وأبرز نشاطات الإمام الحسين ﷺ بها.

ويمكن للخطيب أن يطرح موضوعات عدة، من السيرة الحسينية، أو المحاضرات العامة، مراعياً المجلس وجماهيره. حيث يفرض كل مجلس نمطاً من المحاضرات العاشورائيّة. ففي بعض المجالس تكون موضوعات السيرة هي الأهمّ، بينما لا تراعي مجالس أخرى هذه المسألة حيث يتم الطلب من الخطيب أن يطرح موضوعات عامة، أخلاقية وإجتماعية وتربويّة. ولكن لا بدّ في آخر المحاضرة أن يتمّ الحديث عن كيفية خروج الإمام الحسين من مكة، وبكاء أخيه محمد بن الحنفية، أو بكاء عبد الله ابن العباس، وما قالهُ الإمام الحسين ﷺ عند خروجه من مكة «شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهن سبايا»، أو خطاب الإمام الحسين ﷺ، حينما خرج من مكة «خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء»

ونؤكد مرة أخرى أن من الضروري، أن يتميز قارىء العزاء عن بقية المحاضرين بحفظ نصوص السيرة وبشكل مميز جداً.

وإنه من غير المحبَّذ عندما يعتلي الخطيب المنبر، وهو يقول فيما معناه أن الحسين قال كذا، وخرج من مكة، وقال سوف أقتل وأن أولادي كذلك يقتلون معي، بل يجب على الخطيب أن يحفظ النص، إن حفظ النص يكسب المجلس قوة، ويجعل كلام الخطيب مؤثراً في الناس تأثيراً واضحاً جداً. نعم يجب على الخطيب قبل غيره أن يتعامل باهتمام كبير مع مسألة حفظ النصوص.

لا يغتفر للخطيب أن يمسك بيده ورقة يقرأ منها، وهو ممّا ينقله مباشرة من كونه خطيباً حسينياً، إلى كونه محاضراً عامّاً.

ويمكن، أن يتطرق الخطيب في هذه الليلة، إلى موضوع لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام، ومعه نساؤه، لماذا لم يبق الإمام الحسين في مكة أو في المدينة؟ أو خطوات الإمام الحسين ونشاطاته في مكة.

كما ذكرنا أنّ هناك مجالات كثيرة لطرح المزيد من الأبحاث والدراسات، لكن فقرة المصيبة، يجب أن تكون، في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة.

حيث يمكن أن يقال: اضطر أن يخرج الإمام الحسين من مكة، حفاظاً على حرمة البيت الحرام، وقد قال: «سمعت من أبي أن رجلاً يقتل في الكعبة تُستحل به حرمتها، ولا أريد أن أكون ذلك الرجل» وكانت مكافأة الحسين إرادة الله وهي تقرر: لأجعلن من قبرك كعبة لقلوب المؤمنين، ثم يُعرّج الخطيب على كربلاء ومقارنته بين كربلاء وبين مكة ضمن أبيات القصيدة المشهورة:

لأن قَصَدَ الحُجَّاجُ بيتاً بمكة   وطافوا ببيتٍ والذبيح جريحهُ

فإني بوادِ الطَّف أصبحتُ مُحرِماً أطوف بقبر والحسين ذبيحه
وتسألني عن زمزمَ هاك أدمعي أو الحجرُ الملثُوم هذا ضريحهُ(١)

وبعد ذلك يغوص الخطيب في المصيبة ويشبعها. . .

يجب أن نجهد أنفسنا في تعلمّ فن الخطابة الحسينية، يجب أن يتوافر لدى الخطيب، الأسلوب الفني في الخطابة حتى حركة يدهِ، وكيف يدير المجلس، كيف يشدّ الجماهير، كيف يجذبها(٢)، كيف يستخرج العبرة والدمعة من عين المستمع. أن الأمر يحتاج إلى توفيق من الله تعالى ورعاية من سيد الشهداء عليه السلام ومزيد إخلاص وصدق لهجة ثمَّ تأتي الحاجة إلى فن وتخصص، بحاجة إلى متابعة وقراءة مستمرة، وتراكم خبرات ومتابعة ميدانية لشيوخ الخطباء، وأساتذة المنبر! إن خطابة المنبر الحسيني، تحولّت إلى فن وتخصص قائم بذاته يحتاج إلى دراسة ومتابعة وتطبيق.



○ - الليلة الرابعة من المحرم:

ولا بد أن يُختم موضوعها بوصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فيُمكن أن يتكلم الخطيب؛ عن المراحل التي مر بها الإمام الحسين عليه السلام، من مكة إلى كربلاء، حوالي ستة عشر مرحلة، ويتوقف عند المراحل المهمة، التي مرّ بها ركب الحسين عليه السلام، وفي هذه الموضوعات، تنفعنا كتب المقتل المختلفة.

مثل مقتل السيد المقرم، ومقتل السيد بحر العلوم، وهذان المقتلان

(١) من قصيدة للشيخ محمد حسن الأعسم رحمه الله.
(٢) سيأتي الحديث عن ذلك في دروس قادمة إن شاء الله.

هما في غاية الأهمية لكل خطيب، كمتن من جهة، وهوامش وتعليقات من جهة أخرى، ولا سيما مقتل السيد بحر العلوم. وقد بيّنت في هذين المقتلين المراحل، التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام، عندما خرج من مكة حتى وصوله كربلاء.

فأول مكان (التنعيم) وبعده (الصفاح)، وهكذا بقية المراحل والمنازل حتى كربلاء، مع ذكر الحوادث وما حدث فيها من حوارات وتطوّرات.

ويمكن للخطيب أن يستخرج من الكتابين أعلاه موضوعات أخرى، فإن فيهما بحوثاً كثيرة وأفكاراً مهمة ونافعة، لكل خطيب حسيني. وحينما ذكرنا هذين الكتابين، فإنّما أردنا تيسير الأمر على شبان خطباء المنبر، وعليه في مستقبل حياته الخطابية، أن يراجع أمهات المصادر التاريخيّة.

إنّ بعض الخطباء يقولون: في الليالي الأربع الأولى، لك حرية أكثر في اختيار الموضوع، أو اختيار المصيبة، لكنني وجدت أن المآتم الكبرى في مناطق الخليج وغيرها، تهتم بهذا الترتيب الذي ذكرناه، وبشكل مهم جداً[١]، فإذا التزم الخطيب بهذه الدقة في الليالي الأربع الأولى من المحرَّم، فإنه يكون موافقاً للعرف الحسيني، الذي جاء موافقاً كذلك لأحداث الحركة الحسينية الخالدة. وفي بعض المناطق العريقة بأعراف المنبر الحسيني نجد الناس يتوارثون المجالس والأعراف أباً عن جد، ولهذا لا ينجح فيها، إلا الخطيب الذي استطاعت التجارب، أن تصنع منه

(١) فقد ليم أحد الخطباء المثقّفين، حينما ذكر في الليلة الثانية من المحرم في أحد مجالس الخليج وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وأخذ الناس ينظر بعضهم لبعض، لأنهم قد هيأوا أنفسهم وعواطفهم للتفاعل مع مصيبة خروجه عليه السلام من المدينة لا وصوله إلى كربلاء.
ولما عوتب قال: لأني أعلم أن الحسين عليه السلام وصل إلى كربلاء يوم ٢ محرم، فقيل له إن الأمر كما ذكرت، ولكن هكذا قد جرت عادات المجالس الحسينية.

خطيباً مميزاً في طرحه وأدائه وحفظه وأبحاثه(١).

وفي هذه الليالي الأربع الأولى، قد يكون هناك - على بعض الآراء - مجال في أن يغير الخطيب شيئاً ما، لكن بعد هذه الليالي، سوف تكون فقرة المصيبة محددة جداً، لا يوجد مجال للمناورة. إذ من الليلة الخامسة، سوف تُحدَّد الليالي بشخصيات وشهداء كربلاء، بشكل محدّد ودقيق. ولهذا، فإن من المناسب جداً أن يطرح الخطيب، في الليالي الأربع هذه، أبحاثاً تحليلية، ودراسات مبوبّة عن النهضة الحسينية الخالدة.

والحمد لله رب العالمين



(١) وجدت في نفسي، في سنّي حياتي الخطابية الأولى قابلية لأن اعتلي المنابر الحسينية بمناطق الخليج ذات الشهرة الكبيرة عند الخطباء، بما تمثله من أبعاد، فرحت أقترح ترشيحي لتلك المجالس على العلاّمة الشهيد الشيخ مهدي العطّار، وإذا به ينصحني نصيحة رائعة بقوله: إنك تريد الذهاب إلى مجالس تذّوقت كبار الخطباء وعاشت أعاظم أهل المنبر، فإذا ما قرأت هناك وأنت لم تبلغ درجة النضوج المطلوبة سقطت ولا تعود إلى هناك أبداً فشكرته على ذلك.

الدرس الثاني عشر

كيف يرتب الخطيب المجالس في عاشوراء؟

الجزء الثاني

○ - الليلة الخامسة:

كما ذكرنا في درسنا الماضي: فإنه وابتداءً من الليلة الخامسة، سوف يتم تخصيص كل ليلة، برمز من رموز من شهداء كربلاء، فالليلة الخامسة من محرم مخصصّة للشهيد مسلم إبن عقيل عليه السلام. وليس من المناسب أبداً لخطيب في ليلة خصصّت لمسلم بن عقيل، أن يتحدث عن العباس عليه السلام، أو شخصية أخرى.

في ليلة مسلم ابن عقيل، توجد مجالات كثيرة يتكلم عنها الخطيب، فيمكن أن يتكلم الخطيب، في هذه الليلة، عن تاريخ الكوفة، والتشيع بالكوفة، والمراحل التي مر بها هذا التشيع، وما قاست الكوفة من ظلم الطغاة والولاة الظلمة. ويمكن أن يتكلم، في مراسلة الكوفيين مع الإمام الحسين عليه السلام وتأريخها، منذ أيام أخيه الحسن عليه السلام وبعده، وقبل معاوية وبعده، وعن تحرك أهل الكوفة إلى أن وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، تاركاً المدينة رافضاً بيعة يزيد واجتماع الشيعة في بيت سليمان بن صُرد الخزاعي، والكتاب الأول للحسين عليه السلام. وكيف أرسل الإمام الحسين عليه السلام، بعد ذلك مسلم ابن عقيل، والخطوات التي قام بها مسلم ابن عقيل في الكوفة، ومجريات الأحداث، في الكوفة.. وهناك مادة وفيرة في هذا المجال، كما أن هناك كتب خاصة حول مسلم، لا بد من قراءتها ودراستها والاستفادة من الأفكار الواردة فيها ضمن المحاضرة.

كلّ ذلك في مجالس السيرة، كما يمكن للخطيب أن يطرح موضوعات مثل: الوفاء، الخيانة، العقل الجمعي، الوعي، التغيير، وغيرها في هذه الليلة، ثمّ يربط محاضرته بمسلم عليه السلام.

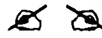
ومن هذه الليلة تبدأ القصائد الخاصة كذلك، فيجب أن تكون القصيدة لمسلم ابن عقيل، مع نعي خاص في مقدمة المجلس لمسلم ابن عقيل أيضاً، والخطيب الناجح هو الذي يختار، كيف ينعى، كيف يوزّع الشعر، وأين يتكلم به وأين يقوله.



○ ومن المصنفات في مسلم بن عقيل

١ - سفير الحسين عليه السلام - للشيخ عبد الواحد المظفّر.

٢ - مسلم بن عقيل - للسيّد عبد الرزّاق المقرّم.



○ - الليلة السادسة من المحرم:

وهي ليلة مخصصة لأنصار الإمام الحسين عليه السلام، ومواقف الأنصار، حيث تطرح موضوعات في مواقفهم، جهادهم، تراجمهم، بصريين وكوفيين، شبّان وشيوخ، من أهل الكوفة ومن خارجها، هناك عدة مجالات يمكن تناولها حول الأنصار كما أنّ هناك عدة كتب حول الأنصار منها:

١ - إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمد طاهر السماوي.

٢ - وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام للسيّد إبراهيم الزنجاني.

٣ - أنصار الحسين الرجال والدلالات، للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

ونؤكد ثانية: إن هناك توصية لكل خطيب، يريد لمنبره الفائدة والنجاح، إن على هذا الخطيب، أن يحاول اقتناء كل كتاب أُلِّف في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بحيث تكون مكتبة خطيب المنبر الحسيني، حاوية لكل ما أُلِّف في الحسين عليه السلام من دراسات، وأبحاث ومصنّفات، حسب الإمكان.

ولو أن الخطيب يأخذ من كل كتاب فكرة واحدة، فإنها ستفتح أمامه أبواب عدة. فمثلاً نجد أن الشهيد مطهري، يقارن في بعض كتبه؛ بين الموقف الذي يقول فيه الإمام الحسين عليه السلام، لأنصاره ليلة عاشوراء: «إنّ هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»، يقارن بين هذا الموقف الذي يقول الإمام الحسين عليه السلام فيه لأنصاره أنتم في حل، مع موقف طارق ابن زياد، عندما عبر المضيق إلى الأندلس، وحرق كل السفن، ولم تبقَ عنده سفينة، وقال المقالة المشهورة: العدو من أمامكم والبحر من ورائكم، وإذا لم تقاتلوا العدو تغرقوا. فلو أخذ خطيب المنبر فكرة المقارنة هذه وضمّنها إحدى محاضراته في تأكيده على إخلاص الأنصار ووعيهم لمواقفهم، لكانت شيئاً جيداً وجاذباً لجمهور المنبر الحسيني. وما أن يأخذ الخطيب مثل هذه الفكرة، ويطرحها في المجلس، وإذا بالمستمع ينشدُّ إليه.

أن من الحقائق المهمة، أن خطيب المنبر الحسيني لا يشترط أن يكون مفكِّراً، بل يجب أن يكون قارئاً جيداً، ومتابعاً للأصدارات مميزاً، يعرف كيف يلتقط الفكرة أو الشاهد، ويوظّف هذه اللقطة في المحاضرة، أو المجلس، مثل؛ موضوع مقارنة أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنصار الإمام

الحسين عليه السلام، أو موضوع دراسة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ودراسة الظروف التي أحاطت بالناس في تلك الأيام، أو بحث في موضوع؛ لماذا تخاذل الناس عن نصرة الحسين عليه السلام؟ أو البحث في موضوع؛ لماذا كان الأنصار قليلين في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، أو أخذ موضوع دراسة الأنصار وترجمة نماذج منهم موقفاً موقفاً. إن هناك أبحاثاً متعددّة، والمجال فيها للبحث والدراسة واسع.

إن من أوصاف خطيب المنبر الحسيني عليه السلام المطلوبة، أن يكون نشيطاً، ذا حرارة فكرية متوقدّة وروح إبداع وتجديد، وحسن تعامل، مع كل ما يكتب، ويبحث، ويناقش، في ثورة الحسين عليه السلام وأبعادها.

وبعد طرح الموضوع، يأتي دور المصيبة في ليلة السادس من المحرم؛ وهي ليلة الأنصار؛ مثل استشهاد حبيب أو الحر أو أي رمز من أنصار الحسين، وفي بعض المناطق، لا بد أن نذكر مصيبة حبيب بن مظاهر بالخصوص، باعتباره هو شيخ الأنصار، وكبيرهم، والخطيب وإن كان في الواقع غير ملزم بهذا، ولكن عليه مداراة الأعراف، وعدم مصادرة عواطف الأمة، وتقاليدها، ما لم تصطدم مع محذورات الشريعة الغرّاء.



○ - الليلة السابعة من المحرّم:

هي ليلة أبي الفضل العباس عليه السلام، وفي مجلس العباس يمكن أن يتطرق الخطيب إلى عدة موضوعات، بما يناسب شهيد هذه الليلة، فقد تكون تربوية أو أخلاقية، أو يختار موضوعاً، يتعلق بالسيرة في هذا المجال، وقد يأخذ الخطيب مقطعاً من زيارة العباس عليه السلام مثل: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة»، فهذه أربع صفات؛ تسليم

وتصديق ووفاء ونصيحة، يأخذ الخطيب من كل واحدة شاهداً من أخبار العباس ومواقفه عليه السلام، رفض الأمان الذي عرض عليه يوم التاسع ويوم العاشر، أو عندما قطعت يمينه وهو يقول عليه السلام:

والله لو قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني

فتقتبس من سيرة العباس ومواقفه هذه اللقطات، وتوظف في شرح فقرات هذه الزيارة، فيكون الموضوع حينئذٍ ناجحاً. وهناك أبحاث عدة يمكن أن تستفاد من مواقف العباس عليه السلام وسيرته، نعم يجب أن يؤدي الخطيب في هذه العشرة أيام، أفضل ما يمكن أن يعطيه، وهي مسؤولية أخلاقية وشرعية. كما أنها من ناحية أخرى، تجعل له موقعاً بارزاً في دنيا الخطابة، تمهّد له خدمة أوسع، وتأثيراً أبلغ.

في ليلة العباس عليه السلام، يمكن أن يتحدث الخطيب عن موضوع الأخوة في الإسلام، إصلاح ذات البين في الإسلام، إدخال السرور على قلب المسلم، الخصومة، حق المؤمن على أخيه المؤمن، وهي ابحاث حياتيّة تتسم بالواقعية، ويحتاجها المجتمع خاصّة إذا ما ضمنّت شواهد من الحياة اليومية للناس، وتعامل بعضهم مع البعض الآخر. وهناك مجالات كثيرة للطرح والبحث. كما أن هناك قصائد شعرية، كثيرة في العباس، ومن بعدها يأتي دور المصيبة، التي وظفّت لها أشعار غاية في الرقّة بنوعيها القريض والشعبي.

○ - الليلة الثامنة من محرم:

في القاسم بن الحسن عليه السلام.

إنّ من المعلوم أن الجميع استشهدوا يوم العاشر، وهذه الليالي إنما قسمّت على رموز من شهداء الطف حتى نزيد من إحياء ذكراهم، ونحضى بالمزيد من التأمل في مواقفهم، وما يمكن استفادته من الدروس والقيم.

وفي هذه الليلة، والتي بعدها، مجالات واسعة لطرح موضوعات تربوية؛ لأن القاسم استشهد وهو لم يبلغ الحلم، ومن هذه الموضوعات: الشباب، اليتيم، دور الأم في التربية، الزواج، العلاقات الزوجيّة وما شابه ذلك. كما ويمكن أن يكون الموضوع، هذه الليلة في السيرة، ومثل موضوع موقف الإمام الحسن عليه السلام، وعلاقته بثورة الإمام الحسين عليه السلام، ربط الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، شرح أسباب الصلح، وأن من ضمن بنود الصلح، أن يأتي إلى الحكم بعد معاوية الإمام الحسن عليه السلام، وإذا لم يكن موجوداً يأتي الإمام الحسين عليه السلام.

فإذاً الإمام الحسن عليه السلام، أعطى للإمام الحسين عليه السلام بنداً قانونياً، بتوقيع معاوية وكأن الإمام الحسن عليه السلام، أسس ومهّد لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام. والإمام الحسن عليه السلام لم يكتفِ بالتأسيس، وإنما كانت له مشاركة يوم عاشوراء حينما استشهد له أولاده، منهم أخ القاسم من أمه وأبيه، محمد ابن الحسن عليه السلام وعبد الله ابن الحسن عليه السلام الذي قتل ثمانية عشر رجلاً، ثم قطعت يده ولكنه لم يستشهد، وكان عنده أخوال من بني فزارة، فاستنقذوه، وأخذوا له أماناً وبقي على قيد الحياة، وطفل الحسن عبد الله الأصغر، قتل في حجر عمّه الإمام الحسين عليه السلام عندما سقط على الأرض، جاء عبد الله الأصغر، وألقى بنفسه على عمه، فذبحه حرملة، وهو

في حجر عمه الإمام الحسين عليه السلام، والرابع القاسم ابن الحسن عليه السلام.

يتطرق الخطيب هذه الليلة إلى سيرة الإمام الحسن عليه السلام، ومن بعدها يركز الموضوع على القاسم عليه السلام سيرة وتحليلا. ولهذه الليلة قصائد خاصة، ونعي خاص، بالقاسم ابن الحسن عليه السلام ولا ينبغي تركه، وخاصّة ان هناك قصائد قد لا تقرأ إلاّ مرة واحدة بالسنة، وهي في هذه الليلة.



○ - الليلة التاسعة من المحرّم:

هي ليلة علي الأكبر عليه السلام، ويمكن لنا أن نقول بشكل عام: أن نفس الموضوعات نفسها، التي تمّ طرقها في ليلة القاسم، يمكن طرقها في ليلة علي الأكبر كذلك، حيث يمكن طرح موضوع حقوق الأبوين، حقوق الأب والإبن، أو طرح موضوع الشباب، أو موضوع التربية، أو موضوع الأسرة، كل هذه المواضيع مفيدة.

و نناك قصائد رائعة وأبيات نعي مشجية، ومصيبة وشعر خاص في علي الأكبر، متعدد الجوانب وواسع المساحة بالفصحى والشعر الشعبي، يُغني الخطيب كثيراً. وبالمناسبة فهناك مؤلفات وإن كانت قليلة، حول الأكبر عليه السلام، ويمكن مراجعة كتب السيد عبد الرزاق المُقرّم، وغيره، في هذا المجال.

إنّ من المعلوم أنّ معلومات السيرة شحيحة جدّاً حول القاسم أو علي الأكبر عليهما السلام وكذلك الأمر في سيرة أبي الفضل عليه السلام، وإن كانت أوسع من سيرة القاسم والأكبر. وهنا يمكن أن تطرح أبحاث عامة في السيرة الحسينية الخالدة، ثم تربط مع أحد الشهداء، وذلك في المجالس التي تطلب السيرة.

○ - الليلة العاشرة من المُحرّم:

يمكن أن تنتهي المحاضرة في هذه الليلة بعدة نهايات، وعادة فإن المصيبة التي تقرأ في هذه الليلة هي مصيبة الطفل الرضيع، أو مصيبة وداع الإمام الحسين عليه السلام لعياله، يوم عاشوراء آخر وداع لما رجع إلى المخيم، ويمكن للخطيب أن يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام يودع أخواته ويودع أطفاله، هذا وداع، ووداع آخر يوم قتل أصحابه وأنصاره، ولم يبق عنده أحد، فوقف ينادي: من يقدم لي الجواد وأنا ابن أمير المؤمنين. . والشعر المناسب مثل:

من ذا يقدم لي الجواد ولامتي والصحب صرعى والنصر قليل
فأتتهُ زينب بالجواد تقوده والدمع من ذكر الفراق يسيل

وليلة العاشر لها أحداث خاصة سبقتها، وهي التي مرت على الحسين عليه السلام ، منذ نزوله في كربلاء، إلى حين أتى يوم العاشر، بعض الناس قد لا يعرفون متى وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فضلاً عن الأحداث التي تلت ذلك.

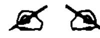
فبإمكان الخطيب، أن يتكلم حول التطورات في هذه الليلة، والأحداث التي مرت بها، في تقدّم القوم عصر تاسوعاء، وكيف كان الإمام الحسين عليه السلام يناجي ربّه بقراءة القرآن، والدعاء والاستغفار، يمكن أن يطرح موضوع الليلة حول العبادة، أو حول القرآن، أو حول الوصية، هناك مواضيع مختلفة للبحث هذه الليلة، وتكون المصيبة حول الرضيع أو وداع الإمام الحسين عليه السلام في هذه الليلة لأهل بيته، أو بقية النسوة تلك تودِّع أخاها وأخرى تودِّع ولدها، وهكذا.

وكما ذكرنا، يجب أن يستمع خطيب المنبر الحسيني، إلى تسجيلات

شيوخ الخطباء، والخطيب لا سيما الشبان من الخطباء عندما يستمع لمجلس عزاء، فأن استماعه ليس كما يستمع غيره، حيث يكون استماعه إستماع تعلّم واستفادة واكتساب خبرة، في حقول القصيدة والموضوع والنعي والشعر الذي يتلى في كل المجلس، ولا بد أن يستفيد الخطيب من الآخرين، حتى إذا استطال الشيء قام بنفسه. وأكرر دائماً، استمع وتابع واكتسب خبرة، ودقّق في تجارب أساتذة المنبر الحسيني وشيوخه.

وينبغي على الخطباء رعاهم الله تعالى، أن يراعوا حرمة هذه الليلة وأحزانها وإن يتجنبوا كل موضوع ينافي هذه الحرمة وهذه الأحزان، إنها أحزان النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

ثم جرت العادة أن بعض المجالس تستمر إلى يوم الثالث عشر، وعليه فسنتابع البحث لهذه الليالي المتبقيّة.



○ - الليلة الحادية عشر من المُحرّم:

وعادة لا يطرح موضوع بحث في هذه الليلة، فهي ليلة حزن وبكاء، حيث يتوقف الخطيب في أغلب المجالس على الأحداث بعد المصرع، الذي جرى على الأطفال والنساء بعد فقد الأحبة،التطورات التي تلت قتل الإمام الحسين عليه السلام، كيف جاؤوا لهم بالماء؟ ماذا جرى في ليلة الحادي عشر؟ بقاء الأطفال ومعهم السيدة زينب عليها السلام، في الخيمة. وهناك قصائد خاصة في هذه الليلة، وأحداثها ومصائبها. إضافة إلى مخزون مميز من النعي في فجائع هذه الليلة.

نعم قد تتطلب بعض المجالس، ذات الحضور النوعي أو المثقّف، بعض الأبحاث ولكن الأفضل مع ذلك أن تطرح أبحاث في السيرة، مثل

موضوعات: نتائج النهضة الحسينية، هل حقق الحسين أهدافه، دور المرأة في واقعة الطف وغيرها.



❍ - الليلة الثانية عشر من المُحرّم:

يمكن طرح موضوع الأحداث التي جرت بعد العاشر، دور ثورة الحسين عليه السلام في تغيير الناس، وأخلاق الناس، أو نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام. أما القصائد التي تقرأ في هذه الليلة فهي مما يناسب يوم الثاني عشرة من المحرّم. إذ يبدأ بعد هذه الليلة، وإلى آخر شهر صَفَر، بقراءة القصائد التي فيها ذكر السبايا والأطفال، بعد استشهاد الأهل والأحبة. ومن هذه الليلة يبدأ الخطيب بالتخفيف من جانب المصيبة والنعي التي كانت حيّزاً مهّماً لمجالس العشرة الأولى، وتبدأ المجالس بالعودة إلى طرح الأبحاث مع التأكيد على المصائب بما يتناسب مع السبي والأحداث من كربلاء إلى الكوفة ثم الشام إستمراراً للمجالس طوال بقية المحرم وربما شهر صفر كذلك.



❍ - الليلة الثالثة عشر من المُحرّم:

ليلة دفن الإمام الحسين عليه السلام، هناك قصائد تشير إلى الدفن من الصنفين القريض والنعي بالشعبي، ويمكن التكلم في هذه الليلة، عن مواضيع مختلفة كثيرة منها: نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام أسباب خلود ثورة الإمام الحسين عليه السلام، حالة الندم التي طرأت على الأمة، بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. ماذا غيرت ثورة الإمام الحسين من

أخلاقيات المجتمع المسلم ومواقفه؟ استيقاظ الضمائر بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

ويمكن أن يتكلم الخطيب كثيراً في هذه المجالات. وبعض الخطباء يختار موضوعات، حول المختار وأخذه بالثأر، أو ثورة التوّابين. كما يمكن الحديث عن مجريات الأمور، من حين دخول السبايا إلى الكوفة. وإذا ما طرح أي بحث، فلا بدّ أن تكون المصيبة مرتبطة بهذه الأيام، فليس من المستحسن العودة، إلى ما ذكر من مصائب العشرة الأولى.

وفي نهاية المطاف، نكون قد أعطينا معلومات أولية، عن أبحاث المجالس العاشورائية[1]، أو الخطّة العامة للمجالس، في الليالي الثلاث عشرة الأولى من المحرّم.

والحمد لله رب العالمين



(١) يمكن مراجعة كتابنا (مجالس ليالي عاشوراء) واعتباره تطبيقاً عملياً لما ذكرنا من أفكار ورؤى.

الدرس الثالث عشر

المصادر التي يعتمد عليها الخطيب الحسيني

لقد ذكرنا في دروسنا السابقة، أن على الخطيب الحسيني، أن يستفيد من كل الدراسات والأبحاث، وخاصّة تلك التي تناولت ثورة الحسين عليه السلام، ونحاول ذكر بعض هذه الدراسات والأبحاث. إذ أن هناك العديد من الكتب التي يمكن الاستفادة منها في تهيأة المحاضرات، التي تتناول نهضة الحسين عليه السلام بالتحليل والدراسة والتتبّع. ولعلّ من أبرز هذه الدراسات ما يلي:

١ - معالم المدرستين - للسيد مرتضى العسكري.

٢ - ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي - الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

٣ - ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية - الشيخ شمس الدين.

٤ - إقناع اللائم على إقامة المآتم - للسيد محسن الأمين.

٥ - نَفَس المهموم - للشيخ عباس القمّي.

٦ - حياة الإمام الحسين - للشيخ باقر شريف القرشي. في ثلاثة مجلّدات.

٧ - مع الحسين في نهضته عليه السلام - للشيخ أسد حيدر.

٨ - نهضة الحسين عليه السلام - السيد هبة الدين الشهرستاني.

٩ - الحسين وارث الأنبياء - الشيخ محمد مهدي الآصفي.

١٠ - الإمام الحسين عليه السلام - للشيخ عبد الله العلايلي.

١١ - أبو الشهداء - عباس محمود العقاد.

١٢ - بطلة كربلاء - لبنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمان.

هذه من أهم الكتب التي تتناول واقعة كربلاء، وأبعادها وما ذكرنا من عناوين الكتب، قد تكون لأبرز ما كُتب، وغيرها كثير، ولا تزال المكتبة الحسينية معطاء، وهي من أغنى المكتبات في كثرة ما يكتبُ فيها ويُبحث، وعلى الخطيب الحسيني - كما أكدّنا ذلك مراراً - أن يبادر إلى اقتناء أي كتاب أو بحث يتعلق بنهضة كربلاء، لأن من شأن ذلك الأسهام المباشر، في سعة معلومات الخطيب، وانفتاحه على مجالات أخصب ومجالس أوفر، وأكثر عطاءً.

أما المقاتل فكثيرة، ويمكن أن يكتفى في المرحلة الأولى بكتابين هما:

- مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرازق المقرّم.

- مقتل الحسين عليه السلام للسيد محمد تقي بحر العلوم. وكما ذكرنا سابقاً، يعتبر الكتابان من أفضل المقاتل فائدة للخطيب الحسيني.

أما ما أُلِّف على أساس مجالس حسينية فهو كثير، إلا أن من أقدم ما كتب في هذه الباب:

١ - المجالس السنية - للسيد محسن الأمين.

٢ - المجالس الفاخرة - السيد عبد الحسين شرف الدين.

٣ - شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري.

٤ - عدّة الخطيب - السيد علي الهاشمي.

وهي كتب، قد يكون من المهمّ، أن يطالعها الخطيب، فيستفيد من

طرفها، وينطلق منها إلى الأفضل، وبما تمليه عليه، تغيّر الحاجات، وتطوّر المجتمع.

لقد ذكرنا في ما مضى إرشادات عامة، حول الموضوعات، التي تصاغ في أيام العشرة الأوائل من المحرّم، على أساس الترتيب الذي شاع بين خطباء المنبر الحسيني، في تقسيم هذه الليالي العشر الأولى من المحرّم، إلى تقسيمات عدة، بحيث أن كل ليلة، تنتهي بنقطة من نقاط واقعة كربلاء، سواء قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، أو بعد وصوله حتى الشهادة. لقد ذكرنا الليالي ولم نذكر يوم عاشوراء.

أما يوم العاشر، فإنه لا يوجد غير المقتل، حيث يتلى مصرع الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم. أما بالنسبة إلى قراءة المقتل، فإنها تختلف حسب الظروف. ففي مكان لا يوجد فيه غير الخطيب، الذي يحييّ هذه المناسبة، فيُحَتم عليه أن يقرأ المقتل كاملاً، وقد يستغرق من الوقت حوالي ساعتين تقريباً، فيبدأ أولاً «لمّا أصبح الإمام الحسين يوم عاشوراء، وصلى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيباً فيهم، حمد الله وأثنى عليه» يبدأ بهذا المقطع وينهي باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومجيء الفاطميات إليه.

وفي حالات أخرى، قد لا يتحمل المجلس إطالة ساعتين، إذ لا بد أن ينتهي المجلس قبل صلاة الظهر باختصار المصيبة. وعلى الخطيب أن يراعي وقته والمحافظة على أوتار صوته إذا كان عنده أكثر من مجلس. بينما جرت العادة، في بعض الأماكن، أن يتولى شخص أو عدة أشخاص قراءة المقتل، ويترك مصرع الحسين عليه السلام فقط للخطيب، حيث المصيبة العظمى، ويكون حينها المجال أخصب، لأبداع خطيب المنبر وتصوير الساعة الأكثر حزناً على محمد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام وشيعتهم.

وعادة ما يقرأ المقتل صباحاً على أن ينتهى منه قبل آذان الظهر، لكني

وجدت بعض المناطق الخليجيّة يبدأون قراءته بعد صلاة الظهر، ولعل ذلك الوقت يكون أقرب إلى وقت إستشهاد الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

وقد مرّ بنا (في فقرة المصيبة) ذكر ثلاثة من مصادر القصائد الرثائية، في الإمام الحسين عليه السلام والشهداء معه.

وأما بالنسبة لدواوين الشعر الشعبي فهي كثيرة جداً، وقد يصعب إحصاؤها. فمن أشهرها «النصّاريات» للشيخ محمد نصار النجفي و«الروضة الدكسنية» للشيخ محمد حسن دكسن البصري.

إن ديوان الشيخ محمد نصار، ركّز فقط على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وصحبه، في يوم العاشر. بينما نجد أن الشيخ محمد حسن دكسن، أستمر شعرُه إلى رجوع السبايا إلى المدينة، وفي الطريق إلى الشام، وما جرى في الشام، وما سبقها. في الكوفة أيضاً. بل أضاف إليها وفيات النبي والزهراء والأئمة عليهم السلام.

بعد ذلك ظهر شاعر مبدع آخر، وهو السيد عبد الحسين الشرع النجفي وديوانه باسم «منهل الشرع» وهو بجزأين. ولا ننسى الأثر الرائع، ذي السبك الشعري المتميز، في ديوان سلوة الذاكرين للشيخ عبد الأمير الفتلاوي.

وهناك أرضية للشعر الفائزي «البحراني»، الرائج في المنطقة الشرقية بالحجاز، والبحرين، والكويت، إلى عمان. ولمّا كان الخطباء يسافرون من العراق إلى الخليج لا سيما في المحرّم، فقد رأوا أن هناك مطلباً آخر؛ حيث أن الناس تتفاعل وهذا النوع الخاص، من الشعر والنعي، بالإضافة أنه يُقرأ بطورٍ شجيّ.

ولعل أشهر من كتب فيه الملّا ابن فائز الذي تنسب إليه هذه الأشعار، وكتابه باسم «فوز الفائز»، كما ويوجد كتاب اسمه «الفائزيات الكبرى»،

وكتاب ثالث للملا عطية الجمري، بعنوان «الجمرات الودية» وهو بجزئين، وقد أشرنا إلى هذه الكتب مسبقاً. ولعل أفضل موضع يمكن أن يستخدم فيه النعي، بالطور البحراني، هو بعد القصيدة في مقدمة المجلس[١].

وبالعودة إلى أساس دروسنا، فإن على الخطيب، أن يسعى بكل جهده، لتهيئة محاضراته وأبحاثه، في العشرةِ الأولى من المحّرم خاصة، وبقية المناسبات عامة.

وانّ من اسرار الخطابة الناجحة، مسألة التحضير، حتى كان أحد كبار الخطباء يوصي: التحضير التحضير التحضير.

والتحضير يحتاج إلى تعب وجهد، يجب أن تُحضّر المجالس قبل عاشوراء، أو بقية المواسم الخطابية، مثل شهر رمضان، بفترة معتد بها، وقد يُحرم الخطيب من فرصة وهو بأمس الحاجة إليها، إذ قد يطلب منه فجأة مجلس ما، فإذا كان قد هيأه مسبقاً، فإنه سينقذه من الإحراج أولاً وقد يفتح الله تعالى عليه ببركة الحسين عليه السلام أبواباً من الخير والعطاء والتوفيق. والخطيب لا يعلم في أي مجلس يأتي فيه التوفيق له، ولهذا عليه أن يحسن ظنّه بالله تعالى، ويتقن عمله، في إعداد المجالس وتهيأتها.

ونؤكد ما سبق تأكيده، من الاستماع الواعي إلى الخطباء البارزين، ويمكن أن يأخذ الخطيب المبتديء مجموعات من محاضرات الخطباء البارزين، ويقارن ويستفيد ويستنتج. نعم نحتاج إلى التذكير بذلك باستمرار. وهي أمور معروفة في كل تخصّص، في دراسة تجارب وأبحاث أهل ذلك التخصّص.

---

(١) وجدت أن بعض مجالس عُمان، لا ترغب بقراءة الطور الفائزي في فقرة المصيبة نهاية المجلس، لأنهم يقولون إنّ هذا الطور يتطلب أن يتجاوب الحاضرون مع الخطيب بالأنين، وهذا يمنعهم ويعيقهم عن البكاء، وهو رأي لا يخلو من وجاهة.

إن الاستماع والمتابعة والتسجيل، ومحاولة الترديد والتقليد والمتابعة، مع جهاز التسجيل، حيث يتم تسجيل الملاحظات، والمقارنة بين اسلوب الشيخ الوائلي مثلاً، وطريقة الشيخ المقدسي، أو السيد الشوكي، أو الشيخ الصيمري، وغيرهم من شيوخ الخطباء.

كما ويمكن أن تأخذ من هذه المحاضرة تخميساً، ومن تلك تستفيد من عرض مصيبة، أو الاستفادة من فكرة معينة وهكذا... حتى يصل الخطيب إلى مستوى الاستقلال بنفسه.

ومن الأمور، التي تفتح مجالات الخطابة الحسينية واسعة، أنّ على خطيب المنبر الحسيني، أن يكون مبادراً للقراءة، فإذا طلب منه مجلس، يجب أن يقرأ بما عنده، ويتجنب الاعتذار، من أجل أن يكتسب خبرة وجرأة، وإن الله سوف يفتح له أبواباً من العلم. ولذلك يجب أن يبذل الخطيب ما عنده من طاقات، وقد تحتاج إلى حركة وتفاعل اجتماعي وتنمية شبكة علاقاته، نعم عليه أن لا يعتذر من أي مجلس، عليه دائماً أن يكون مقتحماً وحاضراً ومبادراً، وسوف يفتح الله تعالى عليه أبواباً لم يكن يفكر بها الخطيب، ولكن نؤكّد بشكل بارز أن على الخطيب أولاً وقبل قراءة المجلس أن يكون مهيئاً باستعداد ومداومة القراءة والمطالعة والتتبّع[١].

وينبغي التنبيه، أن مجالس شهر محرم، تختلف عن مجالس شهر رمضان، وأنّ المجالس في مناسبات الأئمة عليهم السلام، تختلف عن بقية الأيام، ففي العشرة الأولى من المحرم، يكون التركيز على السيرة الحسينيّة وإشباع فقرة المصيبة، أكثر من بقية المجالس وهكذا. وأن من الأهمية بمكان،

---

(١) نقل عن الخطيب المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي، أنه كان يحضّر مجلساً حتى لو كان مدعّوا لعقد قران، لأنه لا يدري متىٰ يفاجأ بطلب مجلس منه.

الوقوف عند أعراف المنبر وتقاليده، ومتابعة الكيفية التي يحيي بها كبار الخطاء، المواسم الخطابية، وأيَّ القصائد يختارون، وأيَّ الأبحاث يطرحون، وعلى أيِّ نوعٍ من المصائب يركزّون، وهكذا...

لقد استهجن الحضور في أحد المجالس، خطيباً غير ذي تجربة، يقرأ في ليلة العباس عليه السلام (٧ المحرّم)، قصيدة حديثة لشاعر معاصر، في الجانب البطولي لشهداء الطف، دون أن تشير في أبياتها، إلى صاحب هذه الليلة لا من قريب ولا من بعيد! ولا تتميز بدفق عاطفي يطلب في مثل هذه الليلة.

كما ونؤكّد على اهمية التركيز على مفردات السيرة الحسينية وأدق تفاصيلها، وهذا يدعو إلى قراءة مقاتل الإمام الحسين عليه السلام بدقة وحفظ. وكنت اسمع استاذنا العلامة السيد عبد الزهراء الخطيب رحمه الله، وهو يقول: كانت عادة الخطباء، بعد شهر رمضان، الأنكباب على قراءة المقاتل في كل المصادر التاريخية، وحفظ نصوصٍ منها، وهو ما يفتح أمامهم، أبواباً جديدة من المجالس الجديدة والأبحاث المبتكرة.

وعلى الخطيب أن يكون مبدعاً، وعليه أن يأتي في كلّ موسم خطابي بشيء جديد يشّد الجمهور إليه، هناك الكثير من أبحاث السيرة الحسينية، وفيها أمور غير مسموعة مجهولة، جديرة بالبحث والطرح، يجب على الخطيب أن يطالع الكتب والأبحاث جيداً. كما ولا بد أن يتنبّه، على أهمية مجالس السبايا، التي تأتي بعد عاشوراء، حتى نهاية صفر، وضرورة حفظ القصائد والنصوص، والنعي المناسب لها.

إنّ على الخطيب، القراءة المستمرة، نعم لا يطلب من خطيب المنبر الحسيني، أن يكون مفكّراً كما قلنا، ولكن المطلوب منه، أن يكون

محاضراً هادفاً ونافعاً. وهذا لا يمنع من كونه مفكّراً ومبدعاً، لو تسنّى له ذلك.

والمحاضر النافع، يأخذ مما قاله العلماء والمفكّرون، والمفسرون وأهل الرأي، ويمكن أن يقرأ كتاباً واحداً، وقدلا يستفيد منه إلا معلومة واحدة. ولكن هذه المعلومة الواحدة، وغيرها، هي التي تجعل من منبره نافعاً وناجحاً ومتميّزاً.

وكما قلنا سابقاً: يجب أن يتوافر في مكتبة الخطيب، كل كتاب تناول أبحاث ثورة الحسين عليه السلام، ثم على الخطيب بعد ذلك، أن يكون بحثه متميّزاً بلمساته الخاصّة، ولا يكون مجرد صدى عن الآخرين.

وبهذا الدرس، نكون قد أنهينا الفقرة الثالثة والأهم، من فقرات المنبر الحسيني؛ وهي فقرة المحاضرة والموضوع، ولكي نكمل دروسنا، لا بد أن نتوقف في دروسنا القادمة، عند فقرتي «التخلّص» و«المصيبة»، إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين



الدرس الرابع عشر

فقرة التخلص

كنّا في الدروس السابقة، قد توقفنا، عند شرح وإيضاح الفقرات الثلاث الأولى، من فقرات المنبر الحسيني، وهي: المقدمة، القصيدة، المحاضرة «الموضوع».

وبقي علينا، أن نواصل شرحنا ودراستنا، للفقرات الثلاث الأخرى المتبقية، وهي التخلّص والمصيبة والدعاء.



○ ٤ - فقرة التخلّص...

مرّ بنا، أن المنبر الحسيني، كان في بدايته لا يتجاوز قصيدة رثاء، يتلوها الشاعر، عند أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، فتتفاعل معها النفوس والقلوب، حرقة وألماً وبكاءً...

ثم أخذ المنبر الحسيني، يخطو خطوات نوعية، ويمرّ بمراحل متعدّدة، حتى وصل حالياً، إلى مستوى متقدّم من التخصّص، فصار فنّاً خاصاً من فنون الخطابة، لا يقوى على النهوض بمهماته، إلاّ من توافرت فيه شرائط خاصة؛ بعضها ثقافية وأخرى فنيّة، يتواصل كل هذا، مع متابعة ميدانية لأعراف المنبر وأساليب أساتذته، وتراكم خبرات الخطباء وإبداعاتهم.

إن من خصائص خطيب المنبر الحسيني الناجح، في يومنا هذا، إن يمتلك من يعتلي أعواده حسّاً فنيّاً، وأسلوباً إنسيابياً، وذوقاً أدبياً، يقوى بها على نقل روّاد مجالسه، من المحاضرة والبحث، اللذين كان بصددهما،

إلى أجواء عاشوراء، وساحة كربلاء.. أي أن هناك جسراً، يعبر عليه المستمع، من عالم البحث والمحاضرة، إلى عالم المصيبة والبكاء والحزن... إن هذا الجسر، يحتاج إلى الحس الفني، والأسلوب الإنسيابي، والذوق الأدبي هو الذي يُعرف بـ«التخلّص»... أو«النُقلة»..

إن من غير المُستساغ أن يتجاوز خطيب المنبر الحسيني، فقرة التخلّص هذه، لينتقل من فقرة المحاضرة، إلى فقرة المصيبة رأساً «من الفقرة ٣ إلى الفقرة ٥». بل لا بد عليه أن يمهّد، لهذا الأنتقال عبر فقرة التخلّص.

والتخلّص؛ أسلوب أدبي، كان معروفاً عند العرب، حيث يذكر الشاعر معنىً ليمهدّ الانتقال إلى معنى آخر.

أما في المنبر الحسيني، فإن التخلّص يعني: إن الخطيب، حينما يشعر، أنه قد أكمل بحثه، وأن المحاضرة التي قد تناولها، قد أدت مهمتّها، وكادت أن تصل إلى نهايتها، فإنه يبدأ بالتفكير والتخطيط والبحث، عن فكرة ما، أو مسألة ما، لها ارتباط بمحاضرته من جهة، ويمكن من خلالها - كذلك - التعريج على أحداث واقعة كربلاء من جهة أخرى. أي أنه يقوم بعملية تمهيد لذهنية المستمع وتهيئة لنفسيته وإعداد لمشاعره، حتى تتفاعل في نهاية المجلس، مع الأجواء العاطفية والحزينة، لأحزان الطف. أي أنه يتخلّص من المحاضرة إلى المصيبة.

إن «التخلّص» الناجح منوط بتوافر عدة شرائط أهمها:

أ - الذوق الخطابي، والذهنية المنبرية، التي تمكّن خطيب المنبر الحسيني، من أخذ «فقرة التخلّص» بالاعتبار، منذ أن يشرع بصياغة محاضرته وكتابة بحثه.. أي أن الخطيب الناجح، هو الذي يفكّر وهو في بداية مجلسه، كيف سيختم مجلسه هذا!!.. لأنه يعلم، أن نجاحه وتوفيقه، كخطيب، لا يعود فقط إلى قوة المحاضرة، إذ قد يشترك في هذا

مع بقية المحاضرين، ولكنه يعلم، أن الأمر يتعلّق وإلى حدّ كبير - كذلك - برهافة أسلوبه، وانسيابية طريقته، في نهاية المحاضرة لربطها بكربلاء وأحزانها.

فحينما يطرح الخطيب، محاضرة حول الصديق والصداقة، على سبيل المثال، فإنه يفكر منذ بداية محاضرته، بأفضل ربط بين محاضرته، وحدث من أحداث كربلاء... حيث يخطط - مثلاً - لأن يُنهي المجلس، باستشهاد مسلم بن عوسجه الأسدي، ومجيء حبيب بن مظاهر الأسدي «رضي الله عنهما»، إلى مصرعه، باعتباره كان صديقاً له ضمن تاريخ جهادي طويل..

فإذن عندنا بداية، وهي محاضرة الصداقة، وعندنا نهاية، وهي مصيبة استشهاد مسلم بن عوسجة، ولكن كيف يربط بينهما؟ هنا يأخذ الخطيب بالتفكير والبحث، عن فكرة ما، تكون ضمن سياق المحاضرة، فلا يدري المستمع؛ أنّ الخطيب قد بدأ بالتحوّل إلى نهاية المجلس، بل قد لا يتصوّر أن هذه الفكرة ستنقله إلى كربلاء.. فيجد الخطيبُ الحديث الشريف: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث؛ في غيبته، ونكبته، وعند وفاته». ويكتشف أهلية مؤدى الحديث الشريف، مع المهمة التي يسعى إليها.. فيجعل هذا الحديث في آخر محاضرته، لأنه يُعتبر جسراً جيداً، يربط به بين المحاضرة وكربلاء.. فيذكر الحديث مع شرح يتناسب والوقت، حتى يصل إلى حضور الصديق في وفاة صديقه.. ثم يقول: نعم كم يتألم الصديق، حينما يسمع باحتضار صديقه، خاصة من كان له معه تاريخ، من الوفاء والصدق... فكيف بمن كان يسعى، لمصرع أحد أصدقائه وإخوانه، وفيه بقية من روح، نعم كيف لنا أن نتصور، شعور صديق سبقه صديقه، إلى الشهادة، يذهب إليه ليؤبنه، ويبشّره بالجنة، كما

صنع حبيب بن مظاهر الأسدي، حينما سار خلف الإمام الحسين عليه السلام، إلى مصرع صديقه وابن عمه؛ مسلم بن عوسجة الأسدي[١]..

وهكذا رأينا كيف انتقل الخطيب، من المحاضرة إلى المصيبة.

وهذا مجرد مثل، لما ينبغي أن تكون عليه، ذهنية خطيب المنبر الحسيني، حيث ينبغي عليه أن يفكر، حينما يشرع بكتابة محاضرته، بكيفية إنهائها إلى كربلاء.

هذه هي الطريقة الأفضل، نعم يمكن للخطيب، أن يبدأ محاضرته، ثم يقف في نهايتها، متأملاً وباحثاً عن «تخلّص» يعينه في مهمته، وهي تجربة قد تأتي بنجاح أو أخفاق. نعم، إذا توافر للخطيب طول خبرة ومزيد ممارسة، فإنّه سيتمكن من هذه الفقرة، ولهذا فقد يبتكر تخلصّاً غير التخلّص الذي هيأهُ أولاً.

وقد ينطلق الخطيب - في حالات نادرة - من المصيبة وأهميتها، ليصيغ محاضرة ثمّ تخلصاً يناسبها، وهي حالات قليلة كما سبق بيانه.

ب - الاطلاع الواسع والدقيق على كل مفردات السيرة الحسينية، لقد أكدّنا مراراً أثناء دروسنا السابقة، أن من الأمور الأساسية، التي تميّز خطيب المنبر الحسيني، عن بقية المحاضرين والخطباء، أنه يمتلك اطّلاعاً واسعاً، واهتماماً بالغاً، بواقعة كربلاء وأحداثها، بل ويزيد على ذلك تميّزه بحفظ النصوص؛ من خطب، ومحاورات، وأشعار، ذكرتها كتب السير.

إن واقعة كربلاء، واقعة شمولية، إذا صحّ التعبير، حيث جمعت بين بدايتها ونهايتها، أحداثاً متنوعة، ومواقف مختلفة، وسلوكيات متباينة،

---

(١) المثل مستلّ من مجالس الليلة السادسة من كتابنا (مجالس ليالي عاشوراء)، ويمكن مراجعة بقية مجالس هذا الكتاب وبقية كتبنا في المجالس الحسينية، ومتابعة فقرة التخلص، كتمرين عملي لتقوية هذه الفقرة عند الخطباء الشبّان رعاهم المولىٰ تعالىٰ.

وظروفاً متعددة. . . جعلت منها منجماً ثميناً، ومجالاً غنياً، لإمكانية أن يُربط بين أي موضوع، يُتحدث عنه، أو فكرة تناقش، أو مسألة تطرح، أن يُربط بين كل ذلك، وحدث من أحداث كربلاء، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. . . ولهذا نجد أن خطباء المنبر الحسيني، يعالجون على منابرهم، مختلف القضايا، ويطرحون أنماط الأبحاث، في جوانب الحياة المختلفة للإنسان والمجتمع، ثم يربطون كل ذلك بكربلاء وعالمها.

إن الانبهار والأعجاب، يأخذ بمجامع مَن لم يألف المجالس الحسينية، ثم يحضرها، وهو يراقب كيف يحلّق خطباء المنبر الحسيني، في حقول العلوم والآداب والفقه، والمعالجات الحياتيّة المتنوّعة، ثم يربطون بين كل ذلك، وجانب من جوانب كربلاء، وإذا بالحزن يخيّم، والبكاء يعمّ مجالساً كانت قبل قليل، تعالج أمور الحياة والفرد والمجتمع.

إن من أهم ما يمكّن خطيب المنبر الحسيني، من أن يكون ناجحاً، في تهيئة التخلّص المناسب، والمؤثّر في الوقت ذاته، أن يكون مطّلعاً وبشكلٍ دقيق وتفصيلي، على كل ما يتعلق بحركة الإمام الحسين عليه السلام، منذ أن رفض البيعة ليزيد بل وقبلها، إلى خروجه من المدينة إلى مكة، وما جرى له في مكة، حتى خروجه منها إلى العراق، والمنازل التي مرّ بها، وأحداثها وأشخاصها، ثم ظروف وصوله إلى كربلاء، وكل المحاورات والتطورات، حتى ليلة عاشوراء، ثم الإهتمام الأكثر تفصيلاً، بأحداث ليلة عاشوراء، ثم متابعة دقيقة وتفصيلية بالغة، لكل ما جرى في يوم عاشوراء، من مواقف وأحداث، وأشعار ونصوص، حتى الشهادة، ثم ما جرى بعد ذلك، وطول رحلة السبا، من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ثم العودة عبر كربلاء، إلى المدينة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الخامس عشر

مادة الخطيب في فقرة التخلّص

أكدنا في درسنا السابق على أهمية الاطلاع على السيرة الحسينية، بحيث نستطيع أن نصوغ معادلة مفادها: كلما كان الخطيب مطّلعاً على تفاصيل أدق، كان أقدر على اختيار أسلوب التخلّص المؤثّر والنافع.

وكمثال: فإن أحد أساتذة المنبر الحسيني، وهو المرحوم الشيخ هادي النويني، كان قد طرح عنوناً لمحاضرته وهو الآية الكريمة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[1]. وكان رُبطهُ وتخلّصهُ موفقاً حينما أنهى محاضرته، بمقطع من الحوار، الذي جرى بين حبيب بن مظاهر الأسدي «رض» والشمر، يوم عاشوراء، حينما قال الشمر لزهير: إني أعبدُ الله على حرف.. فأجابه حبيب: إني والله، أراك تعبد الله على سبعين حرفاً...

فلولا أن الخطيب، كان متابعاً لهذه الجزئية، في هذا الحوار، لما اهتدى إلى هذا التخلّص.

وطرح الشيخ أحمد الوائلي، في مجلس ذكر فيه قصّة المختار الثقفي، في قضية أخذ ثأر شهداء كربلاء، والأجواء لا مجال فيها للبكاء، لأنّ فيها انتصاراً لأهل البيت عليهم السلام، من قاتليهم وظالميهم.. ولكنه وجد، في قصة أخذ الثأر هذه، مقطعاً سجّل حالة تأمل، وحزن بدت على وجه المختار، لما جيء إليه برأس عمر بن سعد، ورأس ابنه حفص، فقال: أهذا برأس

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

الحسين، وهذا برأس علي الأكبر؟ وهكذا وجد هذا الجسر الذي انتقل منه إلى كربلاء، ونقل خلاله المجلس إلى أجواء الحزن.

نعم، إن الاطّلاع الدقيق، والتفصيلي، على أحداث كربلاء، يمكّن الخطيب من اختيار التخلّص الناجح، والمؤثر في عين الوقت.

إن هذا الاطلاع هو مادة الخطيب في فقرة التخلّص. كان هذا إكمالاً للنقطة الثانية، في هذه الفقرة.

جـ - الاطلاع على تجارب شيوخ المنبر الحسيني وإبداعاتهم في هذه الفقرة. هناك أناس مميزون، في كل حقل؛ من حقول العلم والمعرفة والأدب وأنواع التخصّصات. وفي عالم المنبر الحسيني، خطباء مميزون، وبعض هؤلاء الخطباء، برز تميّزهم وبشكل رائع في فقرة التخلّص... فقد يكون بعض الخطباء، غير متميزين في محاضراتهم، ولكنهم متميّزون في حسن نقل المستمع، من أجواء المحاضرة إلى أجواء المصيبة.

والاطلاع يكون إما مباشرة، من خلال حضور مجالس الخطباء المشهورين، أو الاستماع إلى تسجيلات مجالسهم.. حيث أن على الخطيب المبتدىء، أن يسائل نفسه، - وهو يتابع المجلس - كيف سينتهي هذا الخطيب من محاضرته، على أي جانب من جوانب كربلاء سيعرّج!

فليحاول التوقّع، ثم ليقارن بين توقعه، وبين ما يسمعه من الخطيب.

وإما أن يكون الاطلاع بصورة غير مباشرة، من خلال الكتب والمصنّفات، التي اهتمّت، بتسجيل بعض اللقطات، التي يمكن أن توظّف توظيفاً رائعاً، في التخلّص.

لعلّ أشهر كتاب، يمكن أن يعين في هذه المرحلة، هو كتاب «الخصائص الحسينية»، للعلامة الخطيب الشيخ جعفر التستري رحمه الله. وهو

كتاب يحظى بأهمية خاصة، عند خطباء المنبر الحسيني. كما يمكن الرجوع إلى بعض الكتب الأخرى، التي صيغت على شكل مجالس، يتم في آخر كل مجلس، ربطه بحدث من أحداث كربلاء، مثل كتاب «شجرة طوبى» للمرحوم الشيخ محمد مهدي الحائري ففيه أمثلة كثيرة على التخلّص. وعموماً فليس هناك، مصدر محدّد، لفقرة التخلّص، وهي تعتمد، وإلى حدّ كبير، على إبداع الخطيب، وطول تجربته.

هذه هي أهم النقاط التي يمكن من خلالها أن يوفّق الخطيب للوصول إلى «تخلّص» مناسب ودقيق ومؤثّر.

ومن الجدير بالذكر، أن «التخلّص»، كان من الفقرات الفنية، التي رافقت تطوّر المنبر، في مرحلته الأخيرة، «راجع مراحل تطور المنبر الحسيني»[١]. ويُذكر أن أول خطيب حسيني، أخترع أسلوب التخلّص في المنبر الحسيني، كان الخطيب المشهور، الشيخ كاظم سبتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (راجع كتاب: ماضي النجف وحاضرها للشيخ باقر محبوبة).

ويُطلق على التخلّص، في المجالس الحسينية في العراق، والخليج، والمنطقة العربية في إيران، مصطلح «الگريز» بالكاف الأعجمية، وهي كلمة فارسية الأصل معناها: النُقلة.

وفي نهاية فقرة التخلّص، لا بد من التأكيد على ما يلي:

النقطة الأولى: على خطيب المنبر الحسيني النابه، أن يختار «التخلّص» المناسب مع ظروف مجلسه، ومستوى الحاضرين الثقافي والاجتماعي، لأنه قد يكون هناك «تخلّص» رائع في ظرف ما، لكنّه غير موفقٍ في ظرفٍ آخر.. فالمسألة راجعة إلى اختيار الخطيب وحسن انتقائه.. وكأمثلة:

(١) راجع كتابنا: المنبر الحسيني نشؤوه حاضره آفاق المستقبل.

أ - حضر أحد الطلبة الجدد، مجلساً في مخيّم الإمام الحسين عليه السلام، بكربلاء ليلة الحادي عشر من المحرّم.. وهذا المجلس، وبهذه الظروف المكانية والزمانية، يكون الدمع فيه مناسباً، والقلوب فيه منفلعة مع مصائب الطف. ولما ارتقى الخطيبُ المنبر، بقي ساكتاً مدةً حتى لفت أذهان الحضور، فسكتوا واصغوا إليه، يسألون ما هو سبب سكوته، هل نسي الشعر أو المصيبة أم ماذا؟ وإذا بهذا الخطيب، يقرّب أنفه من الميكرفون، وهو يصدر أصوات الشمّ وكأنه يشمّ رائحة ما.. فقال: إني أشم رائحة حريق وأشياءً محترقة.. وحينما أراد بعض الحاضرين، أن يعرف مصدر رائحة الحريق هذه بادرهم الخطيب: لعلّ هذه من بقايا خيام الحسين المحترقة هذا اليوم هنا في المخيّم، فالتهب المجلس بكاءً وصراخاً وحنيناً...

ثم صادف، أن التزم هذا الخطيب المبتدىء، قراءة مجالس لليالي عاشوراء، في السنة القادمة، في قرية من القرىّ حيث تُبنى بيوتهم من القصب وجذوع النخل والحصر، ويعتبر الحريق عندهم كارثة حقيقية، رغم ذلك، فقد قرّر هذا الطالب، أن يسرد نفس ما جرى من تخلّص من ذلك الخطيب في مخيم الحسين عليه السلام بكربلاء إلى تلك القرية.. ولما أخذ يشمّ ثم يقول إني أشمّ رائحة حريق وإذا بالناس ينهضون خائفين مذعورين، حذر الحريق المزعوم. فهبوا حتى تركوا المجلس، وذهب كل رجل ليطمئن على بيته السريع الاشتعال!!

إذن، ليس كل «تخلّص»، يكون مناسباً مع اختلاف الظروف الزمانية والمكانية.

ب - كان الخطيب الحسيني الشهير الشيخ جواد القسّام رحمه الله، مدعوّاً لقراءة مجلس، في وفاة والدة أحد رؤساء العشائر المشهورين، أيضاً،

واسمه مبدر آل فرعون. . . واحتشد المجلس، وكان الخطيب على منبره في صدر المجلس بينما ابن المتوفاة في آخره فأخذ الخطيب يسأله كيف توفيت الوالدة؟ وظروف الوفاة. ثم تابع أسئلته، متى توفيت الوالدة؟ فأجابه: لقد توفيت والدتي عصراً، فبادره الخطيب سائلاً: ولماذا لم تدفن والدتك ليلاً؟. فقال ابنها: كيف يمكن أن تدفن أميّ ليلاً، وأنا ولدها رئيس العشيرة المعروف، والشخصية الاجتماعية البارزة، نعم لا يمكن دفنها، حتى تجتمع العشائر، وتسمع بذلك القبائل، وتأتي الوفود ويجتمع الأرحام، حتى شيّعناها نهاراً، مع الأهازيج العشائرية، تشييعاً يليق بها وبي وبعشيرتي!!

هذا والناس يستمعون هذا الحوار، وهم لا يدرون هدف الخطيب، من كل هذا الكلام، وإذا بالخطيب يرفع صوته صارخاً وناعياً:

ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها
أمٌّ مَن بنتُ من حليلةُ من ويلٌ لمن سنّ ظلمها وأذاها

فانفجر المجلس بالبكاء، بهذا التخلّص الفني الرائع، في ربط ظروف دفن هذه المرأة، مع ظروف دفن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

وصادف، أن أحد الخطباء البسطاء، كان حاضراً هذا المجلس فأعجب بهذا التخلّص. وذات يوم، توفيت والدة أحد الفلاحين الفقراء، فدعي للقراءة في مجلس قليل الحضور محدود العدد. . وإذا بهذا الخطيب، يحاول محاكاة الشيخ جواد القسّام وتقليده في مجلسه المشهور آنفاً. . فبدأ يخاطب ذلك الفلاح الفقير. . . كيف توفيت الوالدة؟ وما هي ظروف وفاتها؟. . . إلخ.

ولكن صادف أيضاً. أن هذا الفلاّح المسكين، كان حاضراً ذلك المجلس المشهور، وإذا به يقاطع الخطيب، بلغة لا تخلو من استهجان

وتهكّم! مولانا إقرأ مجلسك ولا تضخّم الموضوع، فلا أنت كالشيخ ابن قسّام، ولا أنا كرئيس العشيرة مبدر ولا والدتي كوالدته!! فضحك الناس وأسقط ما في يدي الخطيب وفشل مجلسه، وولّى هارباً.

النقطة الثانية: إن هناك مجتمعات، عريقة في إقامة المجالس الحسينية، تكوّنت عندها، في تراكم الخبرات، والاستماع لشيوخ الخطباء، واستمرارية المجالس، لعدة مناسبات، وبمختلف الظروف، تكونت خبرة، ونشأ ذوق، ونما حسٌ مرهف، يتجاوب مع الخطيب ويتفاعل معه.. فتسهل بذلك مهمة الخطيب، وتكون فرص النجاح لديه أكثر.. ومن جملة تلك التسهيلات. أن المستمع يفهم مراد الخطيب وقصده، والنقطة التي يريدها.. ولكن الأمر لا يكون كذلك في مجتمع أو بيئة، قليلة المجالس محدودة الخطباء، جديدة العهد بها، فما يكون تخلصاً نافعاً، في مجلس، قد يكون غير نافع في مجلس آخر، لا يمتلك عراقة الأول وقدمه وخبرته.

وكمثل على ذلك... فقد ارتقي أحد كبار الخطباء، وهو الشيخ عباس قوزي البغدادي، المنبر في يوم عاشوراء، وهو بحذائه، مما أثار استغراب الحاضرين واستهجانهم، وارتفعت همهماتهم فيما بينهم، كيف يرتقي الخطيبُ، منبر سيد الشهداء بحذائه وفي يوم عاشوراء؟

وإذا بذلك الخطيب يلتفت إليهم ليقول: استغربتم ارتقائي المنبر بحذائي؟ والمنبر ما هو إلاّ خشب وقماش أسود، فما تقولون. لو رأيتم الشمر يطأ صدر الحسين؟.. وارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب..

إن هذا التخلّص الرائع، قد لا يكون مناسباً في بيئة أخرى، بل قد لا يبكي الناس، في أكثر المجتمعات الحديثة حالياً وربّما لا يستطيعون فهم مراد الخطيب في الربط بين الحالتين، فيظلوّن واجمين ساكتين ينظر بعضهم

إلى البعض الآخر! ولهذا على الخطيب مراعاة الأعراف الإجتماعيّة، والمستويّات الثقافية، وطبيعة المتلقّين وجذورهم المناطقيّة.

النقطة الثالثة: إن مجالس ليالي عاشوراء، وكما سبق بيانه، تنتهي بمصائب معروفة لكل ليلة من الليالي، وبالتالي فإن نفسية روّاد المجالس، مهيأة للاستماع إلى مصيبة خاصة، وبالتالي، فهم يتوقعون أن يكون التخلّص، لكل مصيبة محدّداً مسبقاً، وهذه الحالة لا تلغي إبداع الخطيب في اختراع طرق تخلص متنوعة وجديدة.

وما يقال عن ليالي عاشوراء، يقال عن المجالس، التي تعقد في مناسبات وفيات المعصومين عليهم السلام. فبالرغم من كون هذه المجالس محدّدة المصيبة، إلا أنها لا تلغي دور فقرة التخلّص، في مزيد من الإبداع والتفنن.

أما ما عدا ذلك من المجالس، وطوال السنة، مثل مجالس بقية شهر المحرم، ومجالس شهر صفر(١)، ومجالس شهر رمضان الفضيل(٢)، فإن الخطيب فيها مخيّر باختيار نوعية الموضوع «المحاضرة»، كما له الحرية باختيار فقرة المصيبة، وما يناسبها من تمهيد عبر فقرة التخلّص. إلا في بعض المناسبات الخاصّة.

ونؤكد أخيراً، أن نجاح الخطيب الحسيني، في فقرة «التخلّص»، يعود إلى عوامل عدة منها: متابعته لشيوخ الخطباء، وأساتذة المنبر، الاطلاع

---

(١) تحظىٰ مناسبة أربعين الإمام الحسين عليه السلام بحضور مهم ولافت، وعلى الخطيب أن يهيء لمجلس ليلة الأربعين ويومها ما يناسب ذلك، موضوعاً وتخلصاً ومصيبة.

(٢) تتميز ليالي شهادة أمير المؤمنين عليه السلام في ١٩، ٢٠، ٢١، بإهتمام بالغ وعلى الخطيب الإستعداد لذلك مسبقاً في إختيار القصيدة والموضوع والمصيبة. وهذه الليالي تُعتبر أكثر ليالي الشهر الفضيل حضور جماهيراً، وقد تحدد مستقبله للموسم العاشورائي القادم، وربما غيره.

الكامل على كل تفاصيل السيرة الحسينية، حسّه المرهف وحسن أسلوبه، وقدرته على الإبداع المتواصل.

والحمد لله رب العالمين



الدرس السادس عشر

فقرة المصيبة

الجزء الأول

أكملنا في درسنا السابق، الفقرة الرابعة من فقرات المنبر الحسيني المعاصر، وهي فقرة «التخلّص». وفي هذا الدرس، نواصل دراستنا لبقية الفقرات، وهما المصيبة والدعاء.



○ ٥ - فقرة المصيبة:

ونعني بها: التوقّف عند مفردة، من مفردات أحداث واقعة كربلاء، ذات الجانب العاطفي الحزين، حيث يتم إشباع هذا الجانب، بالشعر الرثائي المناسب لها، بنوعيه الشعر العربي الفصيح (القريض)، والشعر الشعبي المتداول.

وفي هذه الفقرة يتغير أداء خطيب المنبر الحسيني، شكلاً ومضموناً، إما شكلاً؛ فمن خلال تغيّر نبرات صوته وترجيعها وارتفاعها، واستخدام أطوار وأساليب الإنشاد العاطفي الحزين. فالخطيب نفسه، الذي كان هادئاً في حديثه، طبيعياً في طرح محاضراته، نجده في هذه الفقرة رافعاً صوته، مغيّراً نبرته، لمزيد من الإبكاء وإيقاد العواطف الحزينة، وإذكاء الأشجان.

وللدقة العلمية، فإن نبرات صوت الخطيب، تبدأ في نهاية فقرة «التخلص» السابقة، ولكن التغيّر هناك تغيّرٌ بسيطٌ يتمثّل بترقيق الصوت دون

رفعه، وبأسلوب رقيق هادىء، في عملية تهيئة، للوصول بروّاد المجالس الحسينية، إلى حالة الإبكاء واستدرار الدموع.

إن فقرة «المصيبة» كانت من التطورات الفنية، التي طرأت على المنبر الحسيني، عبر مراحله التاريخية. فقد كانت المصيبة تقع ضمن قصيدة الرثاء، التي لم يكن غيرها في بداية نشوء المنبر كما مرّ بنا. فحينما كان الشاعر يقرأ قصيدته الرثائية، فإنما كان يعرّج على كربلاء. وأحزانها وأحداثها، دون أن يكون للمصيبة فقرة خاصة. ثم أن الشعر الرثائي، في بدايته لم تكن تصاحبه تغيرات في الصوت، وتجويد في الإنشاد الحزين. نعم بُديء بذلك بوقت مبكر، حينما طلب الإمام الصادق عليه السلام، من أبي هارون المكفوف المُنشد، أن يعيد قراءته لقصيدة السيد الحميري، بأسلوب شجي، وطريقة مُحزنة وإنشاد عاطفي. «كما ذكرناه في دروسنا الأولى».

ومع تطوّر المنبر، ودخول عنصر الوعظ، بعد إنشاد القصيدة في مقدمة المجلس، كان لا بد من ختم المجلس، بالعودة إلى كربلاء، وآلامها مرة أخرى، فنشأت فقرة «المصيبة».

إن فقرة «القصيدة» التي سبق لنا دراستها، كانت تتضمن التعريج على كربلاء ومصائبها، وإن من الأفضل من الناحية الفنية، أن يتم انتقال الخطيب، من طور «الدرج»، إلى طور «المثكل»، حينما ينتقل الشاعر إلى كربلاء وأحزانها - كما قلنا هناك - وأن العادة قد جرت، أن لا يُكتفى بإنشاد القصيدة الفصحى، في أول المجلس، بل تُلحق بها أبيات من الشعر الشعبي، العراقي أو الخليجي.

لكننا هنا، ونحن في نهاية المجلس، فإن فقرة «المصيبة»، تختلف عن أبيات النعي التي جاءت ضمن فقرة القصيدة، في جملة نقاط منها:

أ - ضرورة التمهيد لفقرة «المصيبة»، بفقرة «التخلّص» كما درسنا، بينما لا تحتاج أبيات النعي وما تذكرهُ من المصيبة، التي تأتي ضمن القصيدة، إلى تمهيد من قبل خطيب المنبر الحسيني.

ب - إن أبيات نعي المصيبة الواردة في القصيدة، لا تحتاج إلى مزيد إشباع، كما ينبغي أن تكون عليه الحالة، في فقرة «المصيبة» آخر المجلس. فإذا لم يتم التفاعل العاطفي مع القصيدة ومصيبتها، ولم يحدث إبكاء، ولم تنزل الدموع، فهو أمر لا يقدح بقدرة الخطيب، ومقدرته الفنية، في الوصول بالمستمع إلى مستوى ذلك، وإلى حدّ واضح. أما أن لا يوفّق الخطيب، في أن يصل بروّاد مجلسه، في فقرة «المصيبة» إلى مستوى الإبكاء، فهي مسألة بحاجة إلى مراجعة ودراسة، وهي ظاهرة تمس صميم مهمة الخطيب الحسيني.

صحيح أن المسألة نسبيّة، تختلف من مجتمع منبري لآخر، ومن مستوىً لثانٍ، ولكن لفقرة المصيبة خصوصية واضحة، في أن يوصل خطيب المنبر الحسيني بروّاد مجلسه، إلى نقطة الانفجار العاطفي، والبكاء أو التباكي.

ج - في فقرة «المصيبة» وللوصول إلى ما ذكره أعلاه، فإن الخطيب لا يكتفي عادة بطور خاص، ولا بإسلوب واحد في إذكاء العواطف الحزينة، المتعلقة بالمفردة، التي اختارها لإنهاء مجلسه بها. فتجده يستخدم عدة أطوار، من الشعر الفصيح والشعبي الدارج، ينتقل فيه من الفصيح إلى الشعبي وبالعكس، حتى يجد أن المجلس، قد أخذ كفايته من الإذكاء العاطفي، والإبكاء الحزين. بينما جرت العادة في إنشاد القصيدة، على اتباع أطوار محدّدة، وقد لا ينتقل إلى الشعر الشعبي بعدها، وإذا فعل ذلك، فمن غير المألوف والمستاغ، عودته مرة أخرى إلى الشعر الفصيح.

د - إن أبيات النعي المصيبة التي تأتي ضمن فقرة «القصيدة»، لا تحتاج إلى بيان وعرض من قبل الخطيب. فلا تبرز فيها قدرته التصويرية، أو الأدبية في صياغة الكلمات، وسبك الألفاظ، بينما نجد أن فقرة «المصيبة» في نهاية المجلس تأتي أولاً بعد فقرة «التخلّص» التي تمهّد لها، وثانياً: لا بد للخطيب أن يصوّر المفردة الحزينة، ويقلّب جوانبها العاطفية، وهو يسعى لإذكاء الأحزان واستدرار الدموع، مستخدماً رصيده الأدبي، ومقدرته التصويرية، بل قد ينزل الخطيب الحسيني من منبره، ولاقطة الصوت بيده - لمزيد من الإبكاء - ويتجوّل بين الناس، كما هو الحال في بعض مجالس الخليج، وهذه أمور لا تكون عند إنشاد القصيدة. فالنقطة الرابعة هنا، أن مستوى الخطيب، وقدرته وكفاءته، ورهافة أسلوبه، تبرز في فقرة «المصيبة» هذه، وبشكل واضح.

هـ - في أثناء إنشاد القصيدة، لا يحتاج الخطيب إلى إيراد نصّ، يتعلّق بالمصيبة، بينما يكون بأمس الحاجة في المصيبة إلى إيراد النصّ المأخوذ من كتب المقاتل والسير، حتى يهيء الأجواء ويوضّح الصورة ويبرز المفردة الحزينة، التي يريد توظيفها في هذه الفقرة. وهنا تبرز ضرورة حفظ النصوص، المتعلقة بجوانب كربلاء وما فيها من حوارات وأشعار وتوصيف المواقف.

ونورد مثالاً يتضمن النقاط التي ذكرناها آنفاً...

لو فرضنا أن خطيب المنبر الحسيني، كان يطرح محاضرة في الأخلاق وأهميتها أو في خصوص أخلاق النبي ﷺ، ثم أخذ الخطيب يفكّر في مفردة المصيبة التي ينبغي اختيارها لإنهاء مجلسه، فاختار - فرضاً - مفردة مصيبة عبد الله الرضيع بن الإمام الحسين عليه السلام. فالخطيب لا بد عليه أولاً، أن يهيء ذهن المستمع ونفسيته، للأنتقال من المحاضرة إلى كربلاء، أي لا بد أن يمرّ بفقرة «التخلّص» قبل وصوله إلى فقرة «المصيبة».

فتبدأ نبرات صوته بالتغيّر، حيث يتحدث بطريقة هادئة حزينة وكأنه يخاطب قلوب الحاضرين وضمائرهم، فيقول - على سبيل المثال -: هذه أخلاق الإسلام وهذه أخلاق رسول الله ﷺ، الذي كان يحبّ الأطفال ويرعاهم، ويقول ﷺ لمن لم يقبّل طفله الصغير **«من لا يرحم لا يُرحم»**.. حتى كان يؤتى بالأطفال إلى رسول الله ﷺ ليؤذن ويقيم في آذانهم وليدعو لهم ويباركهم ويمسح بيديه الحانيتين عليهم...

«وهنا تبدأ نفسية المتسمع بالاستعداد لما يريد الخطيب إيصاله إليه، وهي مصيبة الطفل الرضيع»..: ثم يستأنف الخطيب حديثه: أقول سيدي يا رسول الله، إذا كنت تعامل أطفال المسلمين بهذه الرقّة، وهذه العاطفة، وهذا الحنّو.. فأين أنت، يا من بعثت رحمة للعالمين، عن أبنائك يوم عاشوراء.. أين أنت عن أطفال الحسن وأطفال الحسين.

«لاحظ هنا، أن الخطيب أخذ يوظّف، قدراته الفنية والتصويرية والأدبية، للانتقال إلى فقرة المصيبة».

نعم أين أنت يا نبي الله عن كربلاء، لا أعلم ما حالك، إذا نظرت إلى عزيزك الحسين، وهو يودّع طفله الصغير عبد الله، الذي كان له من العمر ستة أشهر، يودّعه وبناتك المفجوعات في الخيام، ينظرن إليه باكيات نادبات، (فإذا أدرك الخطيب أن الجو تهيأ للبكاء، وأن العواطف الحزينة، قد أُذكيت، وأن الدمع على وشك النزول من العيون، وصل إلى الصاعق الذي يفجّر ذلك، بإيراده مفردة المصيبة، لاحظ هنا اختلاط التخلّص بالمصيبة، واندماجهما بشكل فني رقيق وانسيابي).

نعم، خرج الحسين بطفله إلى القوم، وينقل بعض أرباب المقاتل، عن حميد بن مسلم قوله: أن الحسين عوّدنا، أنه إذا أراد أن يخرج للوعظ والخطابة، برز على ناقة له، وإذا أراد أن يبرز للقتال، برز على فرس

له . . . ولكن هذه المرة، خرج الحسين ماشياً على قدميه، وتحت ردائه شيء يظلله من حرارة الشمس.

يقول حميد بن مسلم: فحققنا النظر إليه، وإذا به طفله الرضيع «إلى الآن كان الخطيب، يعرض هذه المفردة المؤلمة، بنبرات صوت هادئة وحزينة وتصويرية، ثم لا بد أن يفجّر البكاء، والحزن، بالشعر الرثائي، بكل ألوانه التي يراها مناسبة لهذه المهمة. فيختار الخطيب الأبيات الشعرية المناسبة، وينشدها بطور حزين، بنبرات صوتيّة مؤثرة، وبما يصوّر هذه الحالة من الشعر المناسب، مثل قول الشاعر:»

ودعا الأقوام يا لله من خطب فظيع نبئونيءَ أنا المذنبُ أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبهُ الهادي الشفيع لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

فناداهم الحسين: يا قوم قتلتم أخوتي فصبرت، قتلتم أبناء عمومتي فصبرت، قتلتم أصحابي فصبرت، ولم يبق عندي إلا طفلي الرضيع هذا، والله لقد جفّ ثدي أمّه من اللبن، خذوه واسقوه بأيديكم ماءً.

فاختلف القوم، وبكى بعضهم، فقال عمر بن سعد، لحرملة بن كاهل: أقطع نزاع القوم، أرمه بسهم من كنانتك . . يقول حرملة: كان الطفل مغطىً ببرقع، فجاءت ريح، وأزاحت البرقع، وإذا برقبة الطفل، على عضد أبيه الحسين، كأنها إبريق فضة، فرميته بسهم، فذبحته من الوريد إلى الوريد.

يقول الإمام الباقر: لما أحس طفل جدي الحسين بحرارة السهم، أخرج يديه من القماط، وجعل يرفرف على صدر أبيه الحسين، كالطير المذبوح . . . وضع الحسن يده، تحت منحر الطفل، حتى امتلئت دماً ثم رمى بها إلى السماء:

تلگه حسين دم الطفل بيده أشحاله اليچتل بحضنه أوليده

شاله وترس چفّة من وريده ذبّه للسماء وللگاع ما خرّ

ثم أن الحسين، لم يرجع به إلى أمه، الرباب، فالأم لا تقوى أن ترى طفلها مذبوحاً، ولكن رجع به إلى خيمة عمته زينب، فصرخت: واولداه وا ابن أخيّاه...

ما حال عمّته وحال شجونها من نار أحشاها وماء جفونها
لما رأت خطفته كفّ منونها همّت تغسّلهُ بماء عيونها
فتكفلت عنه الدماء بغسله

وبعد هذا التخميس، قد يجد الخطيب، أن المجلس قد أخذ ما يستحقه من المصيبة، وأما إذا وجد ان المجلس ما زال بحاجة إلى إشباع، فيأتي ببيت أبو ذية من الشعر الشعبي:

عيوني تسجب العبرة بالمهاد على الناموا على الغبرة بلا أمهاد
طفلهم مالحگ يمهد بالإمهاد وحزت رگبته سهام المنيّة

فإذا أراد الخطيب إنهاء المجلس، فلا بد أن يأتي ببيت، يُعرف ببيت التخلّص، أي يتخلّص به من المجلس، أي ينهيه، أو ربما بيتين أو أكثر بل ربما تخميس، ولكن المهم أن يقرأ الشطر الأول، من البيت الأخير بإحدى طرق النعي، بينما يترك الشطر الثاني وبهذا يتم المجلس. بل يمكن أن يختم المجلس بانشاد صدر البيت فقط ويترك عجزه...

ومنعطف أهوى لتقبيل طفله فقبّل منه قبله السهمُ منحرا

لا يقرأ هذا الشطر (الثاني).

○ ملاحظة مهمة:

ينبغي أن يختار الخطيب، بيت التخلّص المناسب، للمصيبة التي ختم بها مجلسه. ولهذا اخترنا هذا البيت، الذي راح يحكي مصيبة الطفل، وهي عين المصيبة، التي ختم بها مجلسنا النموذج أعلاه.

وبهذا وصلنا إلى نهاية درسنا هذا.

والحمد لله رب العالمين



الدرس السابع عشر

فقرة المصيبة

الجزء الثاني

في الدرس السابق، سلّطنا الضوء على فقرة «المصيبة»، وعقدنا مقارنة، بين ما يذكر أثناء القصيدة في مقدمة المجلس، وبين هذه الفقرة في نهاية المجلس الحسيني.

وتختم فقرة المصيبة هذه، ببيت من الشعر أو بمقطع منه، ويسمى ببيت التخلّص، ويجب أن يكون منسجماً مع نفس المصيبة التي أنهي بها المجلس.

إن فقرة المصيبة، فقرة أساسية في هيكلية المنبر الحسيني، لا بل تعتبر الفقرة الأهم، في بعض مساحات المنبر الحسيني، لا سيما المجالس البيتية، ومجالس القرى، والمجالس الشعبية العامة، وهي المجالس، التي لها حضور واسع في العديد من الساحات.

كما أنها الفقرة التي تميّز خطيباً عن آخر، من خطباء المنبر الحسيني، وتميز خطباء المنبر الحسيني، عن بقية المحاضرين والخطباء والمتحدثين، حيث تخلو محاضراتهم منها.

إن نجاح الخطيب الحسيني بهذه الفقرة منوط بعدة أسباب، منها:

أ - الاطلاع الكامل والتفصيلي، على مفردات واقعة كربلاء في جوانبها الحزينة والمؤلمة، حيث يتم إنهاء المجلس بإحداها. وهذا يوفر لدى خطيب المنبر الحسيني، خيارات عديدة، كما أنها تُكسب مجلسه جاذبية خاصة، من خلال تنوع المصائب، التي ينهي بها مجالسه.

إذ أن من المؤاخذات الفنية، على بعض الخطباء، أنه ينهي مجالسهُ بمفردات معينة لا يتجاوزها إلى غيرها، فيصاب مجلسه بالرتابة، ويغيب جانب الإثارة والتنوع فيه.

إن كتب المقاتل، هي المادة الأساسية، لهذه المفردات، التي تعتمد في نهايات المجالس.

ب - حفظ الأبيات الشعرية، القوّية والمؤثرة، من نوعيه الفصيح والشعبي، والتي تعتبر المادة الأساسية، لفقرة المصيبة، فبعد أن يقف الخطيب عند مفردة من مفردات المصائب، فعليه أن يؤيد ذلك ويعمّقه، بأبيات النعي المنتقاة. ولهذا ينبغي على الخطيب، اقتناء دواوين الشعر، التي عالجت هذا الجانب من الشعر الفصيح والشعر الشعبي (وإذا ما سمع أبياتاً شجيّة من أحد الخطباء، فعليه السعي للوصول إليها وتسجيلها ثم حفظها). وقد سبق الإشارة إلى ذلك سابقاً.

ج - التمكّن من إنشاد أبيات الشعر الرثائي بنوعيه، والسيطرة على طرقه وأطواره، وتدريب الحنجرة على حسن إخراجها. لأن حفظ الأبيات الشعرية بحد ذاته، لا يعتبر ذا أثر إذا لم تُقرأ بصوت شجي وتُنشد بطور حزين، يأخذ مأخذه من مشاعر الناس، وتأجيج عواطفهم، واستدرار دموعهم. ولهذا، فالخطيب بحاجة إلى الاستماع المرهف لطرق النعي والانسجام معها كي نصل إلى مستوى التمكّن والسيطرة، ثم الإبداع في هذا المجال المهم في عالم الخطابة الحسينية.



○ملاحظة مهمة:

في بداية الحياة الخطابية، لا بد أن يختار الخطيب، طريقة النعي المناسبة مع حنجرته، فيحتاج إلى محاكاة وتقليد خطيب ما، وبطور وطريقة نعي ذلك الخطيب، إلى أن يتمكن من غيرها، وهكذا. ولعل طريقة نعي الشيخ عبد الزهراء الكعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مقاطع مقتل عاشوراء، هي أسهل الطرق وأكثرها شجى وتأثيراً في النفوس، وربما ينسجم صوت الخطيب مع غيرها.

د - كما سبق أن ذكرنا في فقرة «التخلّص»، أن على الطالب متابعة شيوخ الخطباء، وأساتذة المنبر الحسيني، ودراسة أساليبهم الفنيّة، فكذلك الأمر هنا بالنسبة لفقرة «المصيبة»، من حيث إختيارهم للقطع الشعرية المناسبة مع كل مصيبة، أو الأطوار المستخدمة في إنشادها وقراءتها، أو من حيث وصف المصيبة، وتقريبها إلى النفوس، كي يتم التفاعل معها.

إن الناحية الفنية في الخطابة الحسينية، بحاجة إلى متابعة أساتذة هذا الفن الخاص من الخطابة. ويمكن للخطيب المبتدىء، متابعة مشاهير الخطباء، في فقرة المصيبة، عبر أشرطة التسجيل المرئية والمسموعة.

هـ - إن تراكم الخبرات، والإستمرار في قراءة المجالس، ومتابعة القراءة في مختلف المناسبات، ومع مختلف المستويات والظروف، من شأنها تنمية قدرة الخطيب، في إجادته لفقرة المصيبة. إذن علينا، التجربة ثم التجربة، والقراءة بعد القراءة...

إن فقرة المصيبة، تبرز بشكل مهم، في مجالس عاشوراء، ووفيات النبي ﷺ وأهل بيته عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. وإذا تعددت المجالس، ولا سيّما في المنطقة الواحدة، فعلى الخطيب تهيأة عدة مصائب، وتوزيعها على هذه المجالس.

فعلى سبيل المثال، لو كان عند الخطيب، ثلاثة مجالس في ليلة العباس عليه السلام، وهي الليلة السابعة من المحرم، فيمكن للخطيب، أن يجعل المصيبة الأولى، تنتهي بضرب رأسه عليه السلام بالعمود، والمصيبة الثانية تنتهي بوصول الحسين عليه السلام إلى مصرعه عليه السلام، بينما تنتهي المصيبة الثالثة، برجوع الحسين عليه السلام إلى المخيم، وبكاء النساء لمصرع العباس عليه السلام. وهذا يتطلب من الخطيب، مزيداً من حفظ الأشعار المناسبة لكل مصيبة، وما يناسبها من وصف وشرح وإذكاء العواطف الحزينة، ويزداد هذا التقسيم في المجالس المتقاربة، حيث يكون الحضور متكرراً في هذه المجالس.

وفقرة «المصيبة»، في أكثر المجالس، تكون من اختيار الخطيب، وبما يراه مناسباً. إلا في مجالس عاشوراء، والوفيات كما ذكرنا، يضاف إلى ذلك المجالس التي تعقد في تأبين الموتى، في ما يعرف بالفواتح، أو الأسابيع، أو الأربعين، والسنوية... حيث أنّ على الخطيب، إذا دعي إلى مجلس تأبين، أن يعرف من هو المتوفى، هل هو رجل فلا بد أن يختم المجلس بمصائب الحسين عليه السلام أو هو امرأة فيختم المجلس بمصيبة السيدة الزهراء عليها السلام، أو هو شاب فيختم المجلس بمصيبة علي الأكبر، أو القاسم بن الحسن عليه السلام، وإن كان طفلاً فيختم المجلس بعبد الله الرضيع وهكذا.

إن حسن اختيار المصيبة المناسبة مع نوعية المجلس، من أسباب نجاح الخطيب وانسجام المجلس، وتكامله محتوىً وشكلاً.

إن الحديث عن فقرة المصيبة، حديث طويل ومتنوع، ومتعدد الأبعاد، مع اختلاف المجالس وتنوعها وتنوع مناسباتها، ومستويات حضّارها، وأمور كثيرة، تأتي تباعاً إلى خبرة الخطيب، الذي يزداد خبرة مع تقادم عمره الخطابي.

✍ ✍

٦ - فقرة الدعاء:

وهي آخر فقرة من فقرات المنبر الحسيني، وهي فقرة خفيفة لا تحتاج إلى جهد لا من حيث المعلومة ولا من حيث الأسلوب، حيث يختم الخطيب مجلسه بالدعاء إلى الله تعالى بالمغفرة والرحمة وشفاء المرضى والفرج للمؤمنين، ثم يدعى للمؤسسين والحاضرين ويختم الدعاء بطلب قراءة الفاتحة لأرواح المؤمنين والمؤمنات. وتسمح ظروف بعض البلدان بذكر الشهداء أو المجاهدين، في حين لا تسمح ظروف بلدان أخرى لهذا الدعاء، فعلى الخطيب مراعاة ذلك.

ومع استمرار المجالس، يختار الخطيب دعاءً معيناً يدأب عليه، بل ربّما عرف به، والآن نجد أن لكل خطيب مقطوعات من الدعاء اختارها، يختم بها مجلسه.

وبانتهاء فقرة «الدعاء»، يكون المنبر الحسيني قد استوفى كل فقراته، وبهذا نأمل أن نكون قد وفقنا لبيان الخطوات المتتابعة؛ التي تشكل القواعد العامة لهذا النحو الخاص من أنحاء الخطابة الدينية وهي الخطابة الحسينية.

واستكمالاً لموضوعنا حول الخطابة الحسينية، وبعد أن بيّنا مواصفات المنبر الحسيني وخصائصه، سنتوقف عند مواصفات خطيب المنبر الحسيني التي ينبغي توافرها فيه، وعلى أساسها يمكن أن يُحكم على استيفائه بالشرائط؛ التي تشكل القاعدة الصحيحة لتكامل خطيب المنبر الحسيني.

والحمد لله رب العالمين



الدرس الثامن عشر[1]

(1) الدرس مأخوذ من كتاب (المنبر الحسيني نشوؤه وحاضرهُ وآفاق المستقبل) للمصنّف، فراجع.

أوصاف خطيب المنبر الحسيني

استكمالاً لدروسنا الماضية، نطرح اليوم درساً حول الأوصاف، التي يفترض توافرها في الخطيب الحسيني، حيث يعتبر خطيب المنبر الحسيني، هو قطب الرحى، في تلك التجمعات الضخمة، والمحافل الكبيرة، فهو العامل الأول، الذي يؤدي إلى نجاح المآتم الحسينيّة. فبقدر إجادة خطيب المنبر الحسيني لمهمّته، وتمكّنه من إشباع بحثه، ومحاضراته، علميّاً وعاطفياً، يتقرر مقدار حضور الناس إليه أو انكفائهم عنه.

ولهذا، فإنه لا بُدَّ من توافر شروط، ومؤهلاّت، في مَن يريد اعتلاء أعواد المنبر الحسيني، وهي قد تكون من الكثرة والتنوع، مما يجعل مصادقيها في الخطباء قليلة.

وقديماً قال المناطقة: إن الشيء كلما كثرت شروطُه عزّ وجودُه.

إن هذه الأوصاف والمؤهلات، قد تتغير من بيئة لأخرى، ومن مستوى ثقافي وعلمي لثانٍ، حسب نوعية الحاضرين، وما ينتظره روّاد المجالس من أبحاث ومحاضرات، أو بما يستطيعه خطب المنبر الحسيني، من إشباع الجانب العاطفي، وإثارة كوامن الحزن لواقعة كربلاء. ويمكن لنا أن نصنّف الأوصفات والمؤهلات هذه إلى ثلاثة أصناف، يشترك الخطيب الحسيني مع العلماء والمثقّفين والمحاضرين في بعضها، ويختصّ في بعضها الآخر، وهذه المؤهّلات هي:

١٠ - المؤهلات العلميّة والثقافية:

على كل خطيب، في أي شأن من الشؤون، أن يكون ذا اطلاع ودراية بالموضوع أو البحث الذي يريد طرحه. وبقدر ما كان هذا الخطيب، أو المحاضر، ملمّاً بأطراف الموضوع، وامتداداته، وشواهده، تكون محاضرته أدق، وأنجح، وبالتالي أكثر فائدة. وهذا الأمر يشترك فيه خطيب المنبر الحسيني، مع كل خطيب أو متحدّث. إلا أن الاختلاف هو في طبيعة المحاضرات وموضوعات البحث لكل خطيب. ولهذا فإن خطيب المنبر الحسيني، يشترك عموماً، مع كل خطيب أو محاضر، من علماء المسلمين وخطبائهم ومحاضريهم، وبشكل واضح، إلاّ في بعض هذه الموارد التي تمليها طبيعة المنبر الحسيني. وأهم هذه المؤهلات هي:

أ - دراسة تخصصية في العلوم الإسلامية: بما يصطلح عليه بـ«الدراسات الحوزويّة». من مقدمات، كعلوم العربية المتنوعة والمنطق، والتفسير، والحديث، ثم الفقه وعلم الأصول. وكلما تقدّم خطيب المنبر الحسيني، في الدراسات الإسلامية، كلما كان أقدرَ على الطرح الإسلامي الأصيل، وأكثر إحاطة بالمسائل ذات الأبعاد الفقهية، أو التفسيريّة التي يتعرض لها في محاضراته.

وهذه النقطة، في غاية الأهمية، لا من حيث التعمّق في فهم المسألة الفقهية، وأسلوب طرحها منبرياً فقط، بل لأنها تسهمُ في عملية اندماج خطيب المنبر الحسيني، في أجواء طلاّب الحوزة العلّمية. فقد يكون مألوفاً - في بعض الحالات وبعض المناطق - أن يعتلي المنبر، من لاحظ له من الدراسات الدينيّة، خاصة في المآتم التي تهتم بحسن صوت الخطيب، مما أنتج وجوداً خطبائياً غير مرتبط بالحوزة العلمّية المباركة وأجوائها ودورها

الكبير في الثقافة الأسلامية، وانعكس بالتالي على نظرتها إلى خطيب المنبر الحسيني.

نعم، قد لا يصل خطيب المنبر الحسيني، في متابعته للدروس الحوزويّة إلى مستوى التخصّص، الذي يصل إليهِ طلاّبُ العلوم الدينية، المتفرغون لهذه الدروس، ولكن لا بد من دراسة حوزوية على قدر مهم من التتبّع. إن هذه النقطة تميّز خطيب المنبر الحسيني، عن المحاضر المسلم والمثقف المسلم، اللذين قد يكتفيان بمعلومات فقهيّة عامّة، بينما ينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن ينال حظاً كبيراً من الدراسات الإسلاميّة التخصصيّة. ويفضّل أن يكون قد أنهى مرحلة السطوح في دراسته الحوزوية، وبأي حال من الأحوال لا بدّ من أكمال مرحلة المقدمّات كحدٍّ أقل.

ب - **ثقافة تاريخيّة مركّزة**: لما كان خطيب المنبر الحسيني، يولي المسائل التاريخيّة، فيما يتعلّق بتاريخ الإسلام والمسلمين، بل ودراسة التاريخ قبل الإسلام في الحضارات الأخرى، كل هذا من جهة، وبما يخص سيرة النبي الأعظم ﷺ وسير أهل بيته عليهم السلام، وأبرز الصحابة والتابعين من جهة أخرى. إضافة إلى مزيد عناية بأدق التفاصيل، لكل ما يتعلّق بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، منذ ولادته وحتى استشهاده، وبما جرى على أهل بيته بعد ذلك من جهة ثالثة. كل ذلك يحتم على خطيب المنبر الحسيني، أن يولي المسائل والأبحاث، والدراسات التاريخية، اهتماماً بالغاً ودقيقاً.

ونظرة ولو سريعة، على مكتبات خطباء المنبر الحسيني الخاصّة، تكشف ضخامة الجانب التاريخي في ثقافتهم، وخاصة فيما يتعلق بواقعة كربلاء.

وقد انعكس اهتمام خطباء المنبر الحسيني بالتاريخ، وأحداثه على ثقافة الإنسان الشيعي، بحيث غدا مطّلعاً على أدق التفاصيل التاريخية، التي قد

لا تتأتى إلا لأهل الاختصاص والتتبّع. مما كان يدهش الكثيرين. يقول أحد الكتّاب الإسلاميين «ولم استطع أن أخفي دهشتي من أولئك الذين يحملون التاريخ على أكتافهم أبداً»(١).

ج - **ثقافة إسلاميّة عامّة**: بعد أن اتسعت المساحة التي راح المنبر الحسيني يعالجها، ولم يعد مقتصراً على إنشاد الشعر الرثائي، أو الوقوف عند بعض الأحداث التاريخية المحدّدة. وأخذ الجمهور يتطلّع إلى خطيب المنبر الحسيني، كمحاضر ذي ثقافة واسعة وعميقة، هذا الأمر الذي حتّم على خطباء المنبر الحسيني، أن يولوا اهتماماً كبيراً، بكل ما يتعلّق بجوانب الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامي.

ولذا أخذ خطيب المنبر الحسيني الناجح، بتناول كل نتاجات المثقفين، والكتّاب والمفكرين الإسلاميين. مع متابعة الدوريّات والإصدارات الإسلامية العامّة... فتجد خطباء المنبر الحسيني، ذوي علاقات أكيدة مع المكتبات، ودور النشر ونتاجات المؤلّفين. فتراهم من روّادها الأوائل، يبحثون من كل إصدار جديد ويتابعون كل جهد ثقافي، يضيف إلى رصيدهم الثقافي معلومات يمكن طرحها على المنبر.

وهناك اهتمام خاص، بكل المؤلفات التي تناولت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأبعادها وآثارها بالدراسة والتحليل والمتابعة. ولهذا فأن على خطيب المنبر الحسيني اقتناء كل ما كتب عن الحسين عليه السلام ونهضته، جهد الأمكان.

د - **إلمام جيّد بالثقافة التربويّة والاجتماعية والنفسية، والسياسية وعموم الثقافة الموسوعيّة**: إن تنوع الأبحاث، والمحاضرات التي يوليها المنبر

(١) هويدي، فهمي: إيران من الداخل، ص ٢٢٢.

الحسيني اهتمامه، حتّمت على خطيبه أن يكون ذا إلمام، في جملة تخصصات وثقافات تعينه على أداء مهمته وقوة محاضرته، وكبير انشداد الجمهور إليه.

فالخطيب الحسيني، لا يكتفي بالثقافة الإسلاميّة، والدراسات الدينيّة فقط، بل يحاول أن يكون له حظّاً من كل ألوان الثقافة، خاصة بما يتعلّق بمنبره، كالثقافة التربوية والنفسيّة وأن يكون ذا وعي وثقافة سياسيّة، تعينه على الطرح المناسب وطبيعة الظروف.

إن الثقافة الموسوعيّة، أمر مطلوب في ثقافة خطب المنبر الحسيني، وكلما كانت ثقافته متعدّدة وواسعة، كلما كان أكثر نجاحاً، وأعلى شأناً، في ميدان الخطابة. ولكن هذا لا يعني - بأي حال من الأحوال - أن تتحوّل المجالس إلى دروس في الفيزياء أو الكيمياء أو غيرهما من العلوم، فهو أمر ينبغي الابتعاد عنه.

وأن من الطبيعي أن يكون هناك اهتمام خاص، بالتقاط الشواهد الأدبية، والعقائديّة والعلميّة وغيرهما، مما يطعّم بها الخطيب محاضرته، كي يغنيها من جهة، ويرفع حالة السأم والملل من جهة ثانية.

ولهذا يحتفظ، كل خطيب منبر حسيني، بدفتر أو دفاتر خاصّة به، يجمع فيها كل شاردة وواردة، من كل ما تقع عليه عينه أو تسمعه أذنه من المعلومات، التي يتوقع أن يستفيد منها ذات يوم، ثم يوظفها في محاضراته ومجالسه.

إن جمهور المنبر الحسيني، ينظر إلى الخطيب ذي الثقافة الموسوعيّة المتنوّعة، بأنه خطيب يولي محاضرته وجمهوره اهتمامه، وأن حديثه ليس مجرّد كلمات تطلق جزافاً أو أفكار من هنا وهناك، بل هي أرقام ومعلومات متناسقة، جاءت بعد تتبّع وبحث وتدقيق ومزيد عناية.

ولهذا تعتبر المكتبات الخاصة بخطباء المنبر الحسيني، من أغنى المكتبات، في تنوعها وتوسعها وإحاطتها بفنون المعرفة، لذلك فإن «من أهم مكتبات النجف الخاصة، مكتبات خطباء المنابر الحسينيّة، الذين تلزمهم مهمتهم، كخطباء، الإحاطة بالتاريخ، والشعر، والأدب، واللغة، إحاطة لا يمكن أن تتيسّر بدون مكتبة زاخرة بالمصادرة المهمّة من أمهات الكتب»(١).

وهنا ننهي درسنا هذا على أن نواصل هذا البحث في الدرس القادم.

والحمد لله رب العالمين



(١) الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف ٧/ ٣٠٩.

الدرس التاسع عشر

المؤهلات الفنيّة في خطيب المنبر الحسيني

حيث نكمل في درسنا هذا، بقية الميّزات والمؤهلات، التي ينبغي للخطيب التحلّي بها. إن ما ذكرناه في الصنف الأول من المؤهلات، كانت تتعلق بما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «المعلومة» ومجرد حصول الخطيب - أي خطيب - على المعلومة، لا يصيّر منهُ خطيباً.. إذ أن الخطابة تحتاج إلى مؤهلات فنيّة، تمكّن الخطيب من صياغة وطرح المعلومات التي عنده بما يفعّل تأثيرها، من خلال تلك المؤهّلات الفنيّة على الجماهير.

وببعض هذه المؤهلات الفنّية، يتميز الخطيب عن المحاضر؛ الذي يكتفي بطرح المعلومات التي عنده بأسلوب هادىء وبنمط واحد تقريباً. بينما على الخطيب، أن يكون طرحه وأسلوبه، مراعياً فيه الجماهير بمستوياتها المختلفة، وشدّها إليه، وإيصال معلوماته إليها. في حين أن المحاضر عادة، ما يخاطب مستوىً معيناً وشريحة خاصة من الناس.

وبعض هذه المؤهلات الفنّية ضروريّة لكل خطيب. مثل: إبراز المقاطع المهمة في الخطبة، عدم جعل الصوت على وتيرة واحدة، تغيّر سرعة الحديث، التوقف قبيل وبعيد كل فكرة مهمة، استعمال إشارات اليدين والرأس أثناء إلقاء الخطبة[١] وإلى غير ذلك من المواصفات الفنية.

ومع ذلك فلا بد من أن نؤكد على بعض المؤهلات الفنيّة، التي تكون وثيقة الصلة بخطيب المنبر الحسيني والتي تميزّه عن بقية الخطباء والمحاضرين، وأهمها:

---

(١) كارنيغي، دايل: التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، مقاطع مختلفة من الكتاب.

○ أ - امتلاك مستوىً جيد من القدرة على الحفظ:

ينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن يحفظ العديد من النصوص، التي تشكّل عنصراً مهمّاً وأساسيّاً في نجاحه خطابيّاً.

فبالإضافة إلى استظهار آيات قرآنية كريمة، وبعضاً من الأحاديث الشريفة وما ينقل عن توجيهات الأئمة عليهم السلام والصالحين، فإن هناك عناية خاصة، تبذل لحفظ خطب أو مقاطع، من نهج البلاغة، وكذلك تحفظ خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ذات المضامين العميقة والمفردات اللغويّة العالية[1]، وكذلك النصوص المتعلقة بواقعة كربلاء، مثل الكتب التي راسل بها الإمام الحسين عليه السلام الآخرين، وخطبه حتى شهادته، وكذلك خطب بعض أصحابه يوم عاشوراء. وهناك اهتمام خاص بخطبتي الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، والسيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الشام، حينما وصلتها السبايا.

لقد كان خطيب المنبر الحسيني سابقاً، يتلو خطبته، من كتاب أو دفتر يقرأ على الناس. ولكن ومنذ عهد الشيخ كاظم سبتي - المارّة ترجمته - أخذ خطباء المنبر الحسينيون، يتبارون بكثرة محفوظاتهم. فهم بالإضافة إلى حفظ المحاضرة بأكملها؛ بما تحتوي من أفكار وآراء ومطارحات ونقاط وشواهد، فلا بد أن تحفظ بعض النصوص الخاصة، وكذلك لا بدّ من حفظ القصائد الشعريّة، التي تتلى في مقدمة المحاضرة، لا سيما في مجالس العشرة الأولى من المحرّم، ووفيات النبي صلى الله عليه وآله وبقية أهل البيت عليهم السلام.

(١) إن حفظ خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، من الميزان بالغة الأهمية للخطيب الحسيني، وخاصة إذا دعي لأحياء مجالس ايام الفاطمية، وقد يكون في موقف لا يحسد عليه إذا طلُب منه قراءتها وهو لا يحفظها.

إن ملكة الحفظ تبلغ ببعض الخطباء، أن يستظهروا كل حوادث يوم عاشوراء بأسماء أشخاصها وأشعارهم، وحواراتهم مرتّبة تاريخيّاً، مع ما يناسب كل مقطع من شعر رثائي، باللغة الفصحى، أو العاميّة العراقية الدارجة. ويستمر الخطيب يوم عاشوراء في قراءة المقتل، لما يزيد على ساعتين متصلتين، بصوت مرتفع، وإنشاد للشعر، وأسلوب عاطفي حزين. إن زيادة رصيد الخطيب الحسيني، من المحفوظات الشعريّة والتاريخية والنصوصيّة يعني زيادة فرص نجاحه، وتميّز منبره وشدّة إقبال الناس على محاضراته.



○ ب - التمتّع بقَدْر جيد من رقة الصوت:

لما كان خطابة المنبر الحسيني، قد ارتبطت بشكل أساسي، بالتعريج على واقعة كربلاء، والتوقف عند مقطع منها، وإشباعه بالشعر والإنشاد الحزين، بل إن بداية المنبر الحسيني، كانت عبارة عن إنشاد الشعر الرثائي، الذي قيل في الإمام الحسين عليه السلام. حيث كان أئمة أهل البيت عليهم السلام، يعقدون تلك المجالس في بيوتهم، كما مرّ سابقاً.

ولقد وجدنا، أن اهتمام الأئمة عليهم السلام بعنصر الصوت ورقّته، كان مبكّراً، ففيما نقلنا من رواية دخول أبي هارون المكفوف، على الإمام الصادق عليه السلام، وإنشاده قصيدة للشاعر للسيد الحِمْيَري، فعلّق الإمام على ذلك الإنشاد، وطلب من هذا المنشد، قراءة المراثي بصوت رقيق.

ولا يزال الصوت ورقته، من المؤهّلات الفنية المهمّة، في خطب المنبر الحسيني، بل يعتبر هو العنصر الأهم إطلاقاً، في المجالس التي تعقد في القرى والأرياف، وبعض مجالس البيوت في العراق، وبلدان

الخليج. أما في لبنان. فإن الصوت ورقّته، هو العنصر الأهم في خطيب المنبر الحسيني، في كل المجالس كبيرها وصغيرها، المهم منها ومتواضع الأهمية.

ولهذا، إذا اكتشف طلاّب العلوم الدينية المبتدؤون، أحد زملائهم، ممن يمتلك حسن الصوت، انهالوا عليه، ناصحين ومشجعين، أن ينخرط في صفوف خطباء المنبر الحسيني!.

كما تنهال نصائح مغايرة أخرى، على ما يعتلي أعواد المنبر الحسيني، وصوته ليس بتلك الرّقة والعذوبة المتوقّعة، بأن يترك الخطابة الحسينية، لأن صوته لا يساعد عليها!

وقد كان عنصر رقّة الصوت، من الأمور التي حالت، دون توجّه الكثيرين، نحو حقل خطابة المنبر الحسيني. وفيهم من لا يُستهان بعلمه ومعلوماته وتقواه.

والواقع أن «حسن الصوت وحسن الإلقاء، والتمّكن من التصّرف بنبرات الصوت، وتغييره، حسب الحاجة، من أهم ما يميّز الخطيب الناجح. وذلك في أصله موهبة ربّانية، يختص بها البشر من غير كسب، غير أنها تقوّى وتنمو بالتمرين، والتعلّم، كجميع المواهب الشخصيّة(١). ولكن لا بد من وجود طبقات صوت مهيّأة للتمرين والتطوّر.

إن الصوت الجميل الرقيق، له أبلغ الأثر، في إثارة الشحنة العاطفيّة التي تنتهي بالبكاء، في نهاية فقرات المنبر الحسيني، والبكاء كان ولا يزال أمراً أساسيّاً، يتميّز به خطاب المنبر الحسيني عن بقية المنابر، إسلامية وغيرها.

ويعلّق الخطيب السيد صالح الحلّي «المارة ترجمته» على هذه النقطة

---

(١) المظفر، محمد رضا: المنطق ٣/ ٣٧٣.

بقوله: إن خطيب المنبر الحسيني، يحتاج إلى حاءات ثلاثة هي: «الحظ والحفظ والحسّ»(١) أي الصوت(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾(٣).

وإذا كان عنصر الصوت، من العناصر المهمّة، في خطابة كل خطيب؛ فإنه في الخطابة الحسينية في غاية الأهمية، لأن خطيب المنبر الحسيني، لا يكتفي بالخطبة العادية ككل خطيب، بل لا بد له من إنشاد الشعر الرثائي، باللغتين الفصحى والعاميّة، واستخدام أطوار وطرائق متنوعة، وبما يستلزم بذلك من ترجيع للصوت وتغيير نبراته.

والحمد لله رب العالمين



---

(١) السيد حسن، داخل: معجم الخطباء، ١/ ٥٩.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١/ ٤٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٢.

الدرس العشرون

المؤهلات الفنية في خطيب المنبر الحسيني

○ حـ - المؤهلات الفنيّة الخاصّة:

إكمالاً للمؤهلات الفنية التي تحدثنا عنها في درسنا السابق، والواجب توافرها في خطيب المنبر الحسيني، حيث نؤكّد في درسنا هذا أهميّة التوافر على خبرة بفن الخطابة الحسينية. إن خطيب المنبر الحسيني، لا يكتفي بإبراز الجوانب العلميّة والثقافية والمعلوماتية العامّة، التي يرعاها كل خطيب. أو بمشاركة كلّ الخطباء في ضرورة توافره على المؤهلات، والأوصاف الفنية، المرتبطة بالخطابة بشكل عام. وإنما يزيد عليهم في أهميّة توافره على مقدره فنيّة في تصوير فقرة المصيبة التي يريد عرضها وإنهاء مجلسه بها، وما يسبقها من حسن التخلص ورهافة الأنتقال السلس، وبدون مطبّات، من أجواء البحث إلى عرض إحدى آلام كربلاء.

إن الخطيب الناجح والموفّق من يوصل حضّار مجلسه إلى البكاء، أو قبيله، بما يعرضه، وبأسلوبه الخاص الرقيق، دون أن يذكر بيت رثاء أو شعراً مشجيّاً، والذي يأتي بعد ذلك لمزيد من إشباع فقرة المصيبة تفاعلاً وبكاءاً وتعاطفاً، حتى يتم الأمر ويكتمل الأجر.

ولهذا فالخطيب مطلوب منه امتلاكه مفردات أدبية واسعة، وحسن صياغة لها موفقّة، ورقة عرض لها مرهفة.

كما ان المنبر الحسيني أحياناً وبحسب المناطق وتقاليدها، والمناسبات والمعهود في طرق إحيائها - قد يتوقع منه، نوع تصرفّ، من أجلّ مزيد إذكاء للعاطفة، وشدة تفاعل مع المصيبة.

فمثلاً في بعض بلدان الخليج، لا يكتفي خطيب المنبر الحسيني، بإلقاء محاضرته وإنشاد الشعر الرثائي، بعد ذلك على المنبر، بل ينزل من على منبره، ولاقطة الصوت بيده، يختلط بالجمهور المحتشد بين يديه، ليزيد من بكائهم وانفعالهم، وإذا كان أحد العلماء الكبار، أو أحد السادة الأشراف المبرزين، حاضراً في المجلس، فإن الخطيب ينزل ليوجّه له أبيات العزاء، مما يزيد في بكاء الناس وتأثرهم.

وقد نجد، بعض خطباء المنبر الحسيني، يرمي بعمامته إلى الأرض، في بعض مقاطع ذكر المصيبة، مثل لحظة ضرب رأس أمير المؤمنين عليه السلام، في محراب جامع الكوفة، ليلة ١٩ شهر رمضان، أو لحظة قطع رأس الحسين عليه السلام، ظهيرة يوم عاشوراء.. وما أن يرى الناس ذلك، حتى ترتفع أصواتهم بالنحيب والبكاء.. وبقدر ما يمتلك من يتلو السيرة الحسينية من براعة في الأداء، وفي تغيير نبرات الصوت، وجعلها منسّقة مع الكلمات والمعاني، وبقدر ما يبدو متأثراً مع تلاوته للسيرة، ومع إنشاده لأبيات الشعر، بأسلوب النوح، بقدر ما يؤثر في السامعين ويحدث فيهم توتراً نفسياً وعاطفياً يقودهم إلى البكاء.

ويحتفظ خطباء المنبر الحسيني، وجمهورُه، بلقطات فنيّة، برزت من بعض مشاهير الخطباء، ويتداولونها بينهم، ويتذاكرون تأثيرها في المستمعينَ.

وإن الحضور الجماهيري، الحاشد أيام عاشوراء يتطلب قدرة خطابية فائقة، للسيطرة على جمهورِهِ، وشدّه إليه. وعلى الخطيب الحسيني، أن يكون متهيّئاً لكل طارىء في أثناء خطبته، ماذا يصنع إذا انقطع التيار الكهربائي؟ وكيف يخاطب جمهوره ليبقى على حالة الإنشداد؟ كيف يتصرف الخطيب إذا دخل المجلس، عالم كبير أو شخصية مرموقة جدّاً؟

كيف يتعامل الخطيب، مع خطيب آخر إذا حضر في مجلسه؟ كيف يحافظ على مجلسه في حال صراخ أو قيام بعض الحضور من شدة تأثرهم بالمصيبة، لا سيما في قراءة مقتل الحسين عليه السلام، وما إليها من طوارئ أو احتمالات وموارد، تحتّم على خطيب المنبر الحسيني، أن يتمتّع بقدرة كبيرة، وخبرة واسعة، في فن الخطابة الحسينيّة وأصولها وتقاليدها وأعرافها؛ لحسن كيفية التعامل معها.

ومن هنا تبرز أهمية، تتلمذ الخطيب الناشىء، على يد خطيب أستاذ متمرّس، يضع بين يديه خبرته، ويبيّن له وصاياه ونصائحه ويحكي له جوانب من تجاربه. كما وتبرز أهمية نشأة الخطيب في بيئة كثيرة المجالس، عديدة الخطباء، واسعة المناسبات الخطابية، مما يعني وضع تجارب خطابية عمليّة وافرة بين يديه، يستفيد منها، ويعمل على توظيفها في مجالسه المستقبلية.



○ د - مراعاة الحكمة:

إن الحكمة، كما عرّفها البعض، من أنها: وضع الشيء في محلّه. وإذا كان كل خطيب، يحتاج إلى مراعاة الحكمة في خطابته، فإن ذلك يبرز بصورة أوضح وأشد، في خطابه المنبر الحسيني.

إن المنبر الحسيني، يخاطب شرائح متنوعة من المجتمع، وتحضر عنده مستويات متباينة من الناس، كما يعقد في ظروف مكانية وزمانيّة واجتماعيّة مختلفة، ولمناسبات وأغراض متعددّة.

وعلى خطيب المنبر الحسيني، أن يكون حكيماً في خطابته، مراعياً الظروف المكانيّة والزمانيّة من جهة، وتنوّع المستمعين من جهة أخرى،

وتباين مستوى تلقّيهم، من جهة ثالثة، وانسجام حديثه مع نوعيّة المناسبة من جهة رابعة...

وكأمثلة على ما ذُكر أعلاه، نورد ما يلي.

١ - دُعي الخطيب المعروف الشيخ كاظم سبتي المارّة ترجمته للقراءة في منزل أحد السادة الأشراف، في النجف الأشرف، بمناسبة انتقاله إلى دار جديدة. وإذا بهذا الخطيب، رغم كل خبرته ومعرفته، يبدأ خطبته بمقطوعة من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وهي في ذمّ الدنيا وتبدأ بقوله: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها، أحوال مختلفة وتارات متصرّفة، العيش فيها مذموم والأمن فيها معدوم...»[1]. مما جعل صاحب الدار مذهولاً يضرب على فخذه، ويردد: ما هذا الافتتاح يا شيخ كاظم[2]؟؟ فهنا لم تكن الخطبة مناسبة، لمقتضى الحال، بل هي على عكسها تماماً...

٢ - ومثال آخر، جرى مع الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي، المذكور أعلاه، حينما كان يقرأ في مجلس مختصر، ليس فيه إلا بضعة مستمعين، من طلبة إحدى المدارس الدينية في النجف، ولما خرج الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من حجرته بتلك المدرسة، ورأى المجلس معقوداً، جلس مع أولئك الطلبة، ليشاركهم في المجلس الحسيني طلباً للثواب. ولكن الخطيب لم يراعِ ظروف مجلسه، وقلّة الموجودين وجلوس الشيخ إحتراماً للمجلس وربما كانت عنده ارتباطات أخرى، فراح يطنب في ذكر وصيّة الإمام علي لولده الحسن عليه السلام وشرحها. والتي تبدأ في كل مقطع بـ«بني حسن...» حتى طال وقت المحاضرة، أكثر من

(١) محمد أبو الفضل: سجع الحمام في كلام الإمام ص ٨٤.
(٢) شبر، السيد جواد: أدب الطف، ٩/ ٧٤.

المعتاد. مما جعل الأمام الشيخ كاشف الغطاء، بمجرد إنتهاء المجلس يبادر إلى ذلك الخطيب ويخاطبه: «بني حسن، أما أوصاك أبوك، أنه إذا كان في المجلس ثلاثة مستمعين، فلا تطيل الحديث عليهم؟؟»[١]. وجاء تعليق سماحة الإمام كاشف الغطاء رَحِمَهُ اللَّهُ، باللفظة نفسها، التي كان يستخدمها الخطيب...

٣ - ذكر لي أحد الأساتذة الخطباء، وهو المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب: (أن خطيباً دعي لقراءة مجلس حسيني في منزل أحد العلماء، وكان جلّ الحضور من العلماء وطلبة العلوم الدينية، وإذا بذلك الخطيب يتناول موضوع الخمر، ومضارها وعقوبة شاربيها.. فانبرى له أحد الحاضرين مؤنباً.. وهل وجدت في مجلسنا هذا من يشرب الخمر؟؟، ألم تجد غير هذا الموضوع لتتحدث عنه؟؟ ممّا أربك الخطيب وأفشل المحاضرة).

هذه هي أهم المؤهلات الفنيّة، التي ينبغي توافرها، في خطيب المنبر الحسيني، وقد ركّزنا على تلك المؤهلات، التي يتميّز بها خطيب المنبر الحسيني، عن بقيّة الخطباء، وإن كان يشترك معهم، في بعض المؤهلات الفنيّة العامّة، التي لا بد من اتصاف الخطيب، أي خطيب بها.

ثم نأتي الآن إلى الصنف الثالث من المؤهلات، وهي:

○ ٣ - المؤهّلات الرساليّة:

إن الصنفين الأول، والثاني، من المؤهلات العلميّة والفنية، إنما يوفران شرائط الخطابة الناجحة، ويمكن اعتبار ذلك طاقة، لا بد من توجيهها التوجيه الصحيح، حتى تؤتي الخطابة ثمارها ومنافعها، فتأتي

(١) حسن، داخل السيد: معجم الخطباء، ١/ ٣٤.

المؤهلات الرساليّة، لتقوم بهذه المهمّة، وهي مؤهلات ضروريّة لكل خطيب رسالي، سواء كان خطيب منبر حسيني، أو خطيب منبر الجمعة، أو أي خطيب ملتزم بأحكام دينه وأهداف رسالته.

فهي إذن من المؤهلات المشتركة، بين كل الخطباء الرساليين الملتزمين.

وقد تكون هذ المؤهلات الرساليّة مثل: الالتزام والأخلاقية والهادفيّة، أكثر ضرورة في خطيب المنبر الحسيني، الذي يخاطب جماهير كثيرة واسعة، وينتقل إلى أماكن ودول متعددة، بما قد لا يتوافر لخطيب المسجد.

فالخطيب الرسالي، هو الذي يراعي مسائل هداية الشباب، والتزام المرأة المسلمة، والدفاع عن المظلومين وهو يركز دائماً في مجالسه على الوحدة والأخوة، وإشاعة الخير في المجتمع، وإختيار المحاضرات والأبحاث التي لا تثير حساسية ما قد تعكّر الأجواء . . . وغيرها من الأبحاث، التي تنبع من وعي الخطيب، وتقديره لحاجة المجتمع، إلى موضوعاته ومنبره.

فرقٌ كبير، بين الخطيب الناجح، أي الذي يوفّر كل المؤهلات العلميّة، والثقافية والمؤهلات الفنيّة، وبين الخطيب النافع، الذي لا يكتفي بتلك المؤهلات، بل يزيد عليها، مؤهّلات رساليّة، تجعله يختار الحديث الذي يزيد في الوعي ويعمّق الفكرة، ويؤسس الإلتزام الديني الصادق، ويرابط ابحاثه والواقع الذي تعيشه الأمة، في محاكاة ضرورية بين ديننا وبين واقعنا، لأنه خطيب نافع، فالخطيب النافع؛ هو الخطيب الهادف.

إن التزام الخطيب وتقواه وتحرّجه في دينه، واخلاقيته وهادفيّته ووعيه، أمور أساسيّة لإيجاد المنبر الهادف، الذي يُغني الساحة، وينمّي درجة الوعي، ويزيد من التزامها، وتبنيها لنهج الإسلام وأحكامه.

وكما قلنا، هي مؤهلات من الواجب توافرها في كل خطيب إسلامي، ولكنها قد تكون أكثر بروزاً في خطيب المنبر الحسيني، لسعة المساحة التي يخاطبها في الأمة، وتنوّع الساحات واتساع نطاق تحرّكه.

إن شدّة ارتباط الخطيب الملتزم بأحكام الله تعالى، والتزام تقواه، والعمل من أجل مرضاته، أمور في صدارة ما ينبغي على الخطيب الملتزم، والهادف، أن يتحلى بها، ويعيش آثارها، في نفسه وسلوكه وخطابته. خاصة وما نلمُسه من إحترام الأمة لخطباء المنبر الحسيني وحسن ظنهم بهم، وبأنهم خدمة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ دعاءهم مستجاب وغيرها من النظرات الإيجابية للخطباء.

إنّ حالة تقوى الله، وصدق الإنسان في التعامل مع ربّه الكريم، وخلوص النيّة، وصفائها، من الأسس بالغة الأهمية في توفيق الخطيب، وانعكاس ذلك على شدّة تأثر الناس به، وبكلامه ومواعظه ومن ثمّ ما يذكر من مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

نعم «كم من خطيب، في مجالس ذكرى مصرع سيد الشهداء عليه السلام، يدفع الناس إلى البكاء والرّقة، بمجرد مشاهدة هيئته وسمّته، قبل أن يتكلم»(١)!

هذه هي الشروط والمؤهلات التي ينبغي حضورها، في خطيب المنبر الحسيني، وبعضها يشترك فيها مع كل خطيب، والبعض يشترك فيها مع الخطيب الإسلامي، فيما يختص خطيب المنبر الحسيني ببعضها الثالث.

وهنا نكون قد وصلنا إلى نهاية الأوصفات والمؤهّلات التي ينبغي لخطيب المنبر الحسيني التوافر عليها.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الشيخ المظفّر، محمد رضا: المنطق، ٣/ ٣٧٣.

الدرس الواحد والعشرون

نموذج عن مجلس حسيني

بعد أن أحطنا بخطابة المنبر الحسيني وفقراته، نريد في هذا الدرس، إيراد نموذج عن مجلس حسيني يتضمن الفقرات التي تم دراستها، أملاً بمزيد من التوضيح والمتابعة. . .

(صلى الله عليك سيدي يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطاهرين المظلومين. . .

صلّى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا ابن رسول الله، يا باب نجاة الأمة، يا مظلوم كربلاء، يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

قَدْ أَوْهَنَتْ جَلَدي الديارُ الخاليه ... مِنْ أَهْلِها ما للدِّيَارِ وماليَه
ومتى سَأَلْتُ الدارَ عن أَرْبَابِها ... يُعِدِ الصَّدىٰ منها سُؤاليَ ثانيه
كانت غِيَاثاً للمَنُوبِ فَأصْبَحَتْ ... لجميعِ أنواعِ النَّوَائِبِ حَاوِيَه
وَمَعَالِمٌ أَضحت مآتِمَ لا تَرَى ... فيها سوى ناعٍ يُجَاوِبُ ناعيه
ولَقَدْ دَعَوهُ للعَنَا فأجابَهُمْ ... وَدَعَاهُمُ لهُدىً فَرَدُّوا دَاعِيَه
قَسَتِ القُلُوبُ فَلَمْ تَمِلْ لِهِدَايةٍ ... تَبّاً لهاتيكَ القُلُوبِ القَاسيه
ما ذاق طَعْمَ فُرَاتِهم حتى قَضَى ... عَطَشاً فغُسِّلَ بالدِّمَاءِ القانيه
يا بنَ النبيِّ المصطفى وَوَصيِّهِ ... وأخا الزكيِّ ابنَ البتولِ الزاكيه
تبكيكَ عيني لا لأَجْلِ مَثُوبةٍ ... لكنّما عيني لأَجْلِكَ باكيَه
تَبْتَلُّ منكم كربلا بدَمٍ ولا ... تَبْتَلُّ مني بالدموعِ الجَاريه

أنسَتْ رَزِيَّتُكم رَزَايَانَا التي سَلَفَتْ وهَوَّنَتِ الزرايَا الآتية
وَفَجَائعُ الأَيَّامِ تَبقى مُدَّةً وتَزولُ وهي إِلى القيامةِ باقيَه
لهفي لِرَكْبٍ صُرِّعوا في كربلا كانت بها آجَالُهم مُتَدَانِيَه(١)



بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(٢).

تعددت أوجه العبادة في الإسلام، فمنها؛ بدنية مثل الصلاة والصيام، ومنها: عبادة ماليّة مثل الزكاة والخمس، ومنها؛ عبادات تجمع بينهما مثل الحج.

وقد حثّ القرآن الكريم، الإنسان المسلم، على مسألة الإنفاق في سبيل الله، في آيات كثيرة. والإسلام لا يعتبر الإنفاق إعانة للجهة المحتاجة من فقراء وأيتام وغيرهما فقط، بل إن الإنفاق يستبطن عملية تربويّة، تسمو من خلالها نفس الإنسان، وهو يسهم في إسعاد الآخرين، ويكون من المهتمين بأمور المسلمين.

ولهذا قامت رؤية الإسلام، على أن لا تتولى الدولة الإسلاميّة، عملية الإنفاق فقط، بل يُسهم بها الإنسان المسلم، جنباً إلى جنب مع مسؤوليّة الدولة. فينمّي حسه الأخلاقي، وحبّه للخير. فالإسلام «لا يكتفي بالحقوق التي تنظّمها القوانين، وتنفذها الحكومات، لأن هذا الجانب، في نظره

---

(١) القصيدة للشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله.
وهنا قد يكتفى بهذه القصيدة، أو من تخميس بعض أبياتها الأخيرة، الموجود في كتب الخطابة الحسينية. أو تضاف أبيات من الشعر الشعبي، وبما يراه الخطيب مناسباً من النعي بالطور الفائزي أو غيره، أو ربما بأبيات الأبوذية.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

ليس مجرد وسيلة، لتحقيق التكافل بين الناس، بل هو أيضاً غاية من غاياته في تربية الإنسان الصالح، الجدير برضا الله ومرافقة النبيين في جنته»[١].

ومن أجل تنمية الإحساس بإسعاد الآخرين، والمساهمة في ذلك، - وإن كانت قليلة - نجد أن الفقهاء يذكرون، استحباب أن يستخرج الفقير زكاة فطرة واحدة، - وهي التي تؤدى في نهاية شهر رمضان - ويمرّرها على جميع أفراد أسرته ثم يعطيها لفقير آخر[٢].

ولو نظر الإنسان بعين الحقيقة، فإن المال الذي ينفقه هو الذي يبقى له، وأما ما تركه فهو لغيره فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله «ما جمعت من المال فوق قوتك، فإنما أنت فيه خازن لغيرك»[٣].

وهذا المعنى صاغه الشريف الرضي بقوله:

يا آمن الأيام بادر صرفها	وأعلم بأن الطالبين حثاثُ
خذ من ثرائك ما استطعت فإنما	شركاؤك الأيام والورّاث
ما كان منه فاضلاً عن قوته	فليعلمن بأنه ميراث[٤]

وكان عند أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم اربعة دراهم، فأنفق واحداً ليلاً وآخر نهاراً وثالثاً سِرّاً ورابعاً علانية، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥] ومن يقف على توجيهات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في الحث على الإنفاق والدعوة إليه، يجد مدى

(١) القرضاوي، يوسف: مشكلة الفقر، ص ١٢٩.
(٢) السيد السيستاني، علي: المسائل المنتخبة، ص ٢٣٤.
(٣) الأبشهيني، شهاب الدين: المستظرف، ص ١٧٤.
(٤) ديوان الشريف الرضي.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

حرص الشريعة على هذه الصفة الحميدة في سلوك الإنسان المؤمن.

ولم يكتف القرآن الكريم، بالحثّ على مطلق الإنفاق، فجاءت هذه الآية المباركة لتقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(١)].

نعم «إذا أعطى الإنسان، فإنه لا يختار الأشياء التي تعافها نفسه، ويكرهها طبعه فيمنحها للآخرين، لأن ذلك ليس مظهراً للعطاء، بل هو وسيلة من وسائل التخلص من هذه الأشياء، باسم العطاء. بل يختار الأشياء التي يحبها ويريدها مما هو أثير عنده، وقريب إلى حاجاته وضروراته، فإن ذلك يحمل معنى التضحية التي يتمثل فيها روح العطاء السمح»[(٢)].

وكم كان تفاعل المسلمين الأوائل عظيماً مع القرآن وآياته، وبرامجه، في تربية الإنسان وسموّه. فقد كان الصحابي أبو طلحة أكثر الأنصار مالاً بالمدينة، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد. وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، أن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ وأن أحبّ أموالي إليّ بير حاء «وأنها لصدقة لله، أرجو بها برّها، وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح..»[(٣)].

وكان علي عليه السلام قد إشترى ثوباً فأعجبهُ، فتصدّق به![(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) السيد فضل الله، محمد حسين: تفسير من وحي القرآن ٦/ ٩٥.

(٣) سيد قطب: تفسير في ظلال القرآن، ١/ ٤٢٤.

(٤) محمدي ري شهري: ميزان الحكمة، ٨/ ٣٣٥٥.

وتصدق الإمام الصادق عَلَيْتَلاِ بالسكر، فقيل له: أتتصدّق بالسكّر؟ فقال عَلَيْتَلاِ: نعم، إنه ليس شيء أحبّ منه، فأنا أحب أن أتصدّق بأحب الأشياء إليّ[١].

ولهذا «كان السلف إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله... ونقل الواحد عن مجاهد والكلبي: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة. وهذا في غاية البعد، لأن إيجاب الزكاة، كيف ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله سبحانه وتعالى»[٢].

إن حبّ الإنسان المسلم، لله تعالى ولنيل ثوابه، يدفعه إلى مزيد من العطاء والانفاق، وأننا نسمع العرب تحثّ على الانفاق والجود والكرم كقول حاتم طي:

«فلا الجود يفني المال قبل فنائه ولا البخل في مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمس رزقاً بعيشٍ مقترٍّ لكلِّ غدٍ رزقٌ يعود جديدُ
ألم تر أن الرزق غادٍ ورائحٌ وأن الذي أعطاك سوف يعودُ»[٣]

فإذا كان هذا الإنسان، قبل الإسلام، يثق بعطاء الله وعوده بالخير والرزق، فكيف يكون حال الإنسان المسلم، مع عظيم ثقته بالله، ورزقه، وعطائه؟.

يقول الراغب في مفرداته: «إن لفظ نفق الشيء، مضى ونفذ.. ثم يعقّب بقوله: والإنفاق قد يكون في المال، وفي غيره وقد يكون واجباً أو تطوّعاً»[٤].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الفخر الرازي: محمد بن عمر: التفسير الكبير، ٨/ ١٣٥.
(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر: المحاسن والأضداد، ص ٨٥.
(٤) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٢٣.

نعم فهناك من ينفق ماله، وهناك من ينفق من علمه، أو موقعه الاجتماعي أو الوظيفي... وكلّما كان المؤمن أشدّ حباً لله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١) كان عطاؤه أوسع، وإنفاقه متعدّد الأوجه...

فالمؤمن لا يعرف حدّاً في العطاء والبذل من أجل الله.. فإذا نال البر من أنفق مما يحب من أمواله، فكيف لا ينال أعلى درجات البر، من لم يكتف ببذل ما يحب من أمواله، بل بذل أمواله وأحبّته وأخوته، ولم يبخل على الله تعالى، حتى بطفله الرضيع؟

نعم هكذا وقف الحسين، يوم عاشوراء، وهو يقدّم الضحيّة بعد الضحيّة، والشهيد بعد الشهيد، وكلما هوى شهيد جلس عنده وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾(٢).

وكان آخر من قدّمه الإمام الحسين، طفله «الرضيع عبد الله»، الذي له من العمر ستة أشهر، فلما «دعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله، وأمه الرباب، فأجلسه في حجره يقبّله، ويقول: بُعداً لهؤلاء إذا كان جدّك المصطفى خصمهم.. ثم أتى نحو القوم يطلب له الماء... فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهمٍ فذبحه.. فتلقى الحسين الدم بكفّه ورمى به نحو السماء!!»(٣).

ولو تراهُ حاملاً طفلَهُ رأيتَ بدراً يحملُ الفرقدا
مخضّباً من فيضِ أوداجهِ ألبسهُ سهمُ الردىٰ مجسدا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٣) المقرّم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٢٧٢.

تحسبُ أن السهمَ في غرهِ   طوقٌ يُحلّي جِيَدهُ عَسْجدا[١]



ولنا أن نتصوّر الحال، التي كان عليها الحسين، وطفله الرضيع بين يديه، مخضباً بدمه، والسهم شاكٌ في رقبته!!

مدري إشگال قلب حسين وشچان   قومه أمطرّحه ابحومة الميدان
والحرگ القلب ذبحة الرضعان   اشحاله الفوگ صدره انذبح طفلين[٢]
لهُ الله مفطوراً من الصبرِ قلبُه   ولو كان من صمِّ الصفا لتفطّرا

نسألك اللهم وندعوك أن تقضي حوائج المحتاجين، اللهم إشف وعاف مرضى المؤمنين والمسلمين... المؤسسون لهذا المأتم تقبّل اللهم عملهم، إلى أرواح أمواتهم وأرواح المؤمنين والمسلمين، وأرواح أموات الحاضرين، رحم الله من قرأ الفاتحة مع الصلوات.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد



(١) البحراني، حسن: رياض المدح والرثاء، ص ٦١٣ (القصيدة للشيخ محمد رضا الخزاعي).
(٢) دكسن، محمد حسن: الروضة الدكسينة، ص: ٤٢.
والبيتان باللهجة العراقية معنى البيت الأول: لا أدري ماذا قال قلب الحسين وكيف كان، وقومه وأصحابه مطرّحين في ميدان القتال، وأما البيت الثاني: وإن الذي أحرق القلب هو فقد الرضيع، فكيف بمن ذبح له طفلان على صدره...؟! في إشارة إلى رواية تفيد بأن طفلين للحسين قتلا يوم عاشوراء.

○ ملاحظات على المحاضرة

إشارات إلى بعض النقاط الواردة في هذه الخطبة.

١ - البداية بالحمد والصلاة، ثم لا بدّ أن تنتهي بلفظ «يا ليتنا كنا معكم - أو معهم - فنفوز فوزاً عظيماً» وهو مقطع مأخوذ من حديث للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مع أحد أصحابه، حول عاشوراء كما ذكر في درس سابق.

٢ - بعدها تأتي القصيدة، التي يختارها خطيب المنبر الحسيني، منسجمة مع المناسبة، أو عامة تشمل مناسبات مختلفة، وقد يكتفي بعض خطباء المنبر الحسيني، بإنشاد بضع أبيات من قصيدة، في حين قد ينشد آخرون ما يصل إلى ثلاثين بيتاً من الشعر الرثائي. ويتدرّج الخطيب في الإنشاد، مراعياً الأطوار والطرائق، المألوفة لدى أهل المنبر.

٣ - تبدأ المحاضرة بعنوان آية قرآنية كريمة، وقد تكون حديثاً شريفاً، أو حكمة، أو حتى بيت أو بيتان من الشعر.

٤ - المحاضرة:

أ - مقدمة حول العبادات والإنفاق بالخصوص.

ب - شرح مفاهيم إسلامية حول الإنفاق من بعض المفكرين والكتّاب الإسلاميين.

ت - استشهاد بمقطوعتي شعر، تناسبان الموضوع مأخوذتان من مصادر أدبية عامة.

ث - الاستفادة من أكثر من رأي، في تفسير الآية، موضوع البحث، وسبب نزولها وغير ذلك.

ج - إيراد بعض أحاديث اهل البيت عليهم السلام ورواياتهم، لمزيد من تقوية البحث، وشدّ المستمعين إلى الموضوع.

ح - توظيف رأي فقهي من رسالة عمليّة لأحد المراجع العظام المعاصرين.

خ - إشارة إلى موضوع النسخ المدّعى في الآية الكريمة، وبيان حكم شرعي في زكاة الفطرة من كتاب فقهي.

إن التنّوع في المحاضرة، يختلف من خطيب لآخر، ومن مجتمع لآخر، ويعتمد على سعة ثقافة خطيب المنبر الحسيني، وغزارة معلوماته، وتجربته من جهة، وطبيعة المتلقين، والمستمعين من جهة أخرى. كلها أمور تتحكم في نوعيّة المحاضرة، وكما أن اختيار الشواهد الأدبية والتاريخية، من الأمور التي يتمايز بها الخطباء فيما بينهم، ويمكن للمحاضرة أن تأخذ أبعاداً أوسع، ومجالات أدق، ولكنها مجرد نموذج لما يطرح على المنبر. مثل ذلك الموضوعات: الوقف في الإسلام، تقسيم الإنفاق إلى واجب ومندوب، بيت المال وأهميته في المجتمع المسلم. وغيرها من الموضوعات.

٥ - بعد أن وجد خطيب المنبر الحسيني، أن المحاضرة قد أحيط بجوانبها، أخذ يفكر بكيفيّة «التخلّص» من محاضرته، ونقل المستمعين إلى أجواء كربلاء. فهنا، يورد الخطيب مسألة، يمهّد بها أذهان السامعين، إلى نهاية محاضرته، فذكر تعليق الراغب الأصفهاني، على اختلاف نوعية الانفاق.. ثم راح الخطيب، يعطي أمثلة عن الإنفاق، في جوانب عدة. حتى وجد الجسر الذي يعبر عليه، إلى أحداث عاشوراء، حينما ذكر أوجه الانفاق المتعددة للإمام الحسين عليه السلام.

وحينما يذكر خطيب المنبر الحسيني، اسم الحسين أو لفظ كربلاء،

فإن المستمع يتهيّأ نفسيّاً للتفاعل مع واقعة كربلاء. وهنا، وبعد أن يتمّ للخطيب، نقل المستمع من المحاضرة إلى كربلاء، عليه أن يختار الآن حادثةً ما يركّز عليها، وعندها تتغير نبرات صوت الخطيب، حيث يبدو الشجوّ والحنين واضحاً، في رسم صورة تلك الحادثة. وهو يعتمد على ما تنقله كتب المقتل في ذلك. مستثمراً مستواه الأدبي والفني في تصوير الموقف. فإذا اطمأن الخطيب، إلى وصول المستمع إلى حالة التفاعل النفسي والعاطفي، سارع إلى تفجير ذلك، بكاءً، من خلال مختارات شعريّة، تناسب الحادثة تلك؛ من الشعر الفصيح والعامّي. الذي يلقى رواجاً في أوساط الناس. وتُنشد بأسلوب حزين وصوت رقيق شجيّ.. فإذا تفاعل الجمهور مع الخطيب بالبكاء، وأدرك الخطيب أن المجلس قد أخذ كفايته، فعليه أن ينهي محاضرته ببيت، يتخلّص فيه مجلسه، وتأتي فقرة الدعاء في نهاية المطاف.

هذا مجرد نموذج، لخطبة من خطب المنبر الحسيني، ومحاضراته، وفيها تتضح أهمية تنوّع ثقافة الخطيب، واختياره الشواهد الأدبية المناسبة، وطبيعة المحاضرة، التي تبرز مدى إحاطة الخطيب، بتفاصيل أحداث كربلاء، والتي تسهّل عملية انتقاله من موضوع بحثه، إلى فقرة «المصيبة».

وتتضح مواهب الخطيب الفنية، في تغيير نبرات الصوت، وهو يصوّر الموقف، ويناغم العواطف، بأبيات رثاء شجية يختارها من الدواوين، المختصة بهذا النوع من الشعر، وبطرق انشاد مؤثرة ومعروفة، في أوساط المنبر الحسيني.

وبهذا نأتي إلى نهاية درسنا هذا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثاني والعشرون

(ارشادات وتوصيات عامة لأهل المنبر)

○ الخاتمة:

وفي نهاية دروسنا هذه عن خطابة المنبر الحسيني، رأيت أن من المناسب، ذكر بعض الارشادات والتوصيات، التي أذكّر بها نفسي، وبقية خطباء المنبر الحسيني، أيدهم الله تعالى.

حيث أن لهذا المنبر المبارك، أفاقاً واسعة، ومجالات كبيرة، قد تفتح للخطيب الحسيني أبواباً للابتلاء، لا تفتح لغيره، من الخطباء والعلماء والمبلغيّن. خاصة إذا كان من أهل النجاح والشهرة في هذا المضمار، حيث يحظى بشعبية كبيرة وشهرة ممتدة، لمساحات شاسعة وساحات متعددة، في شبكة علاقات، تتسع مع سعة نشاطاته الخطابية، وتهيء له فرصاً عديدة، للسفر والتنقل بين عواصم الدنيا، مع تنوّع دول المهاجر، وساحات الاغتراب، والجاليات المهاجرة. وأخيراً كثرة القنوات الفضائيّة، وفتحها مجالات جديدة أمام الخطيب الحسيني قد لم يكن يخطر له في بال.

ورحم الله استاذنا، المرحوم العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني، الذي كان يقول: لقد كنت تسأل خطيب المنبر الحسيني فيما سبق، أين التزمت في قرائتك؟ فيقول لك: سأقرأ في السماوة، أوالناصريّة، وربما في البصرة، وأما مع هذه الأيام فأنك تسمع الخطباء، يقولون لك، سأقرأ في لندن وآخر في استراليا وثالث في كندا.. قال هذا رحمه الله، أيام أقامتنا في دمشق، في ثمانينيات القرن العشرين.

وهذا الأتساع مما سوف ينعكس، على تحسّن المستوى المعاشي للخطباء عموماً، إذا قيسوا مع بقية طلبة العلم. كما أن الخطيب الحسيني، يلتقي بتيارات مختلفة، ويتعايش مع اتجاهات متباينة ويخالط مجتمعات متفاوتة، وما يتلقاه من إحترامٍ وتقدير، والذي يجعل للخطيب دوراً، لا يملكه غيره، وموقعاً لا ينافسه عليه آخر.

ولم أجد - حسب تتبعّي - أفضل من تلك الارشادات التي ذكرها العلامة المحدِّث الشيخ عباس القمي، صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) المشهور، في كتابه القيّم (نَفَسُ المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم) اذكرها هنا بنصِّها، راجياً من الله القبول، ومن إخواني الخطباء، حسن الاستماع والأتعاظ.

يذكر الشيخ عباس القميّ، في خاتمة كتابه تحت عنوان (فيها نصائح كافية ومواعظ شافية) ما يلي:

«ينبغي لأهل المنبر وقرّاء التعزية، مراعاة أشياء، حتى يصيروا ممن عظّم شعائر الله ووفق لهداية عباد الله:

(الأول) الاخلاص والاجتناب من الرياء.

فقد روى عن النبي ﷺ قال: **«أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، قال يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جاز العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم»**[١].

وقال الصادق عليه السلام لعباد بن كثير البصري في المسجد: **«ويلك يا عباد إياك والرياء، فأنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له»**[٢].

---

(١) البحار ٦٩/٣٠٣، منية المريد للشهيد الثاني ص١٩٣.

(٢) الكافي ٢/٢٩٣، البحار ٦٩/٢٦٦.

فينبغي أن يقصد بوعظه وجه الله تعالى، وامتثال أمره، واصلاح نفسه، وارشاد عباده إلى معالم دينه، ولا يقصد بذلك عرض الدنيا، فيصير من الأخسرين أعمالاً ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[(١)]. ومرتبة الاخلاص، عظيمة المقدار، كثيرة الاخطار دقيقة المعنى، صعبة المرتقى، يحتاج طالبها إلى نظر دقيق، ومجاهدة تامة، وينبغي أن يعمل بما يقول، لئلا يصير مثله مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه[(٢)].

(الثاني) الصدق.

فقد روي عن الصادق عليه السلام: أن الله عز وجل لم يبعث نبياً ألاّ بصدق الحديث وأداء الامانة إلى البر والفاجر[(٣)].

وعن أبي كهمش قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام. قال: عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرأه مني السلام، وقل له: أن جعفر بن محمد يقول لك: أنظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فأن علياً إنما بلغ ما بلغ به، عند رسول الله، بصدق الحديث، وأداء الامانة[(٤)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فأن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته[(٥)].

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٢) كما ورد في الحديث رواه المجلسي ره في البحار ٢/ ٣٨.
(٣) البحار ٦٨/ ٢، الكافي ٢/ ١٠٤.
(٤) الكافي ٢/ ١٠٤، البحار ٦٨/ ٤.
(٥) الكافي ٢/ ١٠٥، البحار ٦٨/ ٨.

فيجتنب الكذب، والافتراء على الله تعالى، وعلى حججه، وعلى العلماء، ولا يخلط الحديث، ولا يدلس، ولا ينقل الكذب، بعنوان لسان الحال(١).

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: أن الله عز وجل، جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب(٢).

وعنه عليه السلام قال: إن الكذب هو خراب الإيمان(٣).

وعنه عليه عليه السلام: لا يجد عبد حقيقة الايمان، حتى يدع الكذب جده وهزله(٤).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فأن الرجل إذا كذب في الصغير، اجترأ على الكبير. إلى غير ذلك(٥).

(الثالث) الاجتناب من الغناء.

البحار، عن تفسير العياشي، «عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام قال له رجل: بأبي وأمي، أني أدخل كنيفاً لي، ولي جيران، وعندهم جوار يتغنين، ويضربن بالعود، فربما أطلت الجلوس، استماعاً مني لهن. فقال: لا تفعل. فقال الرجل: والله ما هو شيء آتيه برجلي إنما

---

(١) يقصد بذلك رحمه الله، ما اشتهر على ألسنة بعض خطباء المنبر الحسيني، في فقرة المصيبة وربما في فقرة التخلّص، من قولهم: وكأني بالحسين عليه السلام أو كأني بزينب عليها السلام يقول أو تقول كذا وكذا. فهنا لا بد التدقيق، وأن لا يكون في هذا الكلام ما يخالف الروايات الصحيحة، أو بما يوهن من كرامة أهل البيت عليهم السلام. (المصنّف).

(٢) الكافي ٢/ ٣٣٩.

(٣) الكافي ٢/ ٣٣٩.

(٤) الكافي ٢/ ٣٤٠.

(٥) الكافي ٢/ ٣٣٨.

هو سماع أسمعه بأذني. فقال له: (تالله خ) أنت، أما سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾(١).

قال: بلى والله فكأني لم أسمع هذه الآية قط، من كتاب الله، من عجمي ولا من عربي، أني لا أعود إن شاء الله، وأني استغفر الله. فقال له: قم فاغتسل وصل ما بدالك، فأنك كنت مقيماً على أمر عظيم، ما كان اسؤ حالك، لو متّ على ذلك أحمد الله (استغفر الله خ ل) وسله التوبة، من كل ما يكره، أنه لا يكره إلا القبيح والقبيح، دعه لأهله، فأن لكل أهلا(٢)»(٣).

(الرابع) أن لا يروج الباطل ولا يمدح الفاسق والفاجر.

فعن النبي ﷺ قال: **«إذا مدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب»**(٤).

(الخامس) أن لا يهين عظماء الدين(٥).

(السادس) لا يفشي أسرار آل محمد عليهم السلام.

(السابع) أن لا يفسد في الأرض ولا يثير الفتنة.

(الثامن) أن لا يعين الظلمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(٦).

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة نادى مناد:**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) البحار ٦/ ٣٤، تفسير العياشي ٢/ ٢٩٢.

(٣) ولهذا ينبغي على خطيب المنبر الحسيني، اتباع الأطوار المعروفة التي عليها سيرة شيوخ الخطباء، والتي أمضاها العلماء في مجالسهم. وينبغي كذلك إجتناب الاطوار المستحدثة، أو المأخوذة من ألحان وطرق لا تليق مع روحانية المجالس الحسينية. (المصنّف).

(٤) البحار ٧٤/ ١٥٠، تحف العقول ٤٦ طبع مكتبة الصدوق.

(٥) ما أدق هذه النقطة وما أحرانا الإنتباه لذلك ورعاية العلماء واحترام أهل الدين. (المصنّف).

(٦) سورة هود، الآية: ١١٣.

أين الظلمة وأعوانهم ومن لاق لهم دواتاً، وربط لهم كيساً، أو مدّ لهم مدة قلم، فاحشروهم معهم[١].

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: يا كميل، إياك والتطرق إلى أبواب الظالمين، ولا تخالط بهم. إلى أن قال: يا كميل، إذا اضطررت إلى حضورهم، فداوم ذكر الله تعالى، وتوكل عليه، واستعذ بالله من شرهم، واطرق عنهم، وانكر بقلبك فعلهم، واجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم، فأنهم يهابوك وتكفى شرهم[٢].

وقال علي بن الحسين عليه السلام في كتابه للزهري، بعد أن حذره عن إعانة الظلمة على ظلمهم: أو ليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلماً إلى ضلالتهم داعياً غيهم سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من اصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك وما أيسر ما عمروا لك، في كنف ما خربوا عليك، فانظر لنفسك، فأنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول[٣].

(التاسع) أن لا يغرّ المجرمين، ولا يقول ما يتجرأ به الفاسقون، فأن الفقيه، كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله[٤].

---

(١) البحار ٧٢/ ٣٧٢ و٣٨٠، ثواب الأعمال ٣٠٩.

(٢) البحار ٧٤/ ٤١٣، تحف العقول ١٧٣.

(٣) البحار ٧٥/ ١٣٢، تحف العقول ٢٧٥.

(٤) الكافي ١/ ٣٦، الوسائل ٤/ ٨٢٩ مع اختلاف يسير.

(العاشر) أن لا يصغر المعاصي في الانظار.

ففي وصايا النبي ﷺ لابن مسعود: «**لا تحقرن ذنباً ولا تصغرنه واجتنب الكبائر، فأن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً**» يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا المحقرات من الذنوب، فأنها لا تغفر قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب، فيقول: طوبى لي، لو لم يكن لي غير ذلك[٢].

وعنه عليه السلام قال: إذا أخذ القوم في معصية الله، فأن كانوا ركباناً، كانوا من خيل إبليس، وأن كانوا رجالة كانوا من رجالته[٣].

(الحادي عشر) أن لا يفسر آيات القرآن برأيه، فقد صح عن النبي ﷺ وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام أن تفسير القرآن لا يجوز، إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح[٤].

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[٥].

وروى العامة عن النبي ﷺ قال: «**من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ**»[٦].

---

(١) البحار ٧٤/ ١٠١، مكارم الأخلاق ص ٢٥١ والآية في سورة آل عمران: ٢٨.
(٢) الكافي ٢/ ٢٨٧، البحار ٧٠/ ٣٤٥.
(٣) البحار ٧٠/ ٣٥٧، ثواب الأعمال ٣٠٢ طبع مكتبة الصدوق.
(٤) مجمع البيان ١/ ١٣، التبيان ١/ ٤.
(٥) مجمع البيان ١/ ٩.
(٦) مجمع البيان ١/ ١٣.

(الثاني عشر) أن لا يذكر للاخبار المعاني الفاسدة الباطلة، ولا يتصرف فيها التصرفات الباردة كما شاع وذاع في عصرنا أعاذنا الله تعالى.

(الثالث عشر) أن لا يفتي في الاحكام إذا لم يكن من أهل الفتوى، وكفى في هذا المقام كلام السيد الأجل الأورع الأزهد الأسعد، قدوة العارفين، ومصباح المتهجدين، صاحب الكرامات الباهرة، أبي القاسم رضي الدين السيد ابن طاوس قدس الله سره ورفع في الملأ الأعلى ذكره، قال في كلام له: كنت قد رأيت مصلحتي ومعاذي في دنياي وآخرتي، في التفرغ عن الفتوى في الاحكام الشرعية، لأجل ما وجدت من الاختلاف في الرواية، بين فقهاء أصحابنا، في التكاليف الفعلية وسمعت كلام الله جل جلاله يقول، عن أعز موجود من الخلائق عليه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ الآيات[١]، فلو صنفت كتباً في الفقه، يعمل بعدي عليها، كان ذلك نقصاً لتورعي عن الفتوى، ودخولاً تحت خطر الآية المشار إليها، لأنه جل جلاله، إذا كان هذا تهديده للرسول العزيز الأعلم لو تقول عليه، فكيف يكون حالي، إذا تقولت عليه جل جلاله، وأفتيت أو صنفت خطئاً، أو غلطاً يوم حضوري بين يديه؟ - إلى آخر ما ذكره رحمه الله[٢].

(الرابع عشر) أن لا يذكر ما ينقص الأنبياء العظام، والأوصياء الكرام، إذا أراد رفع مقامات الائمة عليهم السلام.

(الخامس عشر) أن لا يذكر الشبهات، في مسائل أصول الدين، إذا لم يقدر أن يرفعها من الاذهان بأحسن بيان، ولا يخرب أساس أصول دين المسلمين[٣].

---

(١) سورة الحاقة، الآيتين: ٤٤-٤٥.

(٢) البحار ١٠٤/ ٤٢، وراجع كشف المحجة ١٠٩ طبع النجف.

(٣) نقطة في غاية الأهمية ينبغي التأكيد عليها كثيراً. (المصنّف).

(السادس عشر) أن يستعمل الرفق واللين، والرفق أصل عظيم، في جميع الأمور وكان في آخر وصية الخضر لموسى عليه السلام: **لا تعيّرن أحداً بذنب**[١]، وأن أحب الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: القصد في الجدة، والعفو في المقدرة، والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أن هذا الدين لمتين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فأن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**»[٣].

قلت: فأوغل أي أدخل، والمنبتّ: الذي انقطع في سفره وعطب راحلته، والظهر الابل التي يحمل عليها ويركب.

(السابع عشر) أن لا يطيل الكلام لأغراض فاسدة، وأن يترك الأغراض الشخصية.

(الثامن عشر) ينبغي أن يراعي في ذكر المصائب، سيما في غير أيام عاشوراء، ما لا يقسى به القلوب، ولا يهوّن به الخطوب، كالمصائب الموجعة الفادحة.

حدثني المحدث الفاضل المؤرخ المتبحّر الميرزاهادي الخراساني النجفي أيده الله قال: رأيت في الطيف كأني في صحن أمير المؤمنين عليه السلام، في حجرة من حجراته، وجميع الائمة أو أكثرهم عليهم السلام فيها جالسون، ورأيت رجلاً من أهل المنبر يقرأ لهم التعزية وهم يستمعون، حتى إذا بلغ إلى قوله: قال شمر لسكينة: يا بنت الخارجي، رأيت أمير

---

(١) البحار ١٣/ ٢٩٤.

(٢) البحار ١٣/ ٢٩٤، الخصال للصدوق ١/ ١١١ طبع مكتبة الصدوق.

(٣) الكافي ٢/ ٨٦.

المؤمنين عليه السلام اشمأز من هذا الكلام، وانقبض أشد انقباض، واكفهر[١] وجهه الشريف، فلما رأيت ذلك، أشرت إلى الرجل القارىء: أن اسكت، أما ترى أمير المؤمنين عليه السلام وما حلّ بساحته المقدسة، فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام: لم يكن الذي قلت بالأمس أقل من هذا، فذكرت أني قرأت مصيبة رأس أبي الفضل، من تعليقه على لُبان[٢] الفرس، فاعتذرت إليه وتبت.

(التاسع عشر) أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع في أمتي، فليظهر العالم علمه، وإلا فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين»[٣].

وروي أنه خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أما بعد: فأنه أنما هلك من كان قبلكم، حيث ما عملوا من المعاصي، ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك، نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً، أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، كقطر المطر، إلى كل نفس بما قدر الله لها، من زيادة أو نقصان[٤].

وروى الشيخ الكليني وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن الله عز وجل بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرع، فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا

(١) اكفهر: اشمأز.
(٢) لبان كسحاب: صدر الفرس.
(٣) البحار ٥٤/ ٢٣٤، وراجع ٢/ ٧٢.
(٤) البحار ٩٧/ ٧٤.

الداعي. فقال: قد رأيته ولكن امض لما أمر به ربي. فقال: لا أحدث شيئاً حتى أراجع ربي، فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب أني انتهيت إلى المدينة، فوجدت عبدك فلاناً، يدعوك ويتضرع إليك. فقال: امض لما أمرتك به، فأن ذا رجل لم يتمعر(١) وجهه، غيظاً لي قط(٢).

وعن الرضا عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إذا أمتي، تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليأذنوا بوقاع من الله تعالى**»(٣).

بيان: تواكلت أي أتكل كل واحد على الآخر ووكل الأمر إليه، والوقاع النازلة الشديدة أو الحرب.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل شيخ ناسك، يعبد الله في بني إسرائيل، فبينا هو يصلي، وهو في عبادته، إذا بصر بغلامين صبيين، قد أخذا ديكاً وهما ينتفان ريشه، فأقبل على ما هو فيه من العبادة، ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الأرض أن سيخي بعبدي، فساخت به الأرض فهو يهوى في الدردون(٤) أبد الأبدين ودهر الداهرين(٥).

وعنه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله:

«كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبانكم، ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر! فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشر من ذلك، فكيف بكم، إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف! فقيل له: يا

(١) تمعر وجهه أي تغير (منه).
(٢) البحار ٩٧/٨٨، الكافي ٥/٥٩، أمالي الطوسي ٢/ ٢٨٢.
(٣) البحار ٩٧/ ٩٢، مشكاة الأنوار ٤٧، الكافي ٥/ ٥٩.
(٤) الظاهر أنه تصحيف والصحيح الدردور. قال في القاموس: والدردور موضع وسط البحر يجيش ماؤه، ومضيق بساحل بحر عمان «منه».
(٥) أمالي الطوسي ٢/ ٢٨٢، البحار: ٩٧/ ٨٨.

رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك، فكيف بكم، إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»(١).

وقال ﷺ: **«لا يزال الناس بخير، ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك، نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر، في الأرض ولا في السماء»**(٢).

(العشرون) أن لا يقول ما يشعر بذلة أبي عبد الله الحسين وأهل بيته المكرمين عليهم السلام، فأنه كان سيد أهل الاباء والحمية، الذي علمّ الناس الموت تحت ظلال السيوف، اختياراً على الدنية، ونادى برفيع صوته يوم عاشوراء: ألا وأن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون. الخ(٣).

وذكر شيخنا، المحدث المتبحر الحاج ميرزا حسين النوري، نور الله مرقده، في دار السلام ما ملخصه: أنه رأى بعض السادة، من قراء التعزية في المنام، كأن القيامة قد قامت، والناس في وحشة ودهشة، لكل امرىء منهم شأن يغنيه، والموكلون يسوقون الناس إلى الحساب، مع كل واحد منهم سائق وشهيد. إلى أن قال: وساقونا إلى موقف الحساب، فإذا بمنبر عالٍ كثير المرقاة، والدرج على ذروته سيد المرسلين ﷺ، وعلى الدرج الأول منه خاتم الوصيين عليه السلام، وهو مشغول بحساب الناس، وهم مصطفون قدامه، إلى أن انتهى الأمر إلي، فخاطبني موبخاً وقال: لم ذكرت تذلل ولدي العزيز الحسين عليه السلام ونسبته إلى الذلة، فتحيرتّ في جوابه، وما

(١) قرب الاسناد ٢٦ الطبع الحجري، البحار ٩٧/ ٧٤ و٩٢، مشكاة الأنوار ٤٧ الكافي ٥/ ٥٩.
(٢) مشكاة الأنوار ٤٩، البحار ٩٧/ ٩٤.
(٣) الملهوف: ٨٦.

وجدت حيلة إلا الإنكار، فأنكرته، فإذا بوجع في عضدي من شيء، كأنه مسمار أولج فيه، فالتفت إلى جنبي، فرأيت رجلاً بيده طومار، فناولني فنشرته، فإذا هو صورة مجالسي، وتفصيل ما ذكرته في المحافل، مشروحاً في كل مكان أو زمان، وفيه ما سألني وأنكرته. إلى آخر الرؤيا الهائلة التي صارت سبباً لترك السيد شغله ذلك(١).

وروى الشيخ، أنه اجتمع السيد الحميري، وجعفر بن عفان الطائي، فقال له السيد: ويلك تقول في آل محمد عليهم السلام.

ما بال بيتكم تخرّب سقفُه ... وثيابكم من أرذل الاثواب

فقال جعفر: ما أنكرت من ذلك. فقال له السيد: إذا لم تحسن المدح فاسكت أيوصف آل محمد عليهم السلام بمثل هذا؟ ولكني أعذرك هذا طبعك وعلمك ومنتهاك وقد قلت ما أمحو عنهم عار مدحك:

اقسم بالله وآياته ... والمرء عما قال مسؤول
أن علي بن أبي طالب ... على التقى والبر مجبول
كان إذا الحرب مزقها القنا ... وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه ... أبيض ماضى الحد مصقول
مشي العفرنا بين اشباله ... ابرزه للنقص الغيل
ذاك الذي سلم في ليلة ... عليه ميكال وجبريل
ميكال في الف وجبريل في ... الف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً انزلوا ... كأنهم طير ابابيل

كذي يقال فيه، يا جعفر، وشعرك يقال مثله، لأهل الخصاصة

---

(١) دار السلام ٢/ ٢٣٤.

والضعف، فقبل جعفر رأسه وقال: أنت والله الرأس يا باهاشم ونحن الأذناب[(١)]»[(٢)].

وبهذا الدرس، نأتي إلى نهاية الكتاب، وأنا أدعو الله تعالى، أن يتقبله بأفضل القبول، وأن ينفع به أهل المنبر، والمهتّمين بشأنه وآخر دعونا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.



(١) أمالي الطوسي ص ١٢٤.
(٢) الشيخ عباس القميّ: نَفَس المهموم، ص ٦٨١-٦٩٢.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأبشهيني، شهاب الدين: المستظرف من كل فن مستطرف.
- الأصفهاني، حسين بن محمد الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم.
- الأمين، محسن: اقناع الأمة على إقامة المآتم.
- الأمين، عبد الحسين: سيرتنا وسنّتنا.
- البحراني، حسن: رياض المدح والرثاء.
- الجاحظ، عمر بن عبر: المحاسن والأضداد.
- حسن، داخل السيد: معجم الخطباء.
- الحليّ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف.
- الخليلي، جعفر: هكذا عرفتهم، موسوعة العتبات المقدّسة.
- دكسن: محمد حسن: الروضة الدكنيّة.
- الرازي، محمد بن عمر الفخر: التفسير الكبير.
- ري شهري، محمّدي: ميزان الحكمة.
- السيستاني السيد علي الحسيني: المسائل المنتخبة.
- شبر، جواد: أدب ألطف.
- شرف الدين، عبد الحسين: المآتم الفاخرة.
- الشريف الرضي، علي بن الحسين: ديوان الشريف الرضي.

- شمس الدين، محمد مهدي: ثورة الحسين في الوجدان الشعبي.
- الصدوق: محمد بن علي ابن بابويه القمّي: ثواب الأعمال، الخصال، عيون أخبار الرضا عليه السلام.
- الطبرسي، محمد: تفسير مجمع البيان.
- الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي.
- العاملي، زين الدين (الشهيد الثاني): منيّة المريد.
- العاملي، محمد بن الحسن الحرّ: وسائل الشيعة.
- أبو الفضل، محمد: سجع الحمام.
- فضل الله: محمد حسين: تفسير من وحي القرآن.
- القرضاوي، يوسف: مشكلة الفقر.
- قطب، سيّد، تفسير في ظلال القرآن.
- القمي، ابن قولويه: الكامل في الزيارات.
- القمي، عباس، نفس المهموم.
- كارينغي، وايل: الخطابة والجماهير.
- الكاظمي، فيصل: مجالس ليالي عاشوراء.
- الكاظمي، فيصل: المنبر الحسيني.
- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي.
- المجلسي، محمد باقر: البحار.
- محبوبة: جعفر باقر: ماضي النجف وحاضرها.
- المرجاني، حيدر: خطباء المنبر الحسني.
- المظفر، محمد رضا، النطق.
- المقّرم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام.

- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب.
- هويدي فهمي: إيران من الداخل.
- الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر.

الفهرس

الدرس الثالث

الدرس الرابع

الدرس الخامس

الدرس السادس

الدرس السابع

الدرس الثامن

الدرس التاسع

الدرس العاشر

الدرس الحادي عشر

الدرس الثاني عشر

الدرس الثالث عشر

الدرس الرابع عشر

الدرس الخامس عشر

الدرس السادس عشر

الدرس السابع عشر

الدرس الثامن عشر

الدرس التاسع عشر

الدرس العشرون

الدرس الواحد والعشرون

الدرس الثاني والعشرون